نقل من كتاب نسيم الانس في استنشاق نفحات رياض القدس لتقي الدين ابن رجب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

باب وجوب محبة الله ورسوله وتقديمها على حب الاموال والاولاد والنفوس قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الاية قال ابو عبد الله محمد بن حنيف الصوفي في سماعنا ابو العباس ابن شريح بشيراز فقال لنا محبة الله فرض او غير فرض قلنا فرض قال اما الدلالة على فرضها فاما من افتى بشيء يقبل فيه قوله وسألناه ما الدليل على فرض محبة الله عز وجل فقال قوله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الاية قال فتوعدهم الله عز وجل على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله والوعد لا يقع الا على فرض كالامر والحتم والوجوب وفي الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وفي الصحيحين ايضا ان عمر بن الخطاب قال يا رسول الله والله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك فقال والله لانت احب الي من نفسي فقال الان يا عمر ومعلوم ان محبة الرسول انما هي تابعة لمحبة الله جل وعلا فان الرسول انما يحب موافقة لمحبة الله له ولاجل محبته وطاعته وانما عرفنا ذلك ان الايمان لا يحصل الا بتقديم محبته على النفس والولد والخلق كلهم فالظن بمحبة الله عز وجل وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم تقديم محبة الله ورسوله ستر على هما من خصال الايمان ومن علامات وجود حلاوة الايمان في القلوب ففي الصحيحين عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وعن ابي بكر بن العقيلي قال قلت يا رسول الله ما الايمان قال ان تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان يكون الله ورسوله احب اليك من كل ما سواهما وان تحب في الله وتبغض في الله وتعمل لسانك في ذكر الله قال وماذا يا رسول الله قال وان تحب للناس الا ما تحب لنفسك وان تكره لهم الا ما تكره لنفسك فاذا فعلت ذلك فقد دخل الايمان في قلبك كما دخل الماء للظمآن في اليوم القايض فصار الله سبحانه وتعالى عند المحبين له مقدما على محبة كل ما سواه وتعالى محبة توجب لهم محبة ما يحبه فصار عليه ويبغض ما هو مبغض عليه ومحبة الرسول المبلغ عن امره ونهيه وتقديم محبته على النفوس والاهلين ايضا كما سبق والرضى بما بلغه عن الله من الدين وتلقي ذلك بالرضى والتسليم ومحبة الانبياء والرسل والمتبعين لهم باحسان جملة وعموما لله عز وجل وبغض الكفار والفجار جملة وعموما لله عز وجل وهذا القدر لا بد منه في تمام الايمان الواجب ومن اخل بشيء منه نقص من ايمانه الواجب بحسب ذلك قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وكذلك ينقص من محبة الواجب بحسب ما اخل به من ذلك فان المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات وخرج ابو نعيم من حديث عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان سالما يعني مولى ابي حذيفة شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله عصاه يشير الى ان محبة الله تمنعه من ان يعصيه وقال الحسن بن ادريم احب الله بحبك واعلم انك لن تحب الله حتى تحب طاعته وقال مشاد الدينوري ليس من اعلام الحب ان تحب ما يبغضه حبيبك وقد تقدم ان العبد لا يجد حلاوة الايمان حتى يحب العبد لا يحبه الا لله وحتى يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يلقى في النار ولهذا المعنى كانت الحب في الله والبغض في الله من اصول الايمان وخرج الترمذي من حديث معاذ بن انس الجهني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعطى لله ومنع لله واحب لله وابغض لله فقد استكمل ايمانه وخرجه الامام احمد وزاد فيه وانكح لله وعن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله وفي المعنى احاديث كثيرة وروى ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال من احب في الله وابغض في الله وعادى في الله وولى في الله فانما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرة صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مواخاة الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهله شيئا خرجه ابن جرير الطبري وحينئذ فلا يكمل التوحيد الواجب الا بمحبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله وكذلك لا يتم الايمان الواجب بذلك ونحن نعلم ان الاخلال ببعض الواجبات وارتكاب بعض المحرمات ينقص به الايمان الواجب بحسب ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون
رقم التسلسل ٦٦٦
التاريخ / / ١٤هـ

لا يزني حين يزني وهو مؤمن الحديث فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب على كل مسلم وهي درجة المقتصدين أصحاب اليمين
الدرجة الثانية درجة السابقين المقربين وهي أن يرتقي لمحب الى محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات وكره ما يكره الله
من دقائق المكروهات والى الرضى بما يقدر به وبقصيره مما يؤلم النفوس من المصائب وهذه أفضل مستحب مندوب اليه وفي صحيح البخاري
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما
افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن
يكره الموت وأنا أكره مساءته وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن سهيل أخي حزم قال بلغني عن عتبة بن عبد قيس أنه قال لعمر الله حبا
سهل في كل مصيبة ورضا في كل قضية فما أبالي مع حبك إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت قال إبراهيم بن الجنيد وحدثني أحمد بن الحسين
حدثني عبد الله بن محمد التيمي أن رجلا قال للعابد أوصني وعظني فقال إني لا أعمل لغلب على قلبك فقال الرجل والله ما أريد
شيئا ينفع نحبه عند حبيبه من الهذر في مجلسه وهل تدري ما ذاك لا يعلم شيئا فيرضاه الله ولا يعلم شيئا فيتحبب إليه
فقد تبين بما ذكرناه أن محبة الله إذا صدقت أوجبت طاعته وامتثالها وبغض معصيته واجتنابها فدرج تحت هذا الباب
في بعض المأمورات وارتكاب بعض المحظورات ثم يرجع إلى نفسها ملامة وبزع عن قرب ويتدارك بالتوبة وفي صحيح البخاري
أن رجلا كان يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد شرب الخمر فقال رجل اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله وقد روي عن الشعبي في قوله إن الله يحب التوابين قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأسند
أن الله إذا أحب عبدا ولم يقدر عليه بعض الذنوب فإنه يقدر له الخلل فيها مما يحزنها من توبة أو عمل صالح أو مصائب يكفر
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أذنب العبد ذنبا قال أي رب عملت ذنبا فاغفر لي فذكر الحديث إلى أن قال فليعمل ما شاء
والمراد ما دام على هذا كلما عمل ذنبا اعترف به وندم عليه واستغفر منه فإنه مع الإصرار فلا يكفر الخبث التصادف فيه التحبب
من الإصرار على الذنوب وعدم الاستحياء من علام الغيوب وما أحسن قول بعضهم متعصب الإنسان تزعم حبه وهذا لعمري
شنيع ولو كان حبك صادقا لأطاعه إن المحب لمن يحب مطيع

فصل

من التزام طاعة الله تعالى والجهاد في سبيله والتأسي والملازمة في ذلك واتباع رسوله قال الله جل وعلا يا أيها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الى قوله والله واسع عليم وقال تعالى إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
فوصف المحبين لله بخمسة أوصاف أحدها الذلة على المؤمنين والرأفة بهم والرحمة لهم كما قال تعالى
لرسوله واخفض جناحك للمؤمنين ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
وهذا يرجع إلى أن المحبين لله يحبون أولياءه ويعودون عليهم بالعطف والرأفة والرحمة وقد سبق في الباب الأول بيان ذلك
الثاني الغلظة على الكافرين والمراد الشدة والغلظة عليهم كما قال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومعنى
يرجع إلى أن المحبين لله يبغضون أعداءه وذلك من لوازم المحبة الصادقة كما سبق تقريره أيضا الثالث الجهاد في سبيل الله
وهو مجاهدة الأعداء باليد واللسان وذلك أيضا من تمام معاداة أعداء الله الذي تستلزمه المحبة وأيضا فالجهاد في سبيل الله
دعاء الخلق إلى الله ورده إلى بابه بالقهر عليه والغلبة كما قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله الآية قال مجاهد وغيره يعني كنتم خير الناس للناس فخير الناس للناس أنفعهم لهم ولا نفع أعظم من الدعاء إلى التوحيد
والنهي عن الشرك والمعصية الرابع أنهم لا يخافون لومة لائم والمراد أنهم يجتهدون فيما يرضي ربهم من الأعمال ولا يبالون سوء من لامهم
في شيء من ذلك إذا كان فيما يرضي ربهم وهذا من علامات المحبة الصادقة أن المحب مشتغل بما يرضي حبيبه ومولاه ويستوي عنده من يحمده
في ذلك ومن يذمه وفي هذا المعنى يقول بعضهم وقفت الهوى حيث انتهت بي مطيتي قبس لي ما تأخر عنه ولا تقدم أجاد الملامة في هوى من يحبه
حبا لذي كرم فليمي القوم الخامس متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو طاعته واتباعه في أموره وغير قال مبارك بن حسان

عن الحسن كان ناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقولون يا رسول الله نحب الله حب شديدا فاحب [illegible]
عز اسمه تبارك [illegible] قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله ورسوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين فجعل محبة من دون محبة الله ورسوله جهادا في سبيله لا يتركه الا كافر وقد ورد في السنة في احاديث كثيرة جدا قد سبق ذكر بعضها في الفصل الاول
لا توصل اليه الا من طريق النبي صلى الله عليه وسلم باتباعه وطاعته كما قال الجنيد وغيره من العارفين الطريق عليه مسدود الا من اقتفى اثر الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ذم الله تعالى غير واحد من العارفين غير كثير حتى قال ابراهيم بن الجنيد علامة المحب خاصة لمحبة ست خصال احدها دوام الذكر بقلبه باللسان والتحفة اثرة محبة سيد على محبة نفسه ومحبة الخالق على محبة الخلائق الثالثة الاسراع والاستقبال لكل قاطع عنه وشاغل يشغله عنه الرابعة الشوق الى لقائه والنظر اليه بعين الخامسة الرضى عنه في كل شديدة ومرير الصبر السادسة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل حركة وسكنة لرسول صلى الله عليه وسلم [illegible] رجتين احداهما فرض وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول من عند الله وتقديم محبته والتعظيم والتسليم وعدم طلب الهدى من غيره اقتداء به بكليته ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من عزائم وترك كل ما نهى عنه وزجر طاعته فيما امر به من الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات ونصرته باليد واللسان والقلب على من خالفه بحسب القدرة فهذه المحبة لا بد منها ولا يتم الايمان بدونها والدرجة الثانية فضيلة وهي المحبة التي تتبع حسن التأسي به وتحقيق الاقتداء بسننه في اخلاقه وادابه وافعاله وتطوعاته واكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته وزجره وتيره للامة وغير ذلك من اداب الكاملة واخلاقه الطاهرة والاعتناء بمعرفة سيره وايامه واهتزاز القلب عند ذكره وتصوره وكثرة الصلاة عليه لما كان في القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره ومحبة استماع الامه وايثاره على كلام غيره من المخلوقين ومن علامات الاول ايثار في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الاخرة قال سهل المتوكي من علامات حب الله حب القرآن ومن علامات حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامات حب النبي حب السنة وعلامات حب الاخرة ومن علامات حب الاخرة بغض الدنيا وعلامات بغض الدنيا الا ياخذ منها الا ما يبلغه الى الاخرة [illegible] وقد ذكرنا في الباب الاول ان محبة الله عز وجل الواجبة تقتضي محبة ما اوجب من الطاعات واجتنابها وكراهة ما حرم من المحرمات وقد احتنا بعاون محبة المستحبة تقتضي التقرب اليه بالنوافل والورع عن دقائق المكروهات والجزء الواجب تقتضي ايضا محو الهوى وايثار ما يحبه الله ورضاه على ما تشتهيه النفس وتهواه فاذا تمكنت المحبة في القلب واملا القلب منها اخرجت من القلب محبة كل ما يكره الله فلم يبق في القلب سوى محبة الله ومحبة ما يحبه فلم تنبعث جوارح الى المعاصي التي تقتضي تعذيب الله تعالى النفس حينئذ مطمئنة وهذا اشارة في الحديث الى هذا الجنة كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وقد سبق ذكره وصلى الله على محمد

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الامام العالم العلامة شيخ السنة وقامع البدعة بقية المجتهدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي رحمه الله ورضي عنه الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خاتم النبيين وامام المتقين ورسول رب العالمين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين خرج الامام احمد في مسنده حدثنا عبد الله ابن جعفر رضي الله عنه قال احتبس علينا النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة في صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة وتجوز في صلاته فسلم قال كما انتم على مصافكم كما انتم ثم اقبل علينا فقال اني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فاذا انا برجل في احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري رب قالها ثلاثا قلت لا ادري رب قال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري رب فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت بردا ملء بين ثديي وعلمت ما في السماوات وما في الارض قال يا محمد

شرح حديث ابي الدرداء لطالب العلم مطبوع

٣

لو انك عذبتني بعذابك كلهم كان ما فاتني من قربك لم علم عندي من العذاب قبل بعضهم لو طردك ما كنت تقول
فان لم اجد من الحب واصلا ... دمت في النار منزلا ومقيلا ثم ان عجت اهلي ابتدائي بكرة في عاصما وصيلا شعف
بين يدي ان يحب الجليل ... لم يلدكن في الذي اراه محلا فجزته بالعذاب الطويلا احواني احمد والذي يحقق التوحيد فانه
لا ينجي من عذاب الله الا بامنه ما نطق الله خلقه احسن من لا اله الا هو تبارك الله رب العالمين وتعالى جده
من اتاني ومن يحصيها عبد مكيا لا اله الا هو جنان خلد لمن يوحده اشهد ان لا اله الا هو تبراته لا اخشى من
يشهد ان لا اله الا هو اتوها مخلصا بالا جل اشهد ان لا اله الا هو احزه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على محمد خاتم النبيين والحول والقوة الا
الحمد لله نحمده ونستعينه ونشهد به من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا [illegible] ابو داود والترمذي
وابن ماجة في كتبهم ان قد جلا قدم المدينة على ابي الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخي قال حديث بلغني انك تحدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جئت لحاجة الا لطلب هذا الحديث قال فلعل قلت فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله له به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى
من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ان العلماء ورثة
الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وكانت السلف الصالح رضي الله عنهم
لقوة رغبتهم في العلم والدين والخير يرحل عنهم الى بلد بعيد لطلب حديث واحد يبلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد رحل ابو ايوب
الانصاري من المدينة الى مصر للقاء رجل من الصحابة بلغه عنه حديث يجد ثم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك فعل جابر
ابن عبد الله الانصاري مع كثرة ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث وروى عنه وكان احدهم يرحل الى من دونه في الفضل
لطلب شيء من العلم ليجده عنده ويكفي في هذا الحث ما قص الله علينا من قصة موسى وارتحاله مع فتاه في طلب العلم فلو
استغنى احد عن الرحلة في طلب العلم لاستغنى عنها موسى عليه السلام حيث كلمه الله وانزل عليه التوراة التي كتب له فيها من كل شيء
ومع هذا فلما اخبره الله عن علم الخضر ان عنده علما يختص به رسل السبيل الى لقيه ثم سار هو وفتاه اليه كما قال تعالى واذ قال موسى
لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا اي سنين عدين ثم اخبره بما لقيه قال لهل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا
وكان من امرهما ما قصه الله في كتابه وحديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة موسى والخضر مخرج في الصحيحين وهو مشهور
وكان ابن مسعود يقول والله الذي لا اله الا هو ما انزلت اية من كتاب الله الا وانا اعلم اين انزلت ولا انزل اية من كتاب الله الا
انا اعلم فيما انزلت ولو اعلم احدا اعلم مني بكتاب الله تبلغه الابل لركبت اليه وقال ابو الدرداء لو اعلم اية من كتاب الله قلما جد
احد يفتحها على الا يجل يبرك الغماد اقصى اليمن وخرج مرثد من البصرة الى الكوفة ثم الى البصرة الى رجل يسأله
عن اية فلم يجد عنده فيها علما فاخبر عن رجل من اهل الشام فرجع الى الكوفة ثم خرج الى الشام الى ذلك الرجل في طلبها ورحل رجل من الكوفة
الى الشام الى ابي الدرداء ليستفتيه في يمين حلفها ورحل سعيد بن جبير من الكوفة الى ابن عباس ليسأله عن تفسير اية ورحل الحسن
الى الكوفة الى كعب بن عجرة ليسأله عن قصر في فدية الاذى واستقصاء هذا الباب طويل وحلف رجل على يمين فاشكلت
على الفقهاء فذهبوا الى بلد فاستبعد فقيل له ان ذلك البلد قريب على من اهمه امر دينه وفي هذا اشارة الى ان من اهمه امر دينه كما يهمه امر
دنياه اذا حدثت له حادثة في دينه لا يجد من يسأله عنها الا في بلد بعيد فانه لا يتأخر عن السفر اليه ليستبرئ في دينه كما انه لو عرض له
هناك كسب دنيوي لبادر الى السفر اليه ولا يناقض في هذا الحديث ما ثبت ان ابا الدرداء بشر من اخبره انه رحل اليه لطلب حديث ما سمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم في فضل العلم وطلبه وهذا ماخوذ من قوله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم

على نفسه

على نفسه الحمد الآية وقد ازدحم الناس مرة على باب الحسن البصري لطلب العلم فاسمعهم بشر كلاما فقال الحسن معلقا بما بي لم تر هذه الآية وفي كتاب الترمذي وابن ماجة عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم وصاهم بطلبة العلم والمتفقهين في الدين ولما جاء زين حبيش الى صفوان ابن عسال في طلبة العلم قال له بلغني ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وازدحم الناس مرة على باب ابن المبارك فقال احق هؤلاء من رواية سرور الا بد يغبطهم بازدحامهم على طلب العلم لانه يرى ان الخلود في النعيم المقيم ولهذا تاسف معاذ عند موته وبكى على مفارقة مجالس الذكر فقال غالبا بكى على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتا ومزاحمة العلما بالركب عند حلق الذكر ويتبغي للعالم ان يرغب بطلبة العلم ويوصيهم بالعمل به كما قال الحسن لاصحابه وقد دخلوا عليه يوما مرحبا بكم واهلا حياكم الله بالسلام وادخلنا واياكم دار السلام هذه غاية حسنة ان صبرتم وصدقتم ويقتنم لا يكون حظكم رحمكم الله من هذا الخير ان تسمعوا هذه الاذن فتخرج من هذه الاذن فاعرفوا حق الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا على ما تعرضون وتركب الكعبة كانكم والله معا ونشرح الآن في شرح حديث ابي الدرداء الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وفي حرز سهل الله له به طريقا الى الجنة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا الى الجنة سلوك الطريق للناس العلم يحتمل ان يراد به السلوك الحقيقي وهو السعي بالاقدام الى مجالس العلم ويحتمل ان يشمل ما هو اعم من ذلك من سلوك الطرق المعنوية المؤدية الى حصول العلم مثل حفظه ودراسته ومطالعته وكتابته ومذاكرته والتفهم له والتفكر فيه ونحو ذلك من الطرق التي يتوصل بها الى العلم واما قوله سهل الله له به طريقا الى الجنة فانه يحتمل امورا منها ان يسهل الله لطالب العلم الذي طلبه وسلك طريقه ويسره عليه فان العلم طريق موصل الى الجنة وهذا كقوله تعالى واعدد لهم ذكرا لقدر المذكور فدل من مذكور قالت طائفة من السلف في هذه الآية هل من طالب علم فيعان عليه ومنها ان ييسر الله لطالب العلم العلم فمتى طلب العلم ذا قصد بتعلمه وجه الله فيجعله الله سببا لهداية والانتفاع به والعمل به وذلك من طرق الجنة الموصلة اليها ومنها ان الله ييسر لطالب العلم الذي طلبه للعمل به علوما اخر ينتفع بها فيكون ذلك طريقا موصلا الى الجنة وهذا كما قيل من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وكما يقال ثواب الحسنة الحسنة بعدها والى هذا اشار بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فمن التمس العلم ليهتدي بزاده الله هدى وعلوما نافعة توجب له اعمالا صالحة وكل هذه طرق موصلة الى الجنة ومنها ان الله تعالى قد ييسر لطالب العلم للانتفاع به في الآخرة سلوك الطريق الحسي المفضي الى الجنة وهو الصراط وما هو وما قبله من الاهوال العظيمة والعقابات الشديدة الشاقة وسبب تيسير طريق الجنة على طالب العلم اذا اراد به وجه الله عز وجل من حكمة صيانة العلم يدل الله من اقرب الطرق اليه فمن سلك طريقا ولم يعرج عنه وصل الى الله الى الجنة من اقرب الطرق واسهلها فسهلت عليه الطرق الموصلة الى الجنة كلها في الدنيا والآخرة ومن سلك طريقا يظن ان طريق الجنة بغير علم فقد سلك اعسر الطرق واشقها ولا يصل الى المقصود مع عسر وشدة فلا طريق الى معرفة الله والوصول الى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة الا بالعلم النافع الذي بعث به رسله وانزل به كتبه فهو الدليل عليه وبه يهتدي في عماية الجهل والشبهة وانسكوك وبه يعرف الله كتابه نور يهتدي به في الظلمات كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل من جاء بعلم موروثا عن النبوة بالنجوم التي يهتدى بها في الظلمات كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة وهذا في غاية المطابقة لان طريق التوحيد والعلم بالله واحكامه وثوابه وعقابه لا يدرك بالحس انما يعرف بالدليل وقد بين ذلك كله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فالعلماء بما انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هم الادلاء الذين يهتدى بهم في ظلمات الجهل والشبه والضلال فاذا فقد وصل الناس

وقد شبه العلماء بالنجوم والنجوم في السماء وفيها ثلاث فوائد يهتدى بها في الظلمات وهي زينة للسماء ورجوم للشياطين الذين يستمعون
التسمع منها والعلماء في الارض تجتمع فيهم هذه الاوصاف الثلاثة فهم يهتدى بهم في الظلمات وهم زينة الارض ورجوم للشياطين
الذين يخلطون الحق بالباطل ويدخلون في الدين ما ليس منه من اهل الاهواء ما دام العلم باقيا في الارض فالناس في هدى وبقاء العلم
بحملته فاذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس في الضلال كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا
ينتزعه من صدور الرجال ولكن يذهب العلم بذهاب العلماء واذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير
علم فضلوا واضلوا وخرج الترمذي من حديث جبير ابن نفير عن ابي الدرداء قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا اوان
يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء فقال زياد ابن لبيد كيف يختلس منا العلم وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرئنه ولنقرئنه
نساءنا وابناءنا فقال ثكلتك امك يا زياد ان كنت لاعدك من فقهاء اهل المدينة هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما
ذا تغني عنهم قال جبير ابن نفير فلقيت عبادة ابن الصامت فقلت الا تسمع ما يقول ابو الدرداء فاخبرته بالذي قال فقال صدق ابو
الدرداء لو شئت لاخبرتك باول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك ان تدخل المسجد فلا ترى فيه خاشعا وخرج النسائي من حديث
جبير ابن نفير عن عوف ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وفي حديث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلالة اليهود والنصارى
على ما في ايديهم مرفوعا بالله صلى قال جبير فلقيت شداد ابن اوس فحدثته بحديث عوف فقال صدق الا اخبرك باول ذلك يرفع الخشوع
حتى لا ترى خاشعا وخرج احمد نحوه من حديث زياد ابن لبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر شيئا فقال ذاك عند اوان
ذهاب العلم فذكر الحديث وفيه قال وليس اليهود والنصارى يقرأون التوراة والانجيل لا يعملون بشيء مما فيها ولم يذكر ما بعد هذا
فهذه الاحاديث ان ذهاب العلم بذهاب العلماء وقد فسر الصحابة رضي الله عنهم هذا وذلك بذهاب العلم النافع من
القلوب وهو الخشوع وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه قال يوشك ان يرفع من العلم الخشوع وقال الحسن العلم علمان علم على
اللسان فذاك حجة الله على ابن ادم وعلم على القلب فذاك العلم النافع وروى هشام عن الحسن مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم
عن ابن مسعود قال ان مما يدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت ولكن اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع فذاك العلم النافع هو ما باشر القلب
وتدفق فيه معرفة الله وعظمته وخشيته والاجلال له والتعظيم لحرمته ومجته وما كان هذا شأنه في القلب خشع لخشوعه الجوارح كلها
تبعا لخشوعه وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اعوذ بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع وهذا يدل على ان
العلم الذي لا يوجب الخشوع للقلب فهو علم غير نافع وروي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن علم ما فعا وفي حديث اخر قال
سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع وانما العلم الذي على اللسان فهو حجة الله على ابن ادم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن حجة لك او عليك فاذا ذهب من الناس العلم الباطن في القلوب الظاهر على الالسنة حجة ثم يذهب هذا العلم الذي هو حجة بذهاب
حملته ولا يبقى من الدين الا اسمه فيبقى القرآن في المصاحف ثم يسري به في اخر الزمان فلا يبقى منه في مصاحف ولا في القلوب شيء
ومن هنا انقسم من قسم من العلماء الى باطن وظاهر فالباطن ما باشر القلوب فاثمر لها الخشية والخشوع والتعظيم والاجلال والمحبة والشوق والانس والظاهر ما كان على اللسان فيه تقوم حجة الله على عباده وكتب وهب ابن منبه الى مكحول الكلاعي لما اصبت بما ظهر من امر الاسلام محبة وزلفى وفي رواية اخرى اذا كتب اليه انك قد بلغت بظاهر علمك عند الناس منزلة شرفا فاطلب
بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى واعلم ان احد المنزلتين تمنع الاخرى فاشار وهب الى علم الفتاوي والاحكام والحلال والحرام
والقصص والوعظ وهو ما يظهر على اللسان وهذا العلم يوجب لصاحبه محبة الناس له وتقويمه عندهم فيحذره من الوقوف عند ذلك
والركون اليه والالتفات الى تعظيم الناس ومجدهم فان من وقف مع ذلك فقد انقطع عن الله واحتجب بصفات المخلوقين عن الحق واشار بعلم
الباطن الى العلم الذي يباشر القلوب فيحدث لها الخشية والاجلال والتعظيم وامره ان يطلب هذه المحبة من الله والقرب منه والزلفى لديه وكان كثير من السلف كسفيان الثوري وغيره يقسمون العلماء الى ثلاثة اقسام يقولون عالم عالم بالله وعالم
بامر الله ويشيرون بذلك الى من جمع بين هذين العلمين المشار اليهما الظاهر والباطن وهؤلاء اشرف العلماء وهم الممدوحون

ز في قوله

في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله الآية وقال كثير من السلف ليس العلم كثرة الرواية ولكن العلم الخشية وقال بعضهم كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا ويقولون ايضا عالم بالله ليس عالما بالله وهم يسمون العلم الظاهر الذي لا تفاد لهم في العلم الباطن وليس لهم خشية ولا خشوع وهؤلاء مذمومون عند السلف وكان بعضهم يقول هذا هو العلم الفاجر وهؤلاء الذين وقفوا مع ظاهر العلم ولم يصل العلم النافع الى قلوبهم ولا شموا له رائحة غلبت عليهم الغفلة والقسوة والاعراض عن الآخرة والتنافس في الدنيا ومحبة العلو فيها والتقدم بين اهلها وقد منعوا احسان الظن بمن وصل العلم النافع الى قلبه فلا يحبونهم ولا يحالسونهم وربما ذموهم واليس هؤلاء بعلماء وهذا من خداع الشيطان وغروره ليحجبهم بهم عن الوصول الى العلم النافع الذي مدح الله رسوله وسلف الامة وائمتها ولهذا المعنى كان علماء الدنيا يبغضون علماء الآخرة ويسعون في اذاهم جهدهم كما سعوا في اذى سعيد ابن المسيب والحسن ومالك واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وذلك ان علماء الآخرة خلفاء الرسل وقتلة الانبياء ومن يأمر بالقسط من الناس حسدوا وعادوا المؤمنين ولشرف محبتهم عند الله يعظمون علماء الدنيا وانما يعظمون المال والجاه والتقدم عند الملوك كما قال بعض الوزراء للحجاج ابن ارطاة ان لك دينا وان لك علما وفقها فقال الحجاج اذا تقول انك شرفا وانك ان كنت لحذرا فقال الوزير والله انك لتصغر ما عظم الله وتعظم ما صغر الله وكثيرا ممن يدعي العلم والدين يتكلم فيمن لم يقتصر عليه ويذم العلم الظاهر الذي هو الشرع الشرائع والاحكام والحلال والحرام ويطعن في اهله ويقولون هم محجوبون اصحاب قشور وهذا يوجب القدح في الشريعة والاعمال الصالحة التي جاءت الرسل بالحث عليها والاعتناء بها وربما حمل بعضهم عن التكاليف وادعى انها للعامة وانه ما من وصل فلا حاجة له اليها وانها حجاب له وهؤلاء كما قال الجنيد وغيره من العارفين وصلوا ولكن الى سقر وهذا من اعظم خداع الشيطان وغروره لهؤلاء لم يزل يتلاعب بهم حتى اخرجهم عن الاسلام ومنهم من يظن ان هذا العلم الباطن لا يتلقى من مشكاة النبوة ولا من الكتاب والسنة وانما يتلقى من الخواطر والالهامات والكشوفات فاساؤا الظن بالشريعة الكاملة حيث ظنوا ان تلك العلوم التي توجب صلاح القلوب وقربها من علام الغيوب اوجب لهم ذلك الاعراض عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الباب بالكلية والتكلم فيه بمجرد الآراء والخواطر فضلوا وأضلوا فضحك من ان اكمل العلماء وافضلهم العلماء بالله العلماء بامر الله الذين جمعوا بين العلمين وتفقوا فيهما معا من الوحيين اعني الكتاب والسنة وعرضوا كلام الناس في العلمين على ما جاء به الكتاب والسنة فما وافق تلقوه وما خالف ردوه وهؤلاء خلاصة الخلق وهم افضل الناس بعد الرسل وهم خلفاء الليل حقا وهؤلاء خلفاء الرسل حقا وهؤلاء اكبر في التجارة كالخلفاء الاربعة ومعاذ وابي الدرداء وسلمان وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وغيرهم كذلك فيمن بعدهم كالحسن وسعيد ابن المسيب وعطاء وطاوس ومجاهد وسعيد ابن جبير والنخعي ويحيى ابن ابي كثير وفيمن بعدهم كالثوري والاوزاعي والحمادين وغيرهم من العلماء الربانيين وقد سماهم علي ابن ابي طالب رضي الله عنه العلماء الربانيين يشير الى انهم الربانيون الممدوحون في غير موضع من كتاب الله عز وجل فقال الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع ثم ذكر كلاما طويلا وصف به علماء السوء والعلماء الربانيين وقد شرحناه في غير هذا الموضع والمقصود ههنا ان التماس العلم سبب موصل الى الجنة وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وكان ابن مسعود اذا ذكر هذا الكلام يقول اني لا اعني القصص ولكن حلق الفقه وروي عن انس معناه ايضا وقال عطاء الخراساني مجالس الذكر مجالس الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع وتصوم وتصلي وتنكح وتطلق واشباه هذا وقال يحيى ابن ابي كثير درس العلم صلاة وكان ابو السوار العدوي في حلقة يدرس وسمع بتذاكر وفد العلم ومعهم فتى شاب فقال لهم قولوا سبحان الله والحمد لله فغضب ابو السوار وقال ويحك في اي شيء كنا اذا والمراد من هذا ان مجالس الذكر لا تختص بالمجالس التي يذكر فيها اسم الله بالتسبيح والتكبير والتحميد ونحو ذلك بل تشمل بما بينه لعباد الله العلم بالله وبحقه وبحلاله وحرامه وما يحبه ويرضاه فان ربما كان هذا الذكر انفع من ذلك لان معرفة الحلال والحرام واجبة في الجملة على كل مسلم بحسب ما يتعلق به من ذلك واما ذكر الله باللسان فان كثر ويكون تطوعا

بعد عناية بامره بين عالم باسم

وقد يكون واجبا كالذكر في الصلاة المكتوبة وما معرفة ما امر الله به ونهى عنه وما يجب ويرضاه وما يكرهه ويسخطه عنه فيجب
على كل من احتاج الى شئ من ذلك ان يتعلمه ولهذا روي ان طلب العلم فريضة على كل مسلم فانه يجب على كل مسلم معرفة ما يحتاج
اليه في دينه كالطهارة والصلاة والصيام ويجب على من له مال معرفة ما يجب عليه في ماله من زكاة ونفقة وحج وجهاد
وكذلك يجب عليه من بيع ويشتري ان يتعلم ما يحل ويحرم من البيوع كما قال عمر رضي الله عنه لا يبيع في سوقنا الا من قد تفقه
في الدين خرجه الترمذي ويروى باسناد غير صحيح عن علي رضي الله عنه قال الفقه قبل التجارة ان من اتجر قبل ان يتفقه فقد
ارتطم في الربا ثم ارتطم وسئل ابن المبارك ما الذي يجب على الناس من تعلم العلم ثم قال لو ان رجلا لم يكن له مال لم يكن
عليه واجب يتعلم الزكاة فاذا كان له مائتا درهم وجب عليه ان يتعلم كم يخرج وفي كم يخرج وان يضع وساق الاشياء على
هذا وسئل الامام احمد عن الرجل ما يجب عليه من طلب العلم فقال ما يقيم به الصلاة وامر دينه من الصوم والزكاة وذكر شرايع
الاسلام وقال ينبغي له ان يتعلم ذلك وقال ايضا الذي يجب على الانسان من العلم ما لا بد له منه في صلاته واقامة دينه
واعلم ان علم الحلال والحرام علم شريف ومنه ما تعلمه فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية وقد نقل العلماء ان تعلم افضل
من نوافل العبادات منهم احمد واسحق وكان ائمة السلف يتورعون الكلام فيه دون غيره لان المتكلم فيه مخبر عن الله بامره ونهيه
مبلغا عنه شرعه ودينه كان ابن سيرين اذا سئل عن شئ من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كانه ليس بالذي كان
وقال عطاء بن السائب ادركت اقواما ان كان احدهم ليسأل عن شئ فيتكلم وان يزيد وروي عن مالك انه كان اذا سئل عن مسئلة
كانه بين الجنة والنار وكان احمد شديد التورع في الفاظ الحلال والحرام او دعوى النسخ ونحو ذلك مما يجسر عليه غيره كثيرا
واكثر اجوبته ارجو واخشى واجب الي ونحو ذلك وكان هو ومالك وغيرهما يقولون كثيرا لا ادري وكان احمد يقول ذلك في
مسئلة يذكر فيها السلف اقوالا عديدة ويريد بقوله لا ادري الراجح المفتى به من ذلك ومن مجالس الذكر ايضا
مجالس العلم التي يذكر فيها تفسير كتاب الله او روي في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كانت رواية الحديث مع تفسير
معانيه فذلك اكمل وافضل من مجرد رواية الفاظه ويدخل في الفقه في الدين كل علم مستنبط من كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم سواء كان من علوم الاسلام التي هي الاعمال الظاهرة والاقوال او من علوم الايمان التي هي الاعتقادات الباطنة
وادلة ذلك وبراهينه المقررة في الكتاب والسنة او من علوم الاحسان التي هي علوم المراقبة والمشاهدة بالقلب ويدخل في
ذلك علم الخشية والمحبة والرجاء والانابة والصبر والرضا وغير ذلك من المقامات وكل ذلك في سنة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
سؤال جبريل له دينا فالفقه فيه من الفقه في الدين ومجالسه من افضل مجالس الذكر التي هي من رياض الجنة وهي افضل من
مجالس ذكر الله بالتسبيح والتكبير والتحميد لانها دائرة بين فرض عين او فرض كفاية والذكر المجرد تطوع محض وقد دخل بعض
السلف مسجد البصرة فراى فيه حلقتين في احداهما قاص وفي الاخرى فقيه فصلى ركعتين واستخار الله في الجلوس الى
احدهما فنعس فراى في منامه قائلا يقول له قد سويت بينهما ان شئت اقعدتك مقعد جبريل عليه السلام من ذلك يعني الفقيه الذي
يعلم العلم وسنذكر فيما بعض النصوص الدالة على افضل العلم على انواع العبادات من الذكر وغيره ان شاء الله تعالى وكان زيد
ابن اسلم من جلة علماء المدينة وكان له مجلس في المسجد يذكر فيه التفسير والحديث والفقه وغير ذلك فجاء اليه رجل فقال اني لاحب
بعض اهل السماء وهو يقول ليس هذا المجلس هو لله في رضوان الجنان امض ثم لا ترانا على اهل المجلس حتى طوى ما بين
يديهم وجاء اليه رجل فقال اني رايت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر جلوسا من الباب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول
انطلقوا بنا الى زيد بمجالسه وسمع من حديثه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس الى جنبك واخذ بيدك فلم يبق زيد بعد هذه
الرؤيا الا قليلا ثم مات رحمه الله ومع ما ذكرنا من تفضيل العلم على التعبد فالعالم لا يستغني احيانا عن موعظة الناس والتعبد
عليهم وازالة قسوة قلوبهم بالتذكير بالله وبامره فان القرآن يشتمل على ذلك كله والفقيه العالم حقا هو من فهم كتاب الله وسنة رسوله
فيركب على الفقيه حق الفقيه لئلا يقنط الناس من رحمة الله ولا يرخص لهم في معاصي الله ولا يدع القرآن رغبة عنه الى غيره

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخول اصحابه بالموعظة خشية السآمة عليهم وقالت صلى الله عليه وسلم ان الملائكة
لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى به وخرج ابن ماجه من حديث زيد بن جبير قال اتيت صفوان بن عسال فقال ما جاء بك فقلت
ابتغاء العلم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة
اجنحتها رضى بما يصنع وخرجه الترمذي وغيره موقوفا على صفوان بن عسال وقد اختلف الناس في وضع الملائكة اجنحتها
فمنهم من حمله على ظاهره قال المراد فرش الاجنحة وبسطها لطلاب العلم تحملهم عليها الى مقاصدهم من الارض الذين يطلبون فيها العلم
اعانة لهم على الطلب وتيسيرا عليهم وقد سمع هذا الحديث بعض المحدثين فقال لطلبة العلم ارفعوا رجلكم عن اجنحة الملائكة
لا تكسرها يستهزئ بذلك فمات من موضعه حتى جئت رجلا وسقط ودوي عن فرقد انه قال الكسر اجنحة الملائكة وضع نعلا
طرقها بمسامير كثيرة ثم مشى بها في مجلس العلم فجئت رجلاه وقعد فيها الاكلة ومنهم من فسر وضع الملائكة اجنحتها بالتواضع و
الخضوع لطلاب العلم كما في قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وفي هذا نظر لان الملائكة لها اجنحة حقيقة بخلاف
البشر ومنهم من فسر ذلك بان الملائكة تحف باجنحتها مجالس الذكر الى السماء كما جاء ذلك مصرحا في حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم ورد مثله في بعض الفاظ حديث صفوان بن عسال مرفوعا ان طالب العلم لتحفه الملائكة باجنحتها ثم يركب بعضها بعضا
حتى يبلغوا الى السماء الدنيا لجم لما يطلب العلم ولعل هذا له ولما شبه والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم ان العالم
ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء فاخبر انه تعالى كما باستغفار ملائكة السماء المؤمنين
عموما بقول الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين امنوا وقوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم
ويستغفرون لمن في الارض فهذا لهم بامتثال عموما فاما العلماء فيستغفر لهم اهل الارض حتى حيتان الماء وخرج الترمذي من
حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته واهل السموات واهل الارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت
ليصلون على معلم الناس الخير وصححه الترمذي وخرج الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم فان معلم الخير يستغفر له كل شيء
حتى الحيتان في البحار وروى من حديث ابن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء يحبهم اهل السماء ويستغفر لهم
الحيتان في البحار اذا ماتوا الى يوم القيامة وقد ورد الاستغفار ايضا لطالب العلم في مسند الامام احمد عن قبيصة ان الخارق قال
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء بك فقلت كبرت سني ورق عظمي فاتيتك لتعلمني ما ينفعني الله به قال يا قبيصة ما مررت
بشجر ولا حجر الا استغفر لك وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم و
ملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وقد ذكر بعضهم السر في استغفار دواب الارض لمعلم الخير هو ان
العلماء يامرون الناس بالاحسان الى المخلوقات كلها وباحسان قتل ما يجوز قتله او زجر من الحيوانات يتعدى ضررهم او الحيوانات
كلها فلذلك يستغفرون لهم ويظهر سر غير معاخر وهو ان سائر المخلوقات مطيعة لله فاستزله غير عصاة الثقلين الجن والانس وكل
الخلق المطيعين لله اهل طاعة فكيف بمن دعى الخلق الى طاعة الله وحضهم وعليهم والعلم هو نور الله في ارضه يعرف الله
وتعرف حدوده وطاعته فمن كانت هذه صفته فان الله يحبه ويكبره ويثني عليه ويامر عباده من اهل السماء والارض وسائر الخلق بمحبته
والدعاء له وذلك هو صلاتهم عليه ويجعل له المودة في قلوب عباده المؤمنين كما قال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا ولا تختص محبته بالحيوانات بل تحبه الجمادات ايضا كما في تفسير قوله تعالى فما بكت عليهم السموات والارض وكان ابن عباس
لا يعبر صبيا وفي الحديث ان الارض تقول للمؤمن اذا دفن ان كنت لاحب من يمشي على ظهري فستري اذ صرت في بطني فكيف
وانما يبغض المؤمن والعالم عصاة الثقلين لان معصيتهم لله انما نشأت من تقديم اهوائهم على محبة الله وطاعته وذكره فجهة الله

واهل طاعته ومن احب الله واحب طاعته احب اهل طاعته وخصوصا من دعى الى طاعته ومن الناس لها وحث عليها وبيان ان العلم
اذا ظهر في الارض وعمل به ردت البركات وزكت الارزاق فيعيش اهل الارض كلهم حتى النملة وغيرها من الحيوانات بركة ذلك و
يستبشر اهل السماء بما يرفع ليستغفروا لمن كان السبب في ذلك وعكس هذا ان من كتم العلم الذي امر الله باظهاره نعنه الله
وملايكته واهل السماء والارض حتى حيتان البحر في الارض الذي بسبب خفائه تظهر المعاصي والظلم والعدوان و
البغي قال الله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون وقد قيل انها نزلت في اهل الكتاب الذين كتموا ما عندهم في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو هريرة يقول
لولا اية في كتاب الله ما حدثتكم شيئا ابدا وتلوا هذه الاية وفي سنن ابن ماجة عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
ويلعنهم اللاعنون قال دواب الارض وقد روي هذا موقوفا على البراء وروي عن طائفة من السلف وقالوا تلعنهم دواب الارض
ويقولون منعنا العشب بخطايا بني ادم فان كتمان العلم النافع سبب لظهور الجهل والمعاصي وقد اوجب خروج اقذر لعاد من بطن
البلاد وهي دواب الارض فتملك بخطايا بني ادم فتلعن الدواب من كان سببا في ذلك وقد ظهر لهذا الامة العلماء من الذين كما
قال علي رضي الله عنه لكميل بن زياد ومحبة العالمين بيان هذا وفي الاثر المعروف كن عالما او متعلما او مستمعا او محبا ولا
تكن الخامس فتهلك قال بعض السلف عند هذا سبحان الله لقد جعل الله لهم مخرجا بينا ان لا يخرج من هذه الاربعة المذمومة الى
الهالك وهو من ليس بعالم ولا متعلم ولا مستمع ولا محب لاهل العلم وهو الهالك فان من ابغض اهل العلم احب هلاكهم ومن احب
هلاكهم فقد احب ان يطغى الله من الارض وتظهر فيها المعاصي والفساد فيحق ان لا يرتفع لهم مع ذلك عمل كان من احب علما
وعالما بالبقاء فقد احب ان يعصى الله بصالح فيحق ان لا يرفع لهم عمل مع ذلك كما قال سفيان الثوري وغيره من السلف وكان
ندم بعض الخلفاء بعض ابا الفرج ابن الجوزي ويسعى في ذلك بجهله فوشى به بعضهم في المنام وهو يجر به الى النار فسئل سبب
ذلك فقيل له كان يبغض ابا الفرج ابن الجوزي قال ابن الجوزي ولما زاد تعصبه على واذاه لجأت الى الله في كف شره فقصمه الله
قريبا ولما قتل الحجاج سعيد ابن جبير كان الناس كلهم محتاجين الى علمه فنفعهم الانتفاع بعلمه فروي في المنام ان الحجاج قتل
بكل من قتله في الدنيا قتلة وقتل سعيد ابن جبير سبعين قتلة ولهذا المعنى كان اشد الناس عذابا من قتل نبيا او سعى في
الارض بالفساد ومن قتل عالما فقد قتل خليقة بني فهو ساع في الارض بالفساد ايضا ولهذا قرن بين قتل الانبياء وبين قتل العلماء
الآمرين بالمعروف في قوله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم وقال تكرمة
وغيره من السلف في قوله من قتل نفسا بغير حق او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
من قتل نبيا او اماما عادلا فكانما قتل الناس جميعا ومن شرع عهدا نبيا او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقد ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقد روي بهذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ايضا من حديث معاذ وابي الدرداء ولكن اسنادها منقطع وهذا المثل تشبيه للعالم بالقمر ليلة البدر وهو نهاية كماله و
تمامه ونوره وتشبيه للعابد بالكواكب وان بين العالم والعابد من التفاوت في الفضل كما بين القمر ليلة البدر والكواكب و
الستر في ذلك والله اعلم ان الكوكب ضوءه لا يعدو نفسه والقمر ليلة البدر فان نوره يشرق على اهل الارض جميعا فينتفعون بنوره
فيستضيئون بنوره ويهتدون به في سيرهم وانما قال على سائر الكواكب ولم يقل على سائر النجوم لان الكواكب هي التي يهتدى
بها في البر والبحر فهي بمنزلة العابد الذي نفعه مقصور على نفسه واما النجوم ففي الخبر يهتدى بها كما قال قتادة وهو الذي جعل لكم
النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فكذلك مثل العلماء من استنار بالنجوم في الحديث الذي سبق ذكره وكذلك روي عمر انزل اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد قيل ان القمر انما يستفيد ضوءه من نور الشمس كما ان العالم نوره مقتبس من نور الرسالة ولكن كذلك شبه
بالقمر ولم يشبه بالشمس وشبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالسراج المنير لان نوره مقتبس من جهة تحاذي ولما كان الرسول سراجا منيرا
يشرق على الارض كان العلماء ورثته وخلفاؤه مشبهين بالقمر عند تمام نوره واضاءته وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم

ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على ضوء كوكب درى فى السماء ولا يبعد والله اعلم ان
يكون العلماء الربانيون من الزمرة الاولى كما كانوا فى الدنيا بمنزلة القمر ليلة البدر لاهل الارض وقد يشاركهم فى ذلك المجردون
من العباد ولا سيما من انتفع الناس بسماع اخبارهم ورقت قلوبهم عند ذكرهم وحنت الى قفاء اثارهم واما الزمرة الثانية
فهم عموم العباد والله اعلم ولما مات الكرنداعي وكان امام اهل الشام فى العلم مع شدة عبادته وكثرة خشيته وحنينه من
الله عز وجل رؤى فى المنام فقال ما رايت هناك اعظم من درجة العلماء ثم درجة المحزونين يعني اهل الخوف من الله والخشية
والحزن وقد دل هذا الحديث على تفضيل العلم على العبادة تفضيلا بينا والادلة الدالة على ذلك كثيرة جدا قال الله تعالى
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات يعني على الذين امنوا
ولم يوتوا العلم كذلك قال ابن مسعود وغيره من السلف وخرج الترمذي من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر
رجلان احدهما عالم والاخر عابد فقال النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقال حديث حسن غريب
وخرج ايضا هو وابن ماجة من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد وخرج
ابن ماجة من حديث عبد الله ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فدخل المسجد فاذا هو بحلقتين احداهما
يقرأون القرآن ويدعون الله عز وجل والاخرى يتعلمون ويعلمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل على خير هؤلاء يقرؤن
القرآن ويدعون الله عز وجل فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وانما بعثت معلما
فجلس معهم وخرج ابن المبارك فى كتاب الزهد وغيره بعد قوله انما بعثت معلما هؤلاء افضل وخرج الطبراني من حديث
عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قليل الفقه خير من كثير العبادة وخرج البزار والحاكم وغيرهما باسانيد متعددة مرفوعا
فضل العالم احب الي من فضل العبادة وخيركم الورع وفى مراسيل الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد
سبعين درجة ما بين كل درجة مسيرة حضر جواد مائة عام والاثار الموقوفة عن السلف فى هذا كثيرة جدا وروي عن ابي هريرة
وابي ذر قال لباب يتعلم الرجل احب الينا من الف ركعة تطوعا وخرج ابن ماجة من حديث ابي ذر مرفوعا وروي عن
ابي الدرداء قال مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة وروى عن ابي هريرة مرفوعا ما عبد الله بافضل من فقه في دين قال
ابو هريرة لان افقه ساعة احب الي من ان احيي ليلة حتى اصبح وعنه قال لن اعلم بابا من العلم في امر ونهي احب الي من سبعين
غزوة في سبيل الله عز وجل وعن ابن عباس قال تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احياها وصح عن ابي موسى الاشعري انه
قال لمجلس احدثه عن عبد الله ابن مسعود اوثق في نفسي من عمل سنة ورؤي عن الحسن انه قال لن اتعلم بابا من العلم تاعلم
مسلما احب الي من ان تكون لي الدنيا كلها اجعلها في سبيل الله عز وجل وعنه قال انكاد الرجل ليصيب الباب من العلم ينفعه به
فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت تعلم فيجعلها في الاخرة وعنه قال مداد العلماء ودم الشهداء يجري يوم القيامة وعنه قال
ما من شيء مما خلق الله اعظم عند الله في عظم الثواب من طلب العلم للحج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة ولا عتق ولو كان العلم
صورة لكانت صورته احسن من صورة الشمس والقمر والنجوم والسماء والارض وقال الزهري تعلم سنة افضل من عبادة مائة
سنة وقال سفيان الثوري وابو حنيفة ليس بعد الفرائض افضل من طلب العلم قال الثوري لا تعلم شيئا من الاعمال افضل من
طلب العلم وحديث من حسنت نيته قبل له واي شيء النية فيه قال يريد به الله والدار الاخرة وقال الشافعي طلب العلم
افضل من صلاة النافلة ورأى مالك بعض اصحابه يكتب العلم فلم يزجره وقام يصلي فقال عجبا لكما الذي فاتكما بالذي
اصبتما اكثر وسئل الامام احمد ايما احب اليك ان اراه صلى بالليل تطوعا او جلس لسماع العلم قال اذا كنت تنشيء ما تعلم بامر دينك فهو
احب اليك وذكر احد ايضا العلم لا يعدله شيء وقال المعافا بن عمران كتابة حديث واحد احب الي من قيام ليلة وهكذا يدل على
تحصيل علم سائر جميع النوافل ان العلم يجمع جميع فضائل الاعمال المتفرقة فان العلم افضل انواع الذكر كله سبق تقريره وهو ايضا
افضل انواع الجهاد وروى من حديث عبد الله بن عمرو النعمان ابن بشير مرفوعا انه يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح

مداد العلماء وخرج الترمذي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع
وورد في حديث اخر اذا جاء الموت طالب العلم فهو شهيد وقال معاذ بن جبل تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه
عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانس في الوحدة والصاحب
في الخلوة وبه يعرف الله ويعبد وبه تمجد ويوحد ويرفع الله بالعلم اقواما فيجعلهم قادة في الخير تقتدى بهم وترجع
بهم في كلام كثير من هذا وقد روي هذا المرفوع من حديث ابي هريرة وغيره ومما يدل على تفضيل العلم على العبادة نصة
ادم عليه السلام فان الله تعالى انما اظهر فضله على الملائكة بالعلم حيث علمه اسماء كل شيء واعترف الملائكة بالعجز عن معرفة ذلك
فلما انباءهم بالاسماء ظهر حينئذ فضله عليهم وقال الله عز وجل لهم الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون وذكر طائفة من المتكلفين الذين كتموه قالوا بل كتموا في انفسهم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منهم وهذا باطل
على تفضيل العالم على جبريل عليه السلام انما فضل على الملائكة المشتغلين على العبادة بالعلم الذي خص به فاضل صاحب الوحي الذي
ينزل به على الانبياء عليهم السلام وكذلك خواص الرسل انما فضلوا على غيرهم من الانبياء عليهم السلام لمزيد العلم المقتضي لزيادة
المعرفة بالله وتخشيه لله ولهذا وصف الله تعالى في كتابه محمد صلى الله عليه وسلم ومدحه بالعلم الذي اختصه به وامتن عليه
بايتاءه اياه مع كثرة واموره ان يسأله المزيد فاول ما ذكره بالعلم وبتعليمه في قصة ابراهيم حين دعا ربه لاهل البيت الحرام ان
يبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم ايته ويعلمهم الكتاب والحكمة ثم امتن تعالى علينا بان بعث فينا رسولا منا وهو محمد
صلى الله عليه وسلم لهذه المنزلة فقال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم ايته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة واول ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن ذكر العلم وفضله وهو قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق
الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وامتن على الجميع بالعلم في مواضع كقوله وانزل عليك
الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وتحدى ان يسأل ربه ان يزيده علما فقال وقل رب زدني
علما وكان صلى الله عليه وسلم يقول انما اعلمكم بالله واخشاكم له وامتن الله علينا ان بعث فينا هذا الرسول الذي يعلمنا
ما لم نكن نعلم وامرنا بشكر هذه النعمة كما قال تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون واخبرنا سبحانه انما يخشاه من عباده العلماء وهم العلماء بالله قال ابن عباس في قوله انما يخشى الله
من عباده العلماء قال انما يخافني من عبادي من عرف جلالي وكبريائي وعظمتي فاضل العلم العلم باسمائه وصفاته
وافعاله الذي يوجب لصاحبه معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وجلاله وعظمته والتبتل اليه والتوكل عليه والرضا عنه
والاشتغال به دون خلقه وبكل ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتفاصيل ذلك والعلم بامر الله
ونواهيه وشرايعه واحكامه وما يحب من عباده من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين
العلماء بالله العلماء بامر الله وهم الكمل من قصر علمه على العلم بالله دون العلم بامره وبالعكس ومشاهدهم بهذا النظر في حال الحسن وابن
المسيب والثوري واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وحال مالك ابن دينار والفضيل ابن عياض ومعروف وبشر وغيرهم
من العارفين فمن قاس بين الحالين عرف العلماء بامره على العلماء بالله فقط فالظن بتفضيل العلماء بالله وبامره على العلماء بامره
فقط فان هذا واضح لا خفاء به وانما يظن بعض من لا علم له بتفضيل العباد على العلماء لانهم يخيلون ان العلماء هم العلماء بامره فقط
وان العباد هم العلماء بالله فقط فرجحوا العالم بالله على العالم بامره وهذا حق ونحن انما نقول اذا كان العالم بالله والعالم بامره
افضل من العباد ولو كان العباد من العلماء بالله لدخل العلماء الربانيين مشاركة العباد في فضيلة العلم بالله بل بما زادوا عليهم فيه

١٢

فالعلم

والفرد وافضله العلم بامر الله وبفضيلة دعوة الخلق الى الله وهذا يهم اليه وهو مقام الرسل عليهم السلام وكذلك كانوا اخلصاء
الرسل ورثتهم كما سنذكره ان شاء الله وهذا القدر الذي انفرد وا به عن العباد فضل من القدر الذي انفرد به العباد من نوافل
العبادات فان زيادة المعرفة بما انزل الله على رسوله توجب زيادة المعرفة بالله والايمان به وجنس المعرفة بالله والايمان به
افضل من جنس العمل بالجوارح والاركان وكم من لا علم له تعظم في نفسه العبادات على العلم لا نه لا يتصور حقيقة العلم ولا
شر فه ولا قدره له على ذلك وهو يتصور حقيقة العبادات وله قدرة على جنسها في جملة وهذا نجد كثيرا من لا علم لديه يفضل
الزهد في الدنيا على العلوم والمتكلمين وسببه ما ذكرناه وهو ان لا يتصور معنى العلم والمعرفة ومن لا يتصور شيئا لا يقدر في صدره
عظمته وانما يتصور الجاهل بالعلم حقيقة العلم بالدنيا وقد عظمت في صدره فعظم عنده من تركها ولو تصور حقارة الدنيا
وهمومها على الله لم يعظم عنده قدر من تركها كما قال شقيق بن ابراهيم البلخي وهو من اجلاء الزهاد وقد رأى شابا فقيل له هؤلاء زهاد فقال واي شيء
قدر الدنيا حتى يمدح من زهد فيها وقال ابو سليمان الداراني قربا من هذا المعنى بعضه فالمفتخر بالزهد في الدنيا كالمفتخر بترك
قرربيس من شيء هو قليل عند الله من جناح بعوضة وهذا هو الحق من ان يذكر فضلا عن ان يفتخر به فلهذا ايضا يعظم في
نفوس كثير من الناس ذكر الخوارق والكرامات ويرونها افضل مما اعطيه العالم من المعرفة بالله وشرعه وهو من تعظيم الغلط
وسببه قلة وجود حقيقة المعرفة والعلم وانما يتصور من حقيقة الخوارق لها من جنس القدرة والسلطان في الجملة الذي يحبه
اكثر الناس عن وانما العلم بالله فلا تعظم هذه الخوارق عندهم بل يرون الزهد فيها ونوعا من نوع الفقر والخمول وبسط
الدنيا على العبد فتنة من الاشتغال بها والوقوف معها والانقطاع عن الله عز وجل وقد ذكر ابو طالب المكي هذا المعنى وكذلك غير
من كثير من العارفين منهم ابو يزيد وابو يحيى بن معاذ وسهل وذو النون والجنيد وغيرهم وقبل ابو طالب المكي هذا المعنى على العلماء
فقال من مكر الله من مخالفة هواه فهو افضل وكان ابو حفص النيسابوري يوما جالسا مع اصحابه خارجا من مدينة هرو يتكلم
عليهم فطابت انفسهم فجاء ابل قد نزل من الجبل حتى بركت بين يديه فبكى بكاء شديدا وانزعج نساؤه عن سبب بكائه فقال رأيت
اجتماعكم حولي وذكرت قلوبكم تنعم في قليل الوقت بي شاة ذبحتها ودعوتكم عليها فما تحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فترك
بين يدي فخيل لي ابي مثل نزعوت الذي سال دمه ان يجري له النيل فاهوى اليه فقلت فما بؤ مني الله بعضني كما حطابي في الدنيا
والبقي في الآخرة فغير الاشتغال بهذا الذي انجبني فاحوال العارفين كلها تدل على انهم لم يكونوا يلتفتون الى هذه الخوارق وانما
كان اهتمامهم بمعرفة الله وخشيته ومحبته والانس به والشوق الى لقائه وطاعته والعلماء الربانيون يشاركونهم في ذلك
ويزيدون عليهم بالعلم بامر الله بدعوة الخلق الى الله وهذا هو الفضل العظيم عند الله وملائكته ورسله كما قال بعض السلف
من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماوات فاذا علم فضل العالم على العابد فانما نعرف تفضيله على العابد بعلم
فاما العابد بغير علم فخاسر مذموم ولهذا شبهه السلف بالسائر على غير طريق وبالذي يفسد اكثر مما يصلح وبالحمار في الطاحونة
يدور حتى يكل من التعب ولا يبرح مكانه وهذا شديد الظهور واضح لمن يحتاج الى بسط القول فيه ولنذكر بعض
ههنا امثلة جامعة لاحوال خلق كلهم بالنسبة الى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به في جابر دعوته الى الخلق
ومقتصد وظالم لنفسه ويربظهر فضل العلماء الربانيين على غيرهم من الناس اجمعين فنقول مثل ذلك كمثل الرسول
قدم من بلاد الملك الاعظم نادى رسالة الملك الى سائر البلد ونو ظهر لهم صدقه في رسالته فكان مضمون رسالته التي اداها
من عند الملك الاعظم الى رعيته ان هذا الملك لا احسان ثم من احسانه ولا عدل اكمل من عدله ولا بطش اشد من بطشه وانه لابد
ان يستدعي الرعية كلهم اليه ليقفوا بين يديه فمن قدم عليه باحسانه جازاه باحسانه افضل الجزاء ومن قدم عليه باساءة جازاه باساءته
اشد الجزاء وانه يحب ذلك كذا وكذا ويكره كذا وكذا ولم يدع شيئا مما تعلم الرعية ان اخبرهم مما يحبه الملك منه وبما يكرهه وامرهم بالتجهز
والسير الى دار الملك التي فيها اقامتهم ولجزهم بخراب جميع البلدان سوى ذلك البلد وان من لم يتجهز للسير اليه الملك من يزعجه
من وطنه على اسوء حال وجعل يصف صفات هذا الملك الحسن من الجمال والكمال والجلال والافضال فانتشر الناس في جابر دعوته

هذا الرسول الداعي الى الملك فساء ما عد بقية فهم من صدقه ولم يكن اه هم الا السؤال عما يجب هذا الملك من الرعية استحجاب
الحداره عند السير البر فاشتغل بتحصيله لنفسه وبدعاء من يمكنه دعاؤه من الخلق الى ذلك وعما يكرهه هذا الملك فاجتنبه
وامر الناس باجتنابه وجعل همه لعظم التوال عن صفات الملك وعظمته وافعاله فزاد ذلك محبة لهذا الملك وجلالا له و
الشوق الى لقائه فاذا كان الملك مستحبا الانظر ما يقدر عليه مما يحبه الملك ويرضيه والدليل الذي هو الرسول الصادق والطريق
الطرق التي يتوصل بالسير فيها الى الملك وما ينفع من التزود للسير فيها وعمل ما يقتضيه ذلك في السير هو من اتبعه فهذا
صفة العلماء الربانيين الذين اهتدوا وهدوا الخلق معهم الى طريق الله وهؤلاء يقدمون على الملك فيدوم العاكف على اعماله
المستنظر بن لقدومه المتشوقين اليه اشد التشوق وقسم آخرون اشتغلوا بالناهب لمسيرهم بانفسهم الى الملك
ولم يتفرغوا لاستصحاب غيرهم معهم وهذه صفة العباد الذين تعلموا ما ينفعهم واشتغلوا بالعمل بمقتضاه رحمة الله عليهم
وقسم آخرون تشبهوا باحد القسمين واظهروا للناس انهم منهم وان قصدهم التزود للرحيل وانما كان قصدهم استبطان
دارهم الفاخرة وهم العلماء المراؤن بعلمهم ليناوا بذلك مصالح دارهم التي هم بها مستوطنون وحال هؤلاء عند الملك اعظم
ذاقة مراعلى شرحال ويقال لهم يوم جزاء اعمالكم من علم لهم فليس لكم عندنا من خلاق وهم اول من يستعر بهم النار من اهل التوحيد
وقسم آخرون فهموا ما اداه الرسول من رسالة الملك ولكنهم غلب عليهم الكسل والتقاعد عن التزود والتشمر واستحجاب
ما يحب الملك واجتناب ما يكرهه وهؤلاء العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم وهم على شفا هلكة وربما انتفع غيرهم بعلمهم ووصفهم
لطريق السير فسار المتعلمون فنجوا وانقطع من تعلموا منه في الطريق فهلكوا وقسم آخرون صدقوا الرسول فيما ادعى
اليه من دعوة الملك لكنهم لم يتعلموا طريق السير ولا عرفوا تفاصيل ما يحبه وما يكرهه فساروا بانفسهم وزوادتهم في
طريق شاقة ومفاوز وقفار وعرة فهلك اكثرهم وانقطعوا في الطريق ولم يصلوا الى دار الملك وهؤلاء الذين يعملون بغير
علم وقسم آخرون لم يهتموا لهذه الرسالة ولا نعوا بها رأسا واشتغلوا بمصالح اقامتهم في اوطانهم التي اخرج الرسول
بخراجها وهؤلاء منهم من كذب الرسول بالكلية ومنهم من صدقه بالقول ولكنه لم يشتغل بما فرض عليه ولا بالعلم به
وهؤلاء عموم الخلق المعرضون عن العلم والعمل ومنهم الكفار والمنافقون ومنهم العصاة الظالمون لانفسهم فلم يشتروا
الا قطرفهم داعي الملك فاخرجهم عن اوطانهم واستدعاهم الى الملك فقدموا عليه قدوم الابق على سيده الغضبان فاذا امعنت
اقسام الناس المذكورة لم تجد اشرف ولا اقرب عند الملك من العلماء الربانيين فهم افضل الخلق بعد المرسلين ثوله صلى الله
عليه وسلم ان العلماء ورثة الانبياء يعني انهم ورثوا ما جاء به الانبياء عليهم السلام من العلم فحملوا الانبياء في امتهم بالدعوة الى الله
والى طاعته والنهي عن معاصي الله والذب عن دين الله وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحمة الله على خلفائي قالوا
يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وروي نحوه من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه
مرفوعا ايضا فالعالم في مقام الرسل بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل عليهم وقال ابن عيينة اعظم الناس منزلة من
كان بين الله وبين خلقه الانبياء والعلماء وقال سهل التستري من اراد ان ينظر الى مجالس الانبياء فلينظر الى مجالس العلماء
يجيء الرجل فيقول يا فلان ايش تقول في رجل حلف على امرأته بكذا وكذا فيقول طلقت امرأته ويجيء آخر فيقول ليس تقول
في رجل حلف على امرأته بكذا وكذا فيقول ليس يجب بهذا القول وليس هذا الا لبيب او نعام فاعرفوا لهم ذلك وذات امرأة من
العابدات في زمن الحسن البصري في منامها كأنها تستفتي في المسجد فتقول لها استفتيا وفيكم الحسن وفي يده خاتم جبرئيل
عليه السلام وفي هذا اشارة الى ورائة الحسن ما جاء به جبرئيل من الوحي بخاتمه ورأى بعض العلماء النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال له يا رسول الله قد اختلف علينا في مالك والليث ايهما اعلم فقال صلى الله عليه وسلم مالك ورث حجرة يعني
ورث علم ورأى بعضهم في منامه النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا في المسجد والناس حوله ومالك قائم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
وبين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مكتله وهو يأخذ منه قبضة قبضة فيدفعها الى مالك ومالك يناولها الناس فقال للناس ذلك مالك علم

واتباع

واتباع السنة ورأى الفضيل بن عياض في منامه النبي صلى الله عليه وسلم جالسا والى جانبه فرجة فجاء ليجلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مجلس ابي اسحق الفزاري فسئل بعضهم ايهما كان افضل ابو اسحق والفضيل فقال كاد فضيل رجل نفسه كما ابو اسحق رجل عامة يشير الى انه كان عالما ينتفع الناس بعلمه وكان فضيل عابدا لنفسه والعلما في الاخرة يتلون الانبياء في الشفاعة وغيرها كما في الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقال مالك ابن دينار انه يقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف فاشفع وقد روي هذا مرفوعا من حديث ابي هريرة باسناد ضعيف جدا وللعلماء الكلام في الموقف بالحق اشتبهت الامور على الناس ماذا ظن اهل الموقف انهم لم يلبثوا في قبورهم الا ساعة بين اهل العلم ان الامر على خلاف كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون والعلما يجبرون يوم القيمة يجزي المشركين بالله كما قال تعالى يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وقد روي في حديث مرفوع ان الناس يحتاج في الجنة الى العلما كما يحتاجون اليهم في الدنيا اذا استدعى الرب اهل الجنة لزيارته وقال لهم سلوني ما شئتم فيلتفتون الى العلماء منهم فيقولون لهم سلوه ربنا نير فاني الجنة اعظم منها وهذا كله يبين ان لا درجة بعد النبوة افضل من درجة العلماء وقد يطلق اسم العلماء ويراد خال الانبياء فيهم كما في قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فلم يفرد الانبياء بالذكر بل ادخلهم في مسمى العلماء وكفى بهذا شرفا للعلماء انهم يسمون باسم يجتمعون هم والانبياء فيه ومن هنا قال من قال العلماء العاملين وهم اولياء الله كما قال ابو حنيفة والشافعي ان لم يكونوا فقهاء العلماء واولياء الله فليس لله ولي قال الامام احمد في اهل الحديث انهم الابدال ثبت صلى الله عليه وسلم ان العلماء لم يورثوا دينارا ولا درهما وورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر والمراد بهذا ان العلماء ورثة الانبياء فيما خلفوه وان الذي خلفه الانبياء هو العلم النافع فمن اخذ العلم وحصل له قدر حصل له الحظ العظيم الوافر الذي يغبط بصاحبه وراى ابن مسعود قوما في المسجد يتعلمون فقال رجل عما اجتمع هؤلاء قال على ميراث محمد يقتسمونه وخرج ابو هريرة الى السوق فقال الا هلم تركتم ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد وانتم هاهنا فتركه النبي صلى الله عليه وسلم وميراثه هو هذا الكتاب الذي جاء به مع السنة المفسرة له المبينة لمعانيه وفي صحيح البخاري عن ابن عباس انه سئل ان ترك النبي صلى الله عليه وسلم من شيء فقال ما ترك الا ما بين الدفتين يعني دفتي المصحف وفي الصحيحين عن ابي جحيفة في ابي لو في انه سئل هل اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء فقال اوصى بكتاب الله وخطب صلى الله عليه وسلم في مرجعه من حجة الوداع بغدير خم فقال انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ كان على الهدى ومن اخطاه ضل هو جزء مسلم وفي المسند عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال انا النبي الامي قالها ثلاث مرات ولا نبي بعدي اوتيت فواتح الكلم وجوامعه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وعوفيت وعوفيت امتي فما سعوا واطيعوا ما دمت فيكم فاذا ذهبت فعليكم بكتاب الله احلوا حلاله وحرموا حرامه وقال صلى الله عليه وسلم ان العلماء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم يريد انه لم يورث عنهم سوى العلم وهذا بين ان المراد بقوله تعالى وورث سليمان داود وقوله عن زكريا رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب انما اريد به ميراث العلم والنبوة لا المال فان الانبياء لا يجمعون ما لا يتركونه بعدهم ليورث عنهم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة وقال ما تركت بعد مؤنة عاملي ونفقة عيالي فهو صدقة يعني ما تركه صلى الله عليه وسلم الذي عرضه وسلاحه وبغلته البيضاء وارضا جعلها صدقة فلم يختلف سوى الجهاد الذي يعتبر به والارض التي كان ينفق منها هو وعياله ردها صدقة على المسلمين وكل هذا اشارة الى ان الرسل لم تبعث بجمع الدنيا وتوريثها لاهلها وانما بعثوا بالدعوة الى الله والجهاد في سبيله والعلم النافع وتوريثه لامتهم وفي مراسيل ابي داود عن ابي صالح الخولاني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحى الله الي

ان اجمع المال واكن من التاجرين ولكن اوحى الي اسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واخرجه
ابو نعيم وفي الترمذي وغيره عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل في ظل
شجرة ثم راح وتركها فقول صلى الله عليه وسلم ان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما
ورثوا العلم فيه اشارة الى امرين احدهما ان العالم الذي هو وارث الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة كما انه ورثه علمه ينبغي
ان يورث العلم كما فعل الرسول العلم وتوريث العالم العلم هو ان يخلفه بعده بتعليم او بتصنيف ونحو ذلك مما ينتفع به بعده
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث علم نافع او صدقة جارية او ولد صالح يدعو له
فالعالم اذا علم علما من يقوم به بعده فقد خلف علما نافعا وصدقة جارية له تعليم العلم صدقة كما سبق عن معاذ وغيره و
الذين علمهم بمنزلة اولاده الصالحين يدعون له فيجتمع له بتخليف علمه انتفاع الثلاث والامر الثاني ان من كان ميراث العالم
للرسول عليه السلام ان لا يخلف الدنيا كما لم يخلفها الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا من جملة الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم
وسنته في زهده في الدنيا وتقلله منها واجتزائه منها باليسير كما كان سهل التستري يقول من علامة حب الآخرة
وبغض الدنيا ان لا يأخذ منها الا زادا او بلغة الى الآخرة وقال مالك ان دينارا نما العالم الذي اذا اتيته في بيته فلم تجده قص
عليك بيته دابت حصيره للصلاة ومصحفه ومطهرته في جانب البيت تراث الآخرة وكان الفضيل يقول اخذ هذا عالم
الدنيا لا يصدكم بسكره ثم قال لكن بعض علمائكم ذبت راشده بزي كسرى وتيصر منهج محمد صلى الله عليه وسلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم
لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه وكان يقول العلماء كثير والحكماء قليل وانما يراد من العلم
الحكمة فمن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهكذا كان حال العلماء الربانيين كان الحسن وسفيان وغيرهما اجتزؤا
من الدنيا باليسير الذي حزموا منها ولم يخلفوا سوى العلم مع ان بعضهم كان يلبس لباسا حسنا ويأكل الاطعمة بعيدا من
التقشف كالحسن البصري فانه كان يأكل اللحم كل يوم كان يشتري بنصف درهم لحما فيطبخه مرقة طيبة فيأكل منه هو وعياله ويطعم
كل من دخل عليه وكان يلبس الثياب الحسنة وهو مع هذا من زهد الناس في الدنيا وما زاحم على شيء منها قط وكان الناس اذا
دخلوا عليه حزروا من عنده ولا يعدون له شيئا وما راؤا احدا احتقر الدنيا منه وكانوا يدخلون عليه في مرضه يعودونه
وليس في بيته الا سرير مرمول هو عليه وليس فيه قليل ولا كثير حتى قال عون انما يذكر الحسن الناس بالزهد في الدنيا واما العلم
فقد شورك فيه وكان الحسن يقول انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير في العبادة القائم بسنة محمد صلى الله
عليه وسلم من رأى محمدا فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة انما رفع له علم فشمر اليه وكان
سفيان الثوري اشد تقشفا في ملبسه من الحسن حتى كان من بزه لا يدفر يظنه من السؤال وكان من شدة ورعه اذا وجد
الحلال اكل منه طيبا واذا لم يجد حيلا لا استف الرمل وربما بقي ثلاثا لا يطعم شيئا مع عرض الناس عليه الاموال الكثيرة وكان
اذا شبع من الحلال يزيد في علمه ويقول اطعم الزمخي وكده وكان اشهر الناس في زمانه حتى كان يتعوذ بمجالسه من الدنيا
ولم السلاطين والملوك والاغنياء اذل منهم في مجلسه ولا الفقراء المساكين اعز منهم في مجلسه وكان الخوف قد غلب عليه
فلما مرض مرض الموت حمل اليه الى طبيب فقال ليس لهذا داء هذا قد نفث الحزن والخوف قلبه كبده ويقال انه لم يكن في زمانه
من هو اخوف لله منه ولا من هيبة الله في صدره اعظم منه ولما مات قال بعض العلماء معشر القراء كانوا الدنيا بالدين فخذ ما شئت
سفيان يعني ما بقي بعده لحديث متى منه وأما الامام احمد فكان اشد تقشفا منهما في عيشه واكثر مراعاة لخشونة
العيش والقلة وكانت معيشته من حوانيت ورثها من ابيه واخذ بجزئها في الشهر دون عشرين درهما ومات ولم يخلف الا
قطعا في خزانة له كان وزنها دون نصف درهم وترك عليه دينا فضي عنه من ثمن ثوب مع كثرة ما كان يرد عليه من الهدايا من
الجوائز والصلات وكان يحيى بن ابي كثير من العلماء الربانيين المتوسعين في العلم وكان يقال انه لم يبق بعد وجد الا من مثله وكان
حسن الشاب حسن الهيئة فلما مات خلف ثلاثين درهما كسوه بها وكان محمد بن سالم الطوسي من العلماء الربانيين

الرهاد فمات ولم يخلف سواكسا ثم ولبد فوضعوها على العشر وانا اللوضو تصدق تواضع فكان الماء على السطوح يجلس في جمار تر هذا العالم الذي خرج من الدنيا وهذا ميراثه الذي على الجنازة ليس مثل علمائنا هؤلاء عبيد بطونهم يجلس احدهم مع سنتين او ثلاثة فيشتري الضياع ويستفيد المال وقال العباس بن مرداس سمعت لعجا يقولون صار في الارض اربعين الف دينار يعني من السلطان من بني امية وبني العباس فلما مات ما خلف الا سبع دنانير يعني مزرعة وما كان لا رض ولا دار قال العباس نظرنا فاذا هو لم يخرج في سبيل الله فالفقراء وقد وصف الله تعالى العلماء في كتابه بما وصف منها لخشية والخشوع والبكاء كما سبق ذكره ومنها احتقار الدنيا والتزهيد فيها كما قال في قصة قارون لما خرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون قيل للامام احمد بن المبارك قيل له كيف يعرف العالم الصادق فقال الذي يزهد في الدنيا ويقبل على امر الآخرة فقال احمد نعم هكذا ينبغي ان يكون وكان الامام احمد ينكر على اهل العلم حبهم للدنيا والحرص على طلبها واعلم ان زهد اهل العلم واجب اسوة لمن الجهال بهم وتقديم جهال المتعبدين عليهم ما دخل عليهم من التطمع في الدنيا وقد رأى عبد الله بن ابي رجل يقص فقال له اسألك مسئلة فان خرجت منها والا علوتك بهذه الدرة فقال له سل يا امير المؤمنين فقال له ما ثبات الدين قال الورع قال فما ثبات الورع قال التطمع فقال له قص فانك بقص وهذا السؤال من علي رضي الله عنه لهذا القاص فيه اشارة الى من نشر علمه للناس وتكلم عليهم فينبغي ان يكون ورعا تماما في ابدانهم غير طامع في شيء من اموالهم بل ازالة قلوبهم والاجتلاب قلوبهم اليه وانما ينشر علمه لله عز وجل ويتعفف عن الناس بالورع وفي سنن ابن ماجة عن ابن مسعود قال لحواري اهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند اهله سادوا اهل زمانهم ولكن بذلوه لاهل الدنيا لتنالوا به من دنياهم فهانوا عليهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم آخرته كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في احوال الدنيا لم يبال الله في اي اوديتها هلك وقال ابو حازم الزاهد لقد اتت علينا برهة من دهرنا وما عالم يطلب هذا الامر وكان الرجل اذا علم اكتفى بالعلم عما سواه فكانت الامراء تصنعهم وتتلمس منهم فكان في ذلك صلاحا للفريقين للمولى والمولى عليه ولما ولي الامراء ان العلماء قد غشوهم وجالسوهم وسألوهم ما في ايديهم هانوا عليهم وتركوا الاقتباس منهم فكان في ذلك هلاكا للفريقين المولى والمولى عليه ودخل اعرابي البصرة فقال من سيد اهل هذه القرية قالوا الحسن قال وبماذا سادهم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم وكان الحسن يقول لكل شيء شينا وشين العلم الطمع وقال من ازداد علما فازداد للدنيا حرصا لم يزدد من الله الا بعدا ولم يزدد الله له الا بغضا ولجتاز الحسن يوما ببعض القراء على ابواب بعض السلاطين فقال قرحتم جباهكم وتركتم قلوبكم وجئتم بالعلم تحملونه على ظهوركم الى ابوابهم فزهدوا فيكم اما انكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكونوا هم الذين يسألون اليكم كان اعظم لكم في اعينهم تفرقوا فرق الله بين اصلاعكم وفي رواية قال تفرقوا فرق الله بين اوصالكم واجسادكم فرحتم بغائكم وغنمتم ثيابكم وجزتم شعوركم ونفختم افراصكم الله اكم والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم ابعد الله من ابعد وفي الجملة فمن لا يصون نفسه لا ينتفع بعلمه ولا ينتفع غيره به قال الشافعي من قرأ القرآن عظمت قيمته ومن كتب الحديث قويت حجته ومن تفقه نبل مقداره ومن تعلم العربية رق طبعه ومن علم الحساب جزل رأيه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وفي هذا المعنى يقول ابو الحسن الجرجاني ابيات مشهورة الناشر

يقولون لي فيك انقباض وانما
رأوا حلقا من موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم
ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما
بدا طمع صيرته في سلما
واذا قيل هذا منهل قلت قد ارى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي
لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
واشقى به غرسا واشقى به غرسي
اذا لم اجد يوما به حسن مجتنى
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اذلوه لهان ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما
لحرص على الدنيا والطمع ذيبا
فيجمع وهو من العلماء اقبح فان كان بعد نزول الشيب فهو اقبح واقبح بس بعض العلماء من التابعين ثيابه وتغيبا ليمضي الى بعض الملوك

فاخذ المرآت فنظر فيها فراى في لحيته طاقة شيب فقال السلطان والشيب ثم نزع ثيابه وجلس ∴ قدان بعد ظلام الجهل ابصاري ∴
∴ للشيب صيح ينادي باسفاري ∴ فليل الشباب فصر فاسرعيدا ان الصباح فضاري المرح الساري ∴ كم ذا اغتراري بالدنيا وزخرفها ∴
∴ ابني بناها على اجرف لها هاوي ∴ دار ما فيها يبقى وذا لها تفنى ∴ الا فتجنبها بنك من دا ∴ ∴ ليس السعيد الذي دنياه تسعده ∴
∴ ان السعيد الذي ينجو من النار ∴ اصبحت من سبات الجهل خائفا وجلا ∴ والله يعلم اهلافي واسراري ∴ اذ انا عالم ذنبي لا يسلي ∴
∴ رجوت عفو عظيم العفو غفاري ∴ آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد سيد المرسلين ∴

كتاب بيان فضل علم السلف على الخلف للشيخ الامام العالم العلامة زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا اما بعد فهذه كلمات مختصرات في معنى العلم وانقسامه الى نافع وعلم غير نافع والتنبيه على فضل علم على علم الخلف شفقوك وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح وهو العلم النافع وذكر العلم تارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع فاما الاول فمثل قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وقوله رب زدني علما وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وما قص الله تعالى ان قصة آدم عليه السلام وتعليمه الاسماء وعرضهم على الملائكة وقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم وما قص الله سبحانه من قصة موسى عليه السلام وقوله للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا فهذا هو العلم النافع وقال الجزء عن قوم انهم اوتوا علما ابتغوا به عرض الدنيا فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقال تعالى واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى الآية وقال تعالى وعلمه الله ما لم يكن يعلم واما العلم الذي ذكر الله تعالى ان جهة الذم فقوله في سحر ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق وقوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وكذلك جاءت السنة بتقسيم العلم الى نافع وغير نافع واستعاذة من العلم الذي لا ينفع وسوا العلم النافع ففي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها وخرجه اهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها ومن دعاء لا يسمع وفي بعضها اعوذ بك من هؤلاء الاربع وخرج النسائي من حديث جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اسألك علما نافعا واعوذ بك من علم لا ينفع وخرجه ابن ماجة ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع و خرج الترمذي من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم علمني ما ينفعني وزدني علما ينفعني وخرج النسائي من حديث انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علما تنفعني به وخرج ابو نعيم من حديث انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انا نسألك ايمانا دائما ونسألك قلبا خاشعا ونسألك علما نافعا ونعوذ بك من علم غير نافع وخرج ابو داود من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا وان من تكلف العالم ما لا يعلم فجهله ذلك ويفسر ايضا بان العلم الذي يضر ولا ينفع جهل لان الجهل بر خير من العلم بر فاذا كان الجهل بر خيرا منه فهو شر من الجهل وهذا كثير وغيرا من العلوم المضرة في الدين او في الدنيا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير بعض العلوم التي لا تنفع ففي مراسيل ابي داود عن زيد بن اسلم قال قيل لرسول الله ما علم فلانا قالوا يا صاحب الناس قال علم لا ينفع وجهالة لا تضر وخرجه

ابو نعيم

واهلوه وهذا ان الامران يوجدان في الذين فسدوا من علماء المشابهتهم اهل الكتاب احدهما تحريف الكلم فان من
تفقه لغير العمل يقسي قلبه فلا يشتغل بالعمل بل بتحريف الكلم وصرف الفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها والتلطف في ذلك
بانواع الحيل التي نبه على بعضها في المجازات المتعددة ونحو ذلك والطعن في الفاظ الكتاب ويدعون من تمثل بالتصور
واجراها على ما يفهم منها ويسمونه جاهلا وحشويا وهذا يوجد في المتكلمين في اصول الديانات وفي فقهاء الدين ونحوهم
الفلاسفة والمتكلمين والثاني نسيان حظ مما ذكروا به من العلم النافع فلا تحفظ قلوبهم ما يذكرون من علم ما يكتبونه في
به قلبه ويسمونه فاضلا وينقل بعض اهل الراي في كتبهم عن بعض شيوخهم ان ثمرات العلوم تدرك على اشرفها فان اشتغل بالتفسير فعامته
ان يقص على الناس ويذكرهم ومن اشتغل برايهم وعلمهم يفتي ويقضي ويحكم ويدرس وهو العلم نصيب من الذين يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون والحامل لهم على هذا شدة محبتهم للدنيا وعلوها ولو انهم زهدوا في الدنيا
ورغبوا في الاخرة ونصحوا انفسهم وعباد الله ليتمسكوا بما انزل الله على رسوله والزموا انفسهم بذلك فكان العالم حينئذ
اكثرهم لا يحيدون عن التقوى فكان كلفهم ما في نصوص الكتاب والسنة ومن خرج منهم عنها كان قليلا فكان الله تغيض من
قلوبهم معاني النصوص ما يرد به الخارج عنها الى الرجوع اليها ويستغني بذلك عما ولده من الفروع الباطلة والحيل المحرمة التي
بسببها فتح ابواب الربا وغيره من المحرمات واستحلت المحارم بادنى الحيل كما فعل اهل الكتاب وهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا
فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وصلى الله على محمد وآله وسلم اجمعين والحمد لله

الفرق بين النصيحة والتعيير

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على امام المتقين وخاتم النبيين
والرسل صحبه اجمعين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين اما بعد فهذه كلمات مختصرة جامعة في الفرق بين النصيحة و
التعيير فانهما يشتركان في ان كل منهما ذكر الانسان بما يكره وقد يشتبه الفرق بينهما عند كثير من الناس والله الموفق للصواب
اعلم ان ذكر الانسان بما يكره محرم اذا كان المقصود منه مجرد الذم والعيب والنقص فاما ان كان غير مصلحة
لعامة المسلمين او خاصة لبعضهم وكان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة فليس بمحرم بل مستحب اليه وقد قرر علماء الحديث
هذا في كتبهم في باب الجرح والتعديل ذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة وردوا على من سوى بينهما من المتعبدين
وغيرهم ممن لا يتسع علمه ولا فرق بين الطعن في رواة الفاظ الحديث ولا التمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل
وبين تبيين خطأ من اخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة وتاول شيئا منها على غير تاويله وتمسك بما لا يتمسك به ليحذر
من الاقتداء به فيما اخطأ فيه وقد اجمع العلماء على جواز ذلك ايضا ولهذا تجد في كتبهم المصنفة في انواع العلوم الشرعية من
التفسير وشراح الحديث والفقه واختلاف العلماء وغير ذلك ممتلئة من المناظرات وردوا القول من تضعيف قوله من ائمة
السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولم يترك ذلك احد من اهل العلم ولا ادعى غير طعنا على من رد عليه
قوله ولا ذما ولا انقصا الا ان يكون المصنف يتحش في الكلام ويسيء الادب في العبارة فينكر عليه فحاشه واساءته دون
اصل رده ومخالفته اقامة الحجج الشرعية والادلة المعتبرة وسبب ذلك علماء الدين كلهم مجمعون على قصد اظهار الحق الذي
بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وان يكون الدين كله لله وان تكون كلمة الله هي العليا وكلهم معترفون بان الاحاطة بالعلم
كله من غير شذوذ وشيء منه ليس هو من شيء احد منهم ولا ادعاه احد من المتقدمين ولا من المتاخرين فلهذا كان ائمة السلف مجمع على
علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن اورده عليهم وان كان صغيرا ويوصون اصحابهم واتباعهم بقبول الحق اذا ظهر في غير قولهم كما قال
عمر في ثلاث رد النساء وردت تلك المراة عليه بقوله تعالى واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا فرجع عن قوله وقال اصابت امراة ورجل اخطا
وروي عنه انه قال كل احد افقه من عمر وكان بعض المشهورين اذا قال في رايه شيئا يقول هذا راينا فمن جاء برأي احسن منه قبلناه
وكان الشافعي بالغ في هذا المعنى ويوصي اصحابه باتباع الحق وقبول السنة اذا ظهرت لهم على خلاف قوله وان يضرب بقوله حينئذ

الجامعة

الخايط وكان يقول في كتبه لا يتان يوجد فيها ما يخالف الكتاب والسنة لان الله تعالى يقول ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا وابلغ من هذا انه قال ما ناظرني احد فبالیت اظهرت تحير على لساني وعلى لساني وهذا بدليل انه لم يكن لم تقصد
الا بي ظهور الحق ولو كان على لسان غيره من يناظره او يخالفه ومن كانت هذه حاله فانه لا يكره ان يرد عليه قوله ويتبين له مخالفته
للسنة لا في حياته ولا في مماته وهذا هو الظن بغيره من ائمة الاسلام الذين عرف قدرهم من نصره من السلف والخلف ولم يكونوا يكرهون
مخالفة من خالفهم ايضا بدليل عرض له ولو لم يكن ذلك لدليل قوي يا عندهم بحيث يتمسكون به ويتركون دليلهم لهذا
كان الامام احمد يذكر اسحق بن راهويه ويمدحه ويثني عليه ويقول وان كان يخالفنا في اشياء فان الناس لم يزل يخالف بعضهم
بعضا وكما قال وكان كثيرا يعرض عليه كلام اسحق وغيره من الائمة وماخذهم في قولهم فلا يوافقهم في قولهم ولا ينكر عليهم قولهم
ولا استدلالهم وان لم يكن هو موافقا على ذلك كله وقد استحسن الامام احمد ما حكي عن حاتم الاصم انه قيل له انت رجل اعجمي لا تفصح و
ما تاركت احدا الا قطعته فبأي شيء تغلب خصمك فقال بثلاث افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ لساني عن ان
اقول له ما يسوءه او معنى هذا فقال احمد ما اعقله من رجل فجعل فرد المقالات الضعيفة وتبين الحق في خلافها بالادلة الشرعية
ليس هو مما يكره العلماء بل مما يحبونه ويمدحون فاعله ويثنون عليه فلا يكون داخلا في باب الغيبة بالكلية فلو فرض ان احدا
يكره اظهار خطاء المخالف للحق فلا عبرة بكراهته لذلك كما ان كراهة اظهار الحق اذا كان مخالفا لقول الرجل ليس من الخصال
المحمودة بل الواجب على المسلم ان يحب ظهور الحق ومعرفة المسلمين برسوله كان في موافقته او مخالفته وهذا من النصيحة لله و
لكتابه ورسوله ودينه وائمة المسلمين وعامتهم وذلك هو الدين كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وكما ان المخطا
من اخطا من العلماء قبلنا اذا تادب في الخطاب واحسن الرد والجواب فلا حرج عليه والا لوم يتوجه عليه وان صدر منه ما لا
غتفر بمقابلته فلا حرج عليه وقد كان بعض السلف اذا بلغه قول ينكره على قايله يقول كذب فلان ومن هذا قول النبي صلى الله
عليه وسلم كذب ابو السنابل لما بلغه انه افتى ان المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملا لا تحل لو ضع حملها حتى تاتي عليها اربعة اشهر
وعشر وقد بالغ الائمة لو رعوت في انكار مقالات ضعيفة لبعض العلماء ورد ها ابلغ الرد كما كان الامام احمد ينكر على ابي ثور كثير
مقالات ضعيفة تفرد بها ويبالغ في رد ها عليهم هذا كله حكم الظاهر واما في باطن الامر فان كان مقصوده في ذلك
مجرد تبيين الحق وان لا يغتر الناس بمقالات من اخطا في مقالاته فلا ريب انه مثاب على قصده ودخل بفعله هذا في الجهة التي في
النصيحة لله ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم وسواء كان الذي بين خطاه صغيرا او كبيرا وله اسوة بمن رد من العلماء مقالات
ابن عباس التي شذ بها وانكرت عليه من العلماء ثم المتعة والصرف والعمرتين وغير ذلك ومن رد على سعيد بن مسيب في اباحته
المطلقة ثلاثا بمجرد العقد وغير ذلك مما يخالف السنة الصريحة ورد على الحسن قوله في ترك الاعتداد عن المتوفى عنها وعلى عطاء قوله
في اباحة اعادة الغروج وعلى طاوس قوله في مسايل متعددة شذ بها عن العلماء وعلى غير هؤلاء ممن اجمع المسلمون على علمهم ودينهم
وجلالتهم واشتهر عليهم ولم يعد احد منهم مخالفوه في هذه المسايل تحرعا طعنا في هؤلاء الائمة ولا عيبا لهم وقد صنفت كتب
ائمة المسلمين من السلف والخلف تبين خطا هذه المقالات وما اشبهها مثل كتب الشافعي واسحق وابي عبيد وابي ثور ومن بعدهم
من ائمة الفقه والحديث وغيرهم ممن ادعوا هذه المقالات وما كان بمثابتها بشيء كثير ولو ذكرنا ذلك بحجره وفرطال الامر جدا وانما
اردنا بذلك اظهار عيب من رد عليه وتنقصه وتبين جهله وقصوره في العلم وكون ذلك كان محرما سواء كان رد ذلك في حجر
من رد عليه وفي غيبته وسواء كان في حياته وبعد موته وهذا داخل فيما ذم الله تعالى في كتابه وتوعد عليه بالغمز واللمز ودخل ايضا
في قول النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر من امن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله
عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته وهذا كله في حق العلماء المعتد بهم في الدين فاما اهل البدع والضلالة
ومن شبههم بالعلماء وليس منهم فيجوز بيان جهلهم واظهار عيوبهم تحذيرا من الاقتداء بهم وليس كلاما لان في هذا تقبيل والله اعلم

فصل ومن عرف منا انه اراد بما رده على العلماء النصيحة لله ورسوله فانه يجب ان يعامل بالاكرام والاحترام والتعظيم

كسائر ائمة المسلمين الذين سبق ذكرهم ومن اشبههم باحسان ومن عرف انه اراد رده عليهم التنقص والذم واظهار العيب فانه يستحق
ان يقابل بالمعتبر ليرتدع هو ونظراؤه عن هذا الوجه من الرد فان هذا القصد تارة يقارن الرد واعتبارة تارة
بقرائن تحيط بفعله وقوله فمن عرف هذا العلم والدين ونوقير ائمة المسلمين واحترامهم ولم يذكر الرد وتبيين الخطأ على الوجه الذي يغيره
من ائمة العلماء اما في التصانيف وفي الحكم وجب حمل كلامه على الاول فان انما يقصد بذلك اظهار الدين والنصح لله ورسوله والمؤمنين
ومن حمل كلامه على الحال على ما ذكرنا فهو ممن يظن بالبري ظن السوء وذلك من الظن الذي حرمه الله ورسوله وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا فان الظن السوء من لا يظهر منه امارات السوء محرم من الله ورسوله فقد جمع هذا الظان بين اكتساب
الخطيئة او الاثم ورميه البري بها ويقوي دخوله في هذا الوعيد اذا ظهرت منه امارات هذا الظان امارات السوء مثل كثرة البغي والعدوان
وقلة الورع واطلاق اللسان وكثرة الغيبة والبهتان والحسد للناس على ما انعم الله من فضله والاستهانة وشدة الحرص على المرتبة
على الرياسات قبل الاوان ومن عرف منه هذه الصفات التي لا يرضى بها اهل العلم والايمان فانه انما يحمل تنقيصه للعلماء ورده عليهم على الوجه
الثاني فيستحق حينئذ مقابلته بالهوان ومن لم تظهر منه امارات بالكلية تدل على شيء فانه يجب ان يحمل كلامه على الحسن بحسب الامكان
ولا يجوز حمله على اسوء الاحتمالات وقد قدمنا عن يحيى بن معين انه عنى بالنظر بكلمة خرجت من خبث المسلم سوء ان تجد لها في الخير محملا
فصل ومن هذا الباب ان يقال للرجل في وجهه ما يكرهه فان كان هذا على وجه النصح فهو حسن وقد قال بعض السلف
لبعض اخوانه لا تنصحني حتى تقول لي في وجهي ما اكره فاذا اخبر الرجل اخاه بعيبه لمحبته كان ذلك حسنا يحق لمن اخبر بعيب من عيوبه
ان يعتذر منها ان كان له منها عذر وان كان ذلك على وجه التوبيخ بالذنب فهو قبيح مذموم وقيل لبعض السلف تحب ان يحرك احد
بعيوبك فقال ان كان يريد ان يوبخني فلا فالتوبيخ والتعيير بالذنب مذموم وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يثرب الامة على الزنية
مع امره بجلدها فيجلدها حدا ولا تعيير بالذنب ولا توبيخ بر وفي الترمذي وغيره من رفوعا من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله وحمل ذلك
على الذنب الذي تاب منه صاحبه قال الفضيل المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير فهذا الذي ذكره الفضيل من علامات النصح
والتعيير هو ان النصح يقترن به الستر والتعيير يقترن به الاعلان وكان يقال من عير اخاه على ذنب لم يمت حتى يعمله او هذا المعنى
وكان السلف يكرهون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الوجه ويحبون ان يكون سرا فيما بين الامر والمامور فان هذا من علامات
النصح فان الناصح ليس له غرض في شاعة عيوب من ينصح له وانما غرضه ازالة المفسدة التي وقع فيها واما اشاعة واظهار العيوب
فهو مما حرمه الله ورسوله قال تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم والاحاديث في فضل الستر كثيرة جدا وقال
بعض العلماء لمن يامر بالمعروف اجتهد ان تستر العورات فان ظهور عوراتهم وهن في الاسلام ولحق شيء باستر العورة فلهذا
كان اشاعة الفاحشة معتبرا بالتعيير وهما من خصال الفجار ولان الفاجر لا غرض له في زوال المفسدة ولا في اجتناب المؤمن للمعائب
والنقايص انما غرضه في مجرد اشاعة العيب في اخيه المؤمن وهتك عرضه فهو يعيد ذلك ويبديه ومقصوده تنقيص اخيه المؤمن في اظهار
عيوبه ومساويه للناس ليدخل عليه بذلك الضرر في الدنيا واما الناصح فغرضه بذلك ان اله عيب اخيه المؤمن واجتنابه له وبذلك
وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية ووصف بذلك نبيه فقال محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ووصف المؤمنين بالتواصي بالرحمة والتواصي بالحق واما الحامل للفاجر على اشاعة السوء فتكثير
فهو للغيبة والغلظة وجبهة اذا اخيه المؤمن وادخال المضرة عليه وهذا صفة الشيطان الذين يزين لبني ادم ليكونوا للصوف والعصيان
ليصيروا بذلك من اهل النيران كما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال بعد ان تصرف علينا قصة مع بني ادم عليه السلام
ومكره به حتى توصل الى اخراجه من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما فشتان بين من قصده النصيحة وبين من قصده التنقيص وذلك
تلتبس احداهما بالاخرى الا عند من ليس من ذوي العقول الصحيحة فصل وعقوبة من اشاع السوء في اخيه المؤمن وتتبع عيوبه
وكشف عوراته ان يتبع الله عورته ويفضحه ولو في جوف بيته كما دل على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وقد اخرج الامام احمد
وابو داود والترمذي من وجوه متعددة واخرج الترمذي من حديث ابن المبارك الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تظهر الشماتة

ياحيك فيعافيه الله ويبتليك وقال حسن غريب وخرج ايضا من حديث معاذ موقوفا عن عمر اخاه بذنب لم يتب حتى يعمله واسناده ضعيف وقال الحسن كان يقال من عير اخاه بذنب تاب منه لم يمت حتى يبتليه الله به ويروى من حديث ابن مسعود باسناد فيه ضعف البلاء موكل بالمنطق فلو ان رجلا عير رجلا بارضاع كلبة لرضعها وقد روي هذا المعنى عن جماعة من السلف وقال ابن سيرين انا لنرى الذنب الذي اصابني هذا عيرت رجلا منذ اربعين سنة فقلت له يا مفلس فمات ومن مظاهر التعيير واظهار السوء والشناعة في قالب النصح وزعم انه انما حمله على ذلك العيوب اما علما او ظاهرا وكان في الباطن انما غرضه التعيير والذي فهو من اخوان المنافقين الذين ذمهم الله في كتابه في مواضع فان الله تعالى ذم من اظهر فعلا او قولا حسنا واراد به التوصل الى غرض فاسد يقصده في الباطن وعد ذلك من خصال النفاق كما في سورة براءة التي تسمى بها المنافقين وفضحهم باوصافهم الخبيثة والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل الآيات وقال تعالى للمخبثين الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الآية وهذه الآية نزلت في اليهود وسالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك عليه وفرحوا بما اوتوا من كتمانه وما سالهم عنه كذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما وحديث ابن مخرج في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الآية فشارك الخصال خصال اليهود والمنافقين وهو ان يعتبر الانسان في الظاهر قولا او فعلا وهو في الصورة التي اظهره عليها حسن ومقصوده بذلك التوصل الى غرض فاسد فيحمد على ما اظهره من ذلك الحسن ويتوصل بحمده الى غرضه الفاسد الذي هو بالضد ويفرح بحمد على ذلك الذي اظهر حسن وهو في الباطن سيء وهو توصل في الباطن الى غرض السوء فتتم له الفائدة وتتوفر له الحيلة لجهل الخلق ومن كانت هذه صفته فهو داخل في هذه الآية ولا شك فهو متوعد بالعذاب الاليم ومثال ذلك ان يريد الانسان ذم رجل وتنقصه واظهار عيبه لينفر الناس عنه اما محبة لاذاته او اعداء له فيفتري من مزاحمته على مال او رياسة او غير ذلك من الاسباب المذمومة فلا يتوصل بذلك الا باظهار التحزن فيه بسبب ديني مثل ان يكون قد نقل قولا ضعيفا من اقوال عالم مشهور فيشنع بين من يعظم ذلك العالم ان فلانا يعظم هذا العالم ويزعم انه يطعن فيه ويرد بذلك كل من يعظمه ويوهم ان بغضه هذا الرد واذاعته من اعمال القلوب لانه تحزن عن ذلك العالم وذنبه الآذى عنه وذلك غير نافع عند الله عز وجل وطاعة فيجمع هذا المظلم للقبح بين امرين قبيحين محرمين احدهما ان يحمل رد هذا العالم القول الخطأ على تعمد المطعن والهوى وقد يكون انما الداعي النصح للمسلمين واظهار ما يحل له كتمانه من العلم والشافي ان يظهر المطعن عليه ليتوصل بذلك الى هواه وغرضه الفاسد في قالب النصح والذب عن علماء الشرع بمثل هذه المكيدة كان صلى الله عليه وسلم يحذر من ذلك واتباعهم يستمعون الناس اليهم وينفرون قلوبهم عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن والحسين وذريتهم رضي الله عنهم اجمعين فانه لما قتل عثمان رضي الله عنه لم تر الامة احق من علي رضي الله عنه بالامر فبايعوه فتوصل من توصل الى التنفير عنه باظهار تعظيم قتل عثمان والحرد وهو في نفس الامر كذلك لكن ضم الى ذلك المؤلف على قتله والتاجي فيه هو علي رضي الله عنه وهو كما كذب وفجر وكان على حلف وبدعة تخلف عن علي في ذلك وهو الصادق البار في يمينه رضي الله عنه فلما اظهر ذلك تفرقت قلوب كثير من الجهرة له بحق فوق الامور على علي رضي الله عنه وبادروا الى قتاله دائرا وتقريبا ثم الى قتال اولاده واجتهد ابليس في اظهار ذلك وشاعته على المنابر في ايام بني امية وغيرهم من مجامع العظيم حتى استقر في قلوب اتباعهم ان الامر على ما قالوا وان بني مروان احق بالامر من علي واولاده فقربهم من عثمان واحترامهم جزاء وتوصلوا بذلك الى تاليف قلوب الناس عليهم وقتالهم لعلي وولده من بعده وبث بذلك لهم الملك واستوسق لهم الامر وكان حصنهم يقول في خلوة لن يتوب الله كلا اما معناه لم يكن احد من الصحابة كف عن عثمان من علي فيقال له لم تتوبوا اذا فيقول ان ملكنا يقوم على ذلك ومراده ان تزول قلوب الناس عن علي وولده ونسبتهم الى ظلم عثمان لما مالت قلوب الناس اليهم لما علموه من صلاتهم الجميلة وخصائصهم الجليلة فكانوا يسيرون الى متابعتهم ومبايعتهم فيزول بذلك ملك بني امية وينصرف الناس عن محاطاتهم

قصة داود ومن يلي بشيء من هذا والمكر فليتق الله ويستعين بهود وبصبر فان العاقبة للتقوى كما قال تعالى بعد ان قص قصة يوسف وما حصل من انواع الاذى بالمكر والحاد عنه وكذلك مكنا ليوسف في الارض وقال تعالى حكاية عن امرأة قال الآن حصحص الحق انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام وما حصل له ولقومه من اذى فرعون وكيده قال لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وقال تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها والواقع يشهد بذلك فان من سير اخباره الناس وتواريخ العالم وقف على اخبار من مكر باخيه فعاد مكره عليه وكان ذلك سببا لنجاته وسلامته على العجب العجاب ونحن نذكر نبذا مما وقع من ذلك لعل الكاتب والسامع الخطاب والله الموفق للصواب وعليه قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

مطبوع ٦

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الاجل عبد الرحمن بن رجب رحمه الله وعفى عنه وكرمه الكلام على سورة النصر جاء في حديث الخاتمة وربع القرآن وهي مدنية بالاتفاق بمعنى انها نزلت بعد الهجرة الى المدينة وهي من آخر ما نزل كما في صحيح مسلم عن جابر قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا اذا جاء نصر الله والفتح فقيل نزلت في السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مسند الامام احمد عن محمد ابن فضيل عن عطاء عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت الي نفسي مقبوض في تلك السنة وعطاء هو ابن السائب اختلط باخره ويشهد له ما خرجه البزار في مسنده واليهقي من حديث موسى بن عبيدة عن عبد الله ابن دينار وصدقة بن يسار الجعفي عن ابن عمر قال نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى وهو في اوسط ايام التشريق في حجة الوداع اذا جاء نصر الله والفتح فعرف انه الوداع فامر براحلته القصوى فرحلت له ثم ركب فوقف للناس بالعقبة فحمد الله واثنى عليه وذكر خطبة طويلة هذا اسناد ضعيف جدا وموسى ابن عبيدة قال احمد لا تحل عندي الرواية عنه وعن قتادة قال عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين وهذا يقتضي انها نزلت قبل الفتح وهذا هو الظاهر لان قوله اذا جاء نصر الله والفتح يدل على انه شرط لوقوعه ان الفتح لم يكن قد جاء لان اذا حرف لما يستقبل من الزمان هذا هو المعروف في استعمالها وان كان قد قيل انها تجيء للماضي كقوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقوله ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الآية وقد اجيب عن ذلك بانه اريد ان هذا شانهم ودابهم لم يرد به الماضي بخصوصه وسيذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد نزول هذه الآية جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن وفي اهل اليمن كان قبل حجة الوداع قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح اما نصر الله فهو معونته على الاعداء حتى غلب النبي صلى الله عليه وسلم العرب كلهم واستولى عليهم من قريش وهوازن وغيرهم وذكر البقاش عن ابن عباس ان النصر هو صلح الحديبية واما الفتح فقيل هو فتح مكة بخصوصها قاله ابن عباس وغيره لان العرب كانت تنتظر باسلامها ظهور النبي صلى الله عليه وسلم على مكة وفي صحيح البخاري عن عمرو ابن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاحياء تتلوم باسلامها فتح مكة يقول دعوه وقومه فان ظهر عليهم فهو نبي وعن الحسن قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالت الاعراب اما اذ ظفر باهل مكة وقد اجارهم الله من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فدخلوا في دين الله افواجا قبل ان الفتح بعام مكة وغيرها من الحصون والمدائن كالطائف وغيرها من مدن الحجاز واليمن وغيرذلك وهو الذي ذكره ابن عطية وقوله ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا المراد بالناس العموم على الحقيقة وعن معاذ انهم اهل اليمن وفي مسند الامام احمد من طريق شعبة عن عمرو ابن مرة عن ابي البختري عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها فقال الناس حيزوا ناوسحابي حيزوا قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ولكن حديث كذبه فضيل راوي هذا الحديث عن شعبة وزيد ابن ثابت ابا سعيد على ما قال وهذا يستدل به على ان المراد بالفتح فتح مكة فقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح لا هجرة ولكن جهاد ونية وايضا فالفتح المطلق هو فتح مكة كما في قوله لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ومن طريق هلال ابن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة قال نعيت لرسول الله نفسه

حين نزلت فاخذ في اشد ما كان اجتهادا في امر الاخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء اهل اليمن
فقال رجل يا رسول الله وما اهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم ليست قلوبهم الايمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان وروى ابن جرير من
طريق الحسين بن عيسى الحنفي عن معمر عن الزهري وعن ابي حازم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة اذ قال اتاكم
نصر الله والفتح جاء اهل اليمن فقيل يا رسول الله قيل يا رسول الله وما اهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم ليست قلوبهم الا عتهم الايمان يمان والفقه يمان
والحكمة يمانية وروى ايضا من طريق عبد الاعلى عن معمر عن عكرمة مرسلا نحوه وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر اخبرني من سمع عكرمة يرسل
وهذا لا يدل على اختصاص اهل اليمن بالناس المذكورين في الحديث وانما يدل على انهم داخلون في ذلك الناس وعم من اهل اليمن قال ابن عبد البر ثبت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل كافر قبل دخول كمل في الاسلام بعد حنين والطائف منهم من قدم ومنهم من لم يقدم وافد ثم
ثم كان بعد من الردة ما كان ورجعوا كلهم الى الدين قال ابن عطية المراد والله اعلم اقبال العرب بعد فتح الاوثان واما فارس فبعض تغلب
فانهم اسلموا فقط في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن اعطوا الجزية والاكثر تنجا عنها وتجا عنها قال الكلبي الذي فتح فارس في المسند
من طريق الاوزاعي حدثني ابو عمار حدثني جابر الجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاء جابر بن عبد الله يسلم علي فجعلت احدثه عن افتتاح
وما احدثوا فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا
وقوله فسبح بحمد ربك فيه قولان حكاهما ابن الجوزي احدهما ان المراد الصلاة نقله عن ابن عباس والثاني التسبيح المعروف وفي الباء
في بحمد قولان احدهما انها للمصاحبة فالحمد مضاف الى المفعول اي فسبحه حامدا له والمعنى جمع بين تسبيحه وهو تنزيهه عما لا يليق به من
النقائص وبين تحميده وهو اثبات ما يليق به من المحامد والثاني انها للاستعانة والحمد مضاف الى الفاعل اي سبحه بما حمد به نفسه اذ ليس
كل تسبيح لين الحمد كان تسبيح المعتزلة يقتضي تعطيل كثير من الصفات كما كان بشر المريسي يقول سبحان ربي الاسفل وقوله
واستغفره اي اطلب مغفرته والمغفرة هي ستر الذنب لا مجرد عفوه والفرق بين العفو والمغفرة ان العفو محو اثر الذنب وقد يكون بعد
عقوبة عليه بخلاف المغفرة فانها لا تكون مع العقوبة وقوله انه كان توابا اشارة الى انه سبحانه يقبل توبة المستغفرين المنيبين
اليه فهو ترغيب في الاستغفار وحث على التوبة وقد فهم طائفة من الصحابة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالتسبيح والتحميد والاستغفار عند مجيء نصر الله والفتح شكرا لله على اتمام هذه النعمة بالنصر على صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وكذلك صلاه سعد يوم فتح المدائن
وكانت تسمى صلاة الفتح وامر عمر بن العاص فقال لابل كانت بمنى النصر والفتح عام مرجعه على اقرب اجله وانقضاء عمره فامر ان يختم عمله
بذلك ويتهيأ للقاء الله والقدوم عليه على كل احواله وانما فانه لما جاء نصر الله والفتح بحيث صارت مكة دار اسلام وكسرت جزيرة العرب
كلها ولم يبق بها كافر ودخل الناس في دين الله افواجا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالات ربه وعلم امته مناسكهم وعبادتهم وتركهم على
البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك فلم يبق له في الدنيا حاجة فتشوفت نفسه الى الآخرة فانها خير له من الدنيا ولهذا نزلت اليوم اكملت لكم دينكم بعرفة علم
الامة مناسكهم وقال لهم لعلي لا اراكم بعد عامي هذا وقال لهم هل بلغت فقالوا نعم فاشهد الله عليهم بذلك وودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع
وقد خير النبي صلى الله عليه وسلم بين التمتع بالدنيا وبين لقاء ربه فكان اخر ما سمع منه اللهم الرفيق الاعلى وتنظير هذا القيم الذي قيمه عمر من السورة
ما خصه ابو بكر من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان عبدا خير بين لقاء ربه وبين الدنيا فاختار لقاء ربه وقد سبق من حديث ابن عباس
ما يدل على ذلك وفي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه
فقال لم تدخل هذا معنا ولنا ابناء مثله فقال عمر انه من قد علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فما رئيت انه دعاني فيهم يومئذ الا
ليريهم فقال ما تقولون في قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا جاء نصرنا وفتح علينا
وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي اكذاك تقول يا ابن عباس قلت لا قال فما تقول قلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه
قال اذا جاء نصر الله والفتح فذاك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ابن الخطاب ما اعلم منها الا ما تقول فقد
روينا هذه القصة عن ابن عباس من غير وجه وفي المسند عن ابي رزين عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح علم النبي صلى الله عليه وسلم
انه قد نعيت اليه نفسه وقد سبق حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه السورة اخذ في اشد ما كان اجتهادا في امر الاخرة

وروى الخرائطي في كتاب الشكر من طريق داين فياض عن الحارث ابن شبل عن ام النعمان الكندية عن عائشة قالت لما نزلت هذه
الاية اما فتحنا لك فتحا مبينا اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة فقيل يا رسول الله ما هذا الاجتهاد اليس قد غفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا سنده ضعيف وروى البيهقي من طريق سعيد ابن سليمان عن عباد ابن العوام عن هلال
ابن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فقال انه قد نعيت الي
نفسي فبكت ثم ضحكت وقالت اخبرني انه قد نعيت الي نفسي فبكيت ثم اخبرني انك اول اهلي لحاقا بي فضحكت وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار بعد نزول هذه السورة في الصحيحين عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القرآن وفي المسند وصحيح مسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر في آخر امره من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقالت اني كان اخبرني اني سارى علامة في امتي رأيتها
اذا رأيتها ان اسبح بحمد ربي واستغفره انه كان توابا فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها وروى ابن جرير من طريق حفص ابن عاصم
عن الشعبي عن ام سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده فقلت
يا رسول الله انك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجيء ولا تقوم ولا تقعد الا قلت سبحان الله وبحمده فقال اني امرت بها اذا جاء نصر الله
والفتح الى آخر السورة غريب وفي المسند عن ابي عبيدة عن ابن مسعود لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح كان يكثر
ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم ثم تاول اعلم ان التسبيح والتحميد لاثبات صفات
الكمال ونفي النقائص والعيوب والاستغفار يمحو الذنوب وقد ثبت ان الله تعالى يحب من عبده في الجملة ان يتوب اليه ويستغفره وفي الحديث الحاجز حديث حسن و
يستحبه ويستغفره وكان رجل في ابن الحسن البصري يعني ينزل الناس فسأل الحسن عن حاله فقال اني اصبح بين نعمة وذنب فالحديث للنعمة حمد وللذنب
استغفار فانا مشغول بهذين فقال الحسن ايسرك ان الموت عليه فابعث عنده فقال الحسن ان الاستغفار هو خاتمة الاعمال الصالحة ولهذا
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يختم عمره كما شرع لمن حج البيت المكتوبة ان يستغفره ثلاثا وكما شرع للمتحدث بالسحاب ان يستغفر بالاسحار قال تعالى والمستغفرين
هم يستغفرون وكما شرع الاستغفار عقيب الحج قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم وكما شرع ختم المجلس
بالتسبيح والتحميد والاستغفار وهو كفارة المجلس وروي انه يختم به الوضوء ايضا وسبب هذا ان العباد مقصرون في القيام بحقوق الله كما
ينبغي فان تمام ذلك الوجود الذي يليق بالله وعظمته والعباد وان تناهوا في قدر ما يطيقون فالعارف به يعلم ان قدر الحق اعلا واجل من ذلك فهو يسعى من عمله
ويستغفر من تقصيره فيه كما يستغفر غيره من ذنوبه وغفلاته وكلما كان الشخص بالله اعرف كان لخوفه منه وقيره تقصيرا بصره لهذا كان خاتم
المرسلين واعرفهم برب العالمين يجتهد في الثناء عليه ثم يقول في آخر ثنائه لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ومن هذا قول ملك الموت
دينا لقد هممت ان اوحي ذا مقدار قيد ثم ينطلق بي كما ينطلق بالعبد الابق الى سيده فاذا سألني قلت يا رب اني لم ارض لك نفسي طرفة عين
وكان كعب يصلي كل يوم الف ركعة فاذا صلى اخذ بلحيته ثم يقول لنفسه قومي يا ماوى كل سوء والله ما رضيتك لله طرفة عين فاذا كان الاستغفار
يرد مجردا ويرد مقرونا بالتوبة فان ورد مجردا دخل فيه طلب وقاية شر الذنب الماضي بالدعاء والندم عليه وشروطه وقاية الذنب المتوقع بالعزم على
الاقلاع عنه وهذا الاستغفار الذي جمع الاصرار بقوله ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وبقوله الصغيرة مع الاصرار كبيرة
مع الاستغفار رجح جماعة ابن ابي الدنيا وكذا في قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وفي
الصحيح اذنب عبد ذنبا الحديث وهو المانع من العقوبة في قوله وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون والت ورد مقرونا بالتوبة يختص
بالنوع الاول فان لم يصحبه الندم على الذنب الماضي بل كان سوال المجرد فانه دعاء محض فان صحبه ندم فهو توبة والعزم على الاقلاع من تمام
التوبة والتوبة اذا قبلت فهل يقبل جزما او ظاهرا فيه خلاف معروف فيقال الاستغفار المجرد هو التوبة مع طلب المغفرة بالدعاء والمقرون بالتوبة
هو طلب المغفرة بالدعاء فقط وكذلك التوبة ان اطلقت دخل فيها الانتهاء عن المحظور وفعل المامور ولهذا علق الفلاح عليها وجعل من لم
يتب ظالما فالتوبة حينئذ يشمل فعل كل ما مورد وترك كل محظور ولهذا كانت بداية العبد وغاية رده هي حقيقة دين الاسلام وتارة يقرن
بالتقوى او بالعمل الصالح فيختص حينئذ بترك المحظور والله اعلم وفي فضائل الاستغفار احاديث كثيرا منها حديث نجلا اقرب تلاوة القرآن

والاستغفار وحديث فان تبت واستغفرو نزع صقل قلبه وحديث ابن ادم انك لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غاما كان منك غفرت لك ولا ابالي وحديث ابن عمر كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور مائة مرة وحديث ابي هريرة مرفوعا اني لاستغفر الله في اليوم اكثر من سبعين مرة وتوب اليه خرجه البخاري ومن حديثه مرفوعا لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم وفي المسند من حديث عطية عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يأوي الى فراشه استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وان كانت مثل رمل عالج وان كانت عدد ورق الشجر وحديث من اكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا خرجه احمد من حديث ابن عباس ويعضده قوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا الآيات وقوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا قال الرباح الطيبة في نيف واربعون ذنبا قد استغفرت لكل ذنب سبعمائة الدهرة قال الحسن لا تملوا من الاستغفار وقال بكر المزني انا عان بني ادم ترفع لنا رفعت صحيفة فيها استغفار رفعت بيضاء وان رفعت صحيفة ليس فيها استغفار رفعت سوداء وعن الحسن قال اكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي اسواقكم فانكم لا تدرون متى تنزل المغفرة وقال القاسم لابنه اي بني عود لسانك اللهم اغفر لي فان ساعات لا يرد فيهن سائلا وروي عمر بن عبد العزيز في النوم فقيل له ما وجدت افضل قال الاستغفار

الكلام على سورة الاخلاص للشيخ الجليل عبد الرحمن بن احمد بن رجب

٧ بسم الله الرحمن الرحيم الكلام على سورة الاخلاص وفي موضع نزولها قولان احدهما انها مكية والثاني مدنية وذلك في فصول في فضائلها وسبب نزولها وتفسيرها اما فضائلها فكثيرة جدا منها انها نسبة الله عز وجل خرج الطبراني من طريق عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن الوازع بن نافع عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله احد الله الصمد ليس بأجوف الوازع ضعيف جدا وعثمان يروي المناكير وسيأتي في سبب نزولها ما يشهد له ومنها انها صفة الرحمن وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لهم في صلاتهم فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن وانا احب ان اقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله يحبه ومنها ان حبها يوجب محبة الله لهذا الحديث المذكور وانفا وعن قول ابن مسعود من كان يجب القرآن فهو يحب الله ومنها ان حبها يوجب دخول الجنة ذكر البخاري في صحيحه تعليقا قال عبد الله عن ثابت عن انس كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قباء وكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة اخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة وذكر الحديث وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان ما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة فقال اني احبها فقال حبك اياها ادخلك الجنة وخرجه الترمذي في جامعه عن البخاري وعن اسمعيل ابن ابي اويس عن الدراوردي عن عبد الله بن عمر وعن عمرو وقال روى مبارك ابن فضالة عن ثابت عن انس ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله احد قال حبك اياها ادخلك الجنة وقد خرجه احمد في المسند عن ابي النظر عن مبارك ابن فضالة وروى مالك عن عبد الله ابن عبد الرحمن عن عبيد ابن حنين قال سمعت ابا هريرة يقول اقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة وخرجه النسائي والترمذي وقال حسن صحيح لا نعرفه الا من طريق مالك وروى ابو نعيم من طريق عمرو ابن مرزوق عن شعبة عن عزرة بن جرير سمعت رجلا يقول صحب النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ يا ايها الكافرون فقال قد برئ من شرك وسمع جريرا يقرأ هو الله احد فقال قد غفر لك ثلاث مرات وفي صحيح البخاري من حديث ابي سعيد ان رجلا يقرأ قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وفي رواية في عن ابي سعيد عن قتادة ابن النعمان ومن في صحيح البخاري ايضا من طريق الاعمش عن ابرهيم التيمي والضحاك المشرقي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا ايانا يطيق

يا رسول الله فقال الله الواحد الصمد ثلث القرآن في المسند من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابي الهيثم عن ابي سعيد قال بات
قتادة ابن النعمان يقرأ الليل كله يقل هو الله احد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده تعدل نصف القرآن او ثلثه وفي
المسند ايضا من طريق ابن لهيعة ثنا ابن عبد الله عن ابي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمران ابا ايوب الانصاري كان في مجلس وهو يقول اما
يستطيع احدكم ان يقرأ ثلث القرآن كل ليلة قالوا فمن يستطيع ذلك احدنا قال فان قل هو الله احد ثلث القرآن فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يسمع ايا ايوب فقال صدق ابو ايوب وروى يحيى بن سعيد عن يزيد بن كيسان عن ابي حازم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احشدوا فاني ساقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرأ قل هو الله احد ثم دخل فقال بعضنا
لبعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني ساقرأ عليكم ثلث القرآن الا اني لارى هذا خبر جاء من السماء ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني قلت ساقرأ عليكم ثلث القرآن الا وانها تعدل ثلث القرآن اخرجه مسلم وروى الامام احمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن زائدة ابن قدامة
عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع ابن خثيم عن عمرو ابن ميمون عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى عن امرأة من آل الانصار عن ابي
ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فانه من قرأ قل هو الله احد فقد قرأ ثلث القرآن ورواه الترمذي والنسائي عن بندار وروى الترمذي عن قتيبة ايضا عن ابن مهدي فهو لهما عشاري والحديث عاشر في دائرة الترمذي
عن امرأة ابي ايوب عن ابي ايوب ولم يذكر اختلافا في اسناده وروى احمد عن هشيم عن حصين عن هلال ابن يساف عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى عن ابي ابن
كعب او رجل من آل الانصار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد فكأنما قرأ ثلث القرآن ورواه النسائي في اليوم والليلة
من طريق هشيم عن حصين عن ابي ليلى بهذا من غير ذكر هلال ابن يساف وروى الامام احمد ايضا عن وكيع عن سفيان عن ابي قيس عن عمرو ابن ميمون
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن اخرجه ابن ماجة والنسائي في اليوم والليلة من طرق
وفي بعض طرقه وقفه ورواه ابو نعيم من طريق مسعر عن ابي قيس عن عمرو ابن ميمون عن ابن مسعود الانصاري بدلا قال ومن طريق شعبة عن
ابي اسحق عن عمرو ابن ميمون عن ابن مسعود وروى ابو نعيم من طريق علي ابن عاصم عن حصين عن هلال ابن يساف عن ربيع بن خثيم عن ابن ابي
ليلى عن كعب ابن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد في يوم وليلة ثلاث مرات كانت تعدل ثلث القرآن ورواه شعبة عن
علي ابن مدرك عن ابراهيم النخعي عن الربيع ابن خثيم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو نعيم ما ابراهيم ابن محمد ابن يحيى ما احمد
ابن حمدون ابن رستم ما علي ابن اشكاب ما شجاع ابن الوليد ما زياد ابن خيثمة عن محمد ابن حجان عن الحسن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قل هو الله احد ثلث القرآن قال ابراهيم عكذا حدثني به وكتبه لي بخطه وانما يحفظ الاسناد قراءة ليسوه وروى من طريق يوسف ابن عطية
الصفار ما هرون ابن كثير عن زيد ابن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد فكأنما
قرأ ثلث القرآن وكتب له من الحسنات بعدد من اشرك بالله وامن به وفي صحيح مسلم من طريق قتادة عن سالم ابن ابي الجعد عن معدان ابن ابي طلحة عن
ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم كل يوم ان يقرأ ثلث القرآن ثلاثة اجزاء فقل هو الله ثلث القرآن وروى امية
ابن خالد عن ابن اخي ابن شهاب عن عمه عن عبيد ابن عبد الرحمن ابن عوف عن عمه ام كلثوم بنت عقبة ابن ابي معيط قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن رواه احمد في اليوم والليلة ورواه ايضا من طريق مالك عن ابن شهاب عن حميد قوله ورواه ايضا من طريق
ابن اسحق عن الحارث ابن فضيل عن الزهري عن حميد ان نفرا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قل هو الله احد
تعدل ثلث القرآن لم يصل بهذا وروى الحافظ ابو يعلى عن قطن ابن نسير عن عيسى ابن ميمون عن يزيد الرقاشي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اما يستطيع احدكم ان يقرأ قل هو الله احد ثلاث مرات في ليلة فانها تعدل ثلث القرآن اسناد ضعيف ويستدل بهذا على ان المراد بكونها
تعدل ثلث القرآن لجوده ثوابه كما يستدل بحديث ابي الدرداء المتقدم على انها جزء التوحيد من القرآن وانه ثلاثة اجزاء توحيد وتشريع وقصص
ومنها ان قراءتها تكفي من الشر وتمنعه وقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه قرأها مع المعوذتين
ومسح ما استطاع من جسده وروى ابو داود والترمذي والنسائي من طريق معاذ ابن عبد الله ابن خبيب عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قل
هو الله احد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك كل شيء وصححه الترمذي ورواه النسائي من طريق اخرى عن معاذ عن عبد الله ابن خبيب

عن ابيه

عن ابيه عن عقبة ابن عامر فذكره ولفظه ليس شئ اكبر من كل شئ وقال البزار في مسنده ساق ابرهيم ابن سعيد الجوهري باسناده عن عبد العزيز الدراوردي
عن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت جبهتك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب فلم تمت من ذلك الشئ
الا الموت ومنها انها افضل سورة في القرآن فروى الدارمي في مسنده عن ابي المغيرة عن صفوان ابن عمرو عن ابن عبد الكلاعي قال قال
رجل يا رسول الله اي سور القرآن اعظم قال قل هو الله احد وفي المسند من طريق معاذ ابن رفاعة عن علي ابن يزيد عن القاسم عن ابي امامة
عن عقبة ابن عامر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك خير ثلاث سور انزلت في التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم
قلت بلى قال قال فاقرأني قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم قال لي يا عقبة لا تنساهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن
وروى الترمذي بعض هذا الحديث وحسنه وروى احمد ايضا بطوله من طريق اسيد ابن عبد الرحمن الخثعمي عن قرة ابن مجاهد عن عقبة ابن عامر
ومنها ان الدعاء بها مستجاب فقد روى في السنن الاربعة عن عبد الله ابن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول
يدعو ويقول اللهم اني اسألك بانك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد قال والذي نفسي
بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب قال الترمذي حديث حسن غريب وفي المسند من حديث ابن الدرع
ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد ويقول اللهم اني اسألك بانك انت الله الاحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ان تغفر لي ذنوبي انك انت الغفور الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
قد غفر له قد غفر له وقد ورد في تكرار قراءتها ختم بن مرة وتربس حلاق وعشر مرات عقيب كل صلاة احاديث كثيرة
فيها ضعف وكذلك حديث معاوية الليثي خير البرايا وابو بريدة بوطر كلها ضعيفة فلهذا ذكرها
وأما سبب نزولها ففي المسند والترمذي عن ابي سعد الساعدي احمد بن سعد بشر عن ابي جعفر الرازي عن الربيع
ابن انس عن ابي العالية عن ابي ابن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد
ورواه الترمذي من طريق عبيد الله ابن موسى عن ابي جعفر عن الربيع عن ابي العالية مرسلا وقال وهذا اصح من حديث ابي سعد
وروى ابو يعلى الموصلي والطبراني وابن جرير من طريق شريح ابن يونس عن اسمعيل ابن عبد الرحمن السدي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الى آخرها ورواه مرسلا وروى عبد الرزاق في تفسيره
عن ليث ابن الربيع عن عاصم عن ابي وائل عن ابن مسعود قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فنزلت
هذه السورة قل هو الله احد قال الطبراني ورواه الفريابي وغيره عن ليث عن عاصم عن ابي وائل مرسلا وروى ابن ابي حاتم في تفسيره
عن ابو زرعة ما ابو العباس ابن الوليد ما يزيد ابن زريع ما ابي الحسين ما ابو عبيد الله حدثني ما ابو خلف عبد الله ابن عيسى ما داود
ابن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء وفد جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم منهم حيي ابن اخطب وكعب ابن الاشرف فقالوا يا محمد
صف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يخرج من شئ وكم الفسير
فقوله قل هذا افتتاح للسورة بالامر بالقول كما في المعوذتين وسورة قل وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن المعوذتين فقال
قيل لي فقلت وذلك اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى انه مبلغ محض لما يوحى اليه ليس فيه تصرف فما وحاه الله البرئ ادائه ولا نقص
وانما هو مبلغ الكلام ربه كما وحاه البر فاذا قال قل هو الله احد كان امتثالا للقول الذي قيل له بلفظه لا بمعناه وهو اسم مضمر قبل ان
يعلم الشان وقيل لله احد قيل هو ضمير الشان فالجملة مبتدأ وخبر وان قيل الضمير وجهان احدهما انه مبتدأ والله احد مبتدأ
وخبره والجملة خبر المبتدأ الاول ولا حاجة فيه الى رابط لان الخبر هو المبتدأ بعينه والثاني ان هو مبتدأ والله خبره والجملة خبر قل
اسم من اسماء الله سمي الله به ولا يسمى غيره من الانسان به فلا يستحق شئ من الاشياء احد في الاثبات الا في العدد الملفظة وانما يسمى
به في النفي وما اشتهر من الاستفهام والنهي والشرط كقوله لم يكن له كفوا احد وقوله هل تحس منهم من احد وقوله فلا تزع مع الله احدا
وقوله وان احد من المشركين استجارك ونحوه والاحد هو الواحد في العبودية وربوبيته وفسره اهل الكلام بما لا يتجزى ولا ينقسم
فان احد بذلك انه ليس مؤلفا مركبا من اجزاء متفرقة فصحيح وان اريد انه لا يتميز منه شئ عن شئ

وهو المراد بالجسم عندهم فباطل قال ابن عقيل الذي يصح من قولي مع ثبات الصفات انه احد الاحية لا غير والاحد هو الواحد قال ابن الجوزي
قاله ابن عباس وابو عبيدة وفرق قوم بينهما قال الخطابي الفرق بين الاحد والواحد ان الواحد هو المتفرد بذاته فلا يضاهيه احد والاحد
المنفرد بصفاته ونعوته فلا يشاركه فيها احد وقيل بينهما فرق وهو ان الاحد في النفي يقع في العموم بخلاف الواحد فانه يحتمل العموم
وغيره فتقول في الدار احد ولا يقال بل اثنان ويجوز ان يقال ما في الدار احد بل اثنان وفرق بعض فضلاء الشافعية بينهما فقال الاحد يتم
لا يحتمل الجزئية والعدد يتركب منهما والواحد يجزأ بما لا نهاية له قال الحافظ وفيه نظر ولا يقال ما في الدار احد ولا الف احد وبهذا تمسك
مسألة محدثات الحسن التي ذكرها في جامع الكبير اذا كان لرجل اربع نسوة فقال الله لا اقرب واحدة منكن حصار مولى منهن جميعا ولم
يجز له ان يقرب واحدة منهن الا بكفارة ولو قال لها الله لا اقرب احدكن لم يصر مؤليا الا من احد هن فالبيان اليه وقال العسكري
اصل احد واحد مثل اكبر واحدى مثل كبرى فلما وقعا اسمين وكانا كثيري الاستعمال بوالى الكثرة تخفف وحذفوا الواو ليفرقوا بين
الاسم والصفة وذلك ان احد اسم وكثير صفة والوحد فاعل من وحد يوحد وهو احد مثل وعد يعد فهو واحد سؤال
قوله الله احد ولم يقل الاحد كما قال الصمد جوابه ان الصمد يسمى به غير الله كما يأتي ذكره قال فيربا الالف واللام على ان يجانر
هو المستحق لكل التصمد فان الالف واللام تأتي للاستغراق الجنس تارة وللاستغراق خصائص اخرى كقوله زيد هو الرجل اي الكامل
في صفات الرجولية فكذلك قوله الصمد اي الكامل في صفات التصمد وما احد فلم يتسم به غير الله فلم يحتج فيه الى الالف واللام
وقوله الله الصمد اعاد الاسم المبتدأ تأكيدا للجملة وخبر الصمد وقيل هو نعت والخبر ما بعد والصمد اختلفت عبارات في
معناه وهي متقاربة او متفقة والمشهور منها قولان احدهما الصمد هو السيد الذي يصمد اليه في الحوائج ومعالم الدين وهذا
مروي عن ابن عباس وغيره من السلف قال ابن الانباري لا خلاف بين اهل اللغة ان الصمد السيد الذي ليس فوقه احد الذي يصمد اليه
الناس في حوائجهم وامورهم وقال الزجاج هو الذي ينتهي اليه السودد فقد صمد له كل شيء اي تصدد قصده والشاعر
يقدم بكر الناعي بخير بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد وانشد ايضا علوته بحسامي ثم قلت خذها حنيف فانت
السيد الصمد وفي تفسير ابن ابي حاتم باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال الصمد الذي تصمد اليه الاشباء اذا نابهم كربة او عرض لهم
قال الذي يصمد اليه العباد في حوائجهم وعن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال الصمد السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي
قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعالم العليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في
حكمته وهو الذي قد كمل في انواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه هذه صفة لا تنبغي الا له ليس له كفوا ليس كمثله شيء سبحان الله الواحد
القهار والقول الثاني ان الصمد الذي لا جوف له وابو العالية الذي لا يأكل ولا يشرب ان الذي لا خروج له وانه الذي لا يدخل فيه شيء
ولا يخرج منه شيء ونحو هذه العبارات المتقاربة في المعنى ورؤي ذلك عن ابن مسعود وقد سبق في حديث ابي هريرة المذكور اول
تفسير السورة والصمد الذي ليس بأجوف وروى ابن جرير وابن ابي حاتم من طريق عبد الصمد بن سعيد قائد العشى حدثني صالح بن حيان
عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال لا اعلم الصمد فسر قال الصمد الذي لا جوف له وعن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود قال الصمد ليس
له احشاء ورؤي عن ابن عباس ايضا وعن عكرمة قال الصمد الذي لا يطعم وعن الصمد الذي لم يخرج منه شيء وعن الشعبي الصمد الذي لا يأكل ولا
يشرب وعن مجاهد هو المصمت الذي لا جوف له وقالت طائفة الصمد الذي لم يلد ولم يولد كانهم جعلوا ما بعده تفسيرا له وهو مما تقدم
انه الذي لم ينفصل منه شيء ورؤي ذلك عن ابي بن كعب والربيع ابن انس وتوجيه ذلك ان الولادة والتولد انما يكون من اصلين
وما كان عينا قائما بنفسه من المتولدات فلا بد له من مادة يخرج منها وما كان عرضا قائما بغيره فلا بد له من محل يقوم به فاورد
نفاه بقوله احد فان الاحد هو الذي لا كفو له ولا نظير فيمتنع ان يكون له صاحبة والتولد انما يكون بين شيئين وكونه تعالى احدا ليس
كفوا له يستلزم انه لم يلد ولم يولد لان الوالد والمولد متماثلان متكافيان وهو تعالى احد لا كفو له ايضا فالتولد يحتاج الى زوجة وهي
مكافئة له جامعة من وجود ذلك ايضا ممتنع ولهذا قال لم يكن له ولد ولم تكن له صاحبة وقد فسر مجاهد الكفو هاهنا بالصاحبة واما
الثاني وهو انفصال المادة فنفاه سبحانه بانه الصمد وهذا المتولد من اصلين انما يكون من جزئين ينفصلان من الاصلين كتولد الحيوان

من لبيم

من ابيه دامه بالمني الذي ينفصل منهما وكانا المتولدة من بين الزوجين سواء كانا خشبين او حجرين او حجرا احدهما وهو بجامد
لا يخرج منه شيء منفصل عنه والحيوان نوعان متولد وهو ما ولد من جنسه وهو الانسان وما يخلق من البول من البهائم والطير غيرها
ومتولد وهو ما يخرج من غير جنسه كدود الفاكهة والخل وكالقمل المتولد من الوسخ والقارد البراغيث وغير ذلك مما يخلق من التراب
والماء وانما يتولد من اصلين ايضا كما خلق آدم من تراب وماء والا فالتراب المحض الذي لم يخلط به ماء لم يخلق منه شيء لا حيوان ولا
نبات والنبات جميعه انما يتولد من اصلين ايضا والمسيح خلق من مريم ونفخ جبريل وهي حملته كما تحمل النساء وولدته ولهذا يقال له
ابن مريم بخلاف نحو ناقة خلقت من ضلع آدم فلا يقال نزا عليها ولا في ولد وكذلك سائر المتولدات من غيرها كان آدم لا يقال انتزا
ولد التراب ولا الطين والمتولد من جنسه كل من المتولد من غير جنسه ولهذا كان خلق آدم اعجب من خلق ولده فان نزوة الرجل عن المرأة
العلوق هي المتولد من النظير فتنزيهه عن تولد من غير النظير اولى كما ان تنزيهه عن الكفو تنزيه له عن ان يكون دونه فضل منه بطريق الاولى
فتبين ان ما يقال انه متولد من غيره من الاعيان القائمة بنفسها لا يكون الا من مادة تخرج من ذلك الوالد وذلك لا يكون الا من اصلين والد
تقاصد فيمتنع ان يخرج منه شيء وهو بجانبه لم يكن له صاحبة فيمتنع ان يكون له ولد وما تولد لا عن كتولد الشعاع وتولد
العلم عن الفكرة والشبع عن الاكل والحرارة عن الحركة ونحو ذلك فهذا ليس من تولد الاعيان مع ان هذا لا بد له من محل ولا بد له من اصلين
كالشعاع فانه يحتاج الى محاذاة جسم نوراني لجسم حرما يقابله ينعكس عليه شعاعه فقد تضمنت هذه السورة العظيمة نفي
ما عن الله احد بهما المماثلة ودل على نفيها قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد مع دلالة قوله الله احد على ذلك لان احديته تقتضي
انه متفرد بذاته وصفاته فلا يشاركه في ذلك احد والتي في النقائص والعيوب وقد نفى منها التولد من الطرفين وتضمنت اثبات
جميع صفات الكمال باثبات الاحدية والصمدية فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقايص والاحدية تثبت الانفراد بذلك فان الاحدية
تقتضي انفراده بصفاته وامتيازه عن خلقه بذاته وصفاته والصمدية اثبات جميع صفات الكمال ودائما وقد مها فان السيد الذي
يصمد اليه لا يكون الا متصفا بجميع صفات الكمال التي استحق لاجلها ان يكون صمدا ولم يزل كذلك ولا يزال فان صمديته من لوازم ذاته
وتنفك عنه محال ومن هنا فسر الصمد بالسيد الذي قد انتهى سوددة وفسره بكر مة الذي ليس فوقه احد روي عن علي وعن ابن عباس
الذي لا يكيل احدا في خلقه وعن ابي هريرة قال هو المستغني عن كل احد والمحتاج اليه كل احد وعن سعيد بن جبير قال هو الكامل في جميع
صفاته وافعاله وعن الربيع قال هو الذي لا نعت به الا فاته وعن مقاتل بن حيان قال هو الذي لا عيب فيه وعن ابن كيسان هو الذي لا
يوصف بصفة احد وعن قتادة الصمد الباقي بعد خلقه وعن مجاهد ومعمر هو الدائم وعن مرة الهمداني هو الذي لا يسهو ولا يغفل وعنه
ايضا هو الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فقد تضمنت هذه السورة العظيمة اثبات صفات
الكمال ونفي النقايص والعيوب من خصايص المخلوقين من التولد والمماثلة وان كان منزها عن ان يخرج منه مادة الولد التي
هي اشرف المواد فلان ينزه عن خروج مادة غير الولد اولى وكذلك تنزيهه نفسه عن ان يولد فلا يكون من مثله تنزيه له عما هو دون ذلك
من سائر المواد بطريق الاولى فمن اثبت لله ولدا فقد سمه شتمه وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول
الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم ألد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد وفي صحيح البخاري
ايضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك اما تكذيبه اياي
فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد وسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا وقد رد الله على من زعم ان المسيح خلق
وعلى من زعم ان له ولدا كما تضمنه هذا الحديث في قوله ويقول الانسان أإذا ما مت لسوف اخرج حيا الى قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الى آخر حتى
شتمه اذاه وفي صحيح البخاري ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا احد اصبر على اذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم
فهذه السورة الكريمة تضمنت نفي ما هو من خصايص الهة المشركين عن رب العالمين حيث جاء في سبب النزول انهم سألوه ان يصف لهم
عن ربه من اي شيء هو وهو ان كذا ام من كذا وهل يرث الدنيا ومن يرثها حيث كانوا قد اعتادوا ان الهتهم يلدون ويولدون ويرثون ويورثون

والهة من مواد مصنوعة منها فانزل الله هذه السورة وفي المسند من حديث ابي بن كعب بعد ذكر نزولها انه ليس احد يولد الا يموت ولا احد يموت الا يورث يقول كل من عبد من دون الله وند من مثل المسيح والعزير وغيرهما من الصالحين ومثل الفراعنة المدعين الالهية فهذا مولود يموت وهو وان كان يورث من غيره ما شوفيه فاذا ملت ورثته تعالى الله سبحانه حي لا يموت ولا يورث سبحانه وتعالى والله اعلم

شؤن اولى نفى سبحانه الولادة قبل نفي المولد والمولد سبق وقوعا من الولادة في حق من هو مولد وجواب ان الولادة تم بدعما احد في حقه سبحانه وانما ادعوا انه ولد فلذلك قدم نفيه لانه هو المهم المحتاج الى نفيه شؤن اخر كيف نفى ان يكون مولودا ولم يعتقده احد جوابه من وجهين احدهما انهم سالوا عمن ورث الدنيا وممن يورثها هذا يشعر بان منهم من اعتقد ذلك والثاني انه نفى عن نفسه سبحانه خصايص الهة المشركين فان منهم من عبد المسيح ومنهم من عبد العزير وهما مولودان ومنهم من عبد الملايكة والجن وهي متولدات وقد تقدم ان نفي الولادة تدل على نفي المتولد بطريق الاولى والله اعلم قال ابن عطية كفوا جزء كان واصلها احد والضرب ملغى وسيبويه يحسن ان يكون الظرف اذا تقدم خبرا ولكن قد يجيء ملغى في اماكن يقتضي الغاءه كهذه الاية وكقول الشاعر انشد سيبويه ما دام فيهن فصيل حيه ويحتمل ان يكون كفوا حالا اما اذا تقدم من كونه وصفا للنكرة كما قال لعزة موحشا طلل قال سيبويه وهذا فعل في الكلام وما اشبهه

فضايل السورة تتضمن انفراده و وحدانيته وانه منقطع النظير وانما نزه عن ان يكون من اجناس المخلوقات لان افراد كل جنس من هذه الاجناس متكافيه متماثلة فالذهب يكافي الذهب والانسان يكافي الانسان وزوجه ولهذا قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فما من مخلوق الا وله كفو هو زوجه ونظيره وعديله ومثيله فلو كان الحق من جنس شيء من هذه الاجناس لكان له كفو عديل وقد علم انتفاؤه بالشرع والعقل فضايل السورة هي نسب الرحمن وصفته وهي التي انزلها الله في نفي ما اضاف اليه المبطلون من تمثيل وتجسيم واثبات اصل وفرع فدخل فيما يقوله من يقوله من المشركين والصابئة واهل الكتاب ومن دخل فيهم من غلاة هذه الامة من تولد الملايكة والنفوس او بعض الانبياء وغير الانبياء هو ودخل فيما يقوله من يقوله من المشركين واهل الكتاب من تولد عن غيره كالذين يقولون في المسيح انه الله والذين يقولون في الرجال انه الله والذين يقولون ذلك في علي وغيره ودخل فيما يقوله من يقوله من المشركين واهل الكتاب من اثبات كفو له في شيء من الاشياء مثل من يجعل له بتشبيهه او تجسيمه كفوا او يجعل له بعبادة غيره كفوا او يجعل باضافة بعض مخلوقاته الى غيره كفوا له كقوله في شيء من صفاته ولاني ربوبيته ولاني الهيته فتضمنت هذه السورة تنزيهه وتقديسه عن الاصول والفروع والانظراء والامثال و ليس في المخلوقات شيء الا ولابد ان ينتسب الى بعض هذه الاعيان والمعاني فالحيوان من الادمي وغيره لابد ان يكون له اصل ما وان وانما مولود وانما نظير هو كفوه وكذلك الجن والملايكة قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون قال بعض السلف لعلكم تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج واحد قال تعالى والشفع والوتر قال مجاهد كل شيء خلقه الله تعالى فهو شفع قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين الكفر والايمان والهدى والضلالة والشقاوة والسعادة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس والله تعالى وهو الذي ذكره البخاري في صحيحه فانه بعد قول مجاهد انه اصح التفسير قال مجاهد الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به واختاره الشيخ مجد الدين ابن تيمية وحقيقة الكفو هو المساوي والمقاوم فلا كفو له تعالى في ذاته وفي صفاته ولا في اسمائه ولا في افعاله ولا في ربوبيته ولا في الهيته ولهذا كان الايمان بالقدر نظام التوحيد كما قال ابن عباس ان القدرية جعلوا لله كفوا في الخلق واما توحيد الالهية فالشرك فيه قرار يوجب الكفر والخروج من الملة والخلود في النار ومنه ما هو اصغر كالحلف بغير الله والنذر لغير الله وخشية غير الله دون جلاله والتوكل عليه والذل لغيره وقول القايل ما شاء الله وشئت ومنه اتباع الرجل من عند غير بقد حد غير به ما اعطى والغيبة بذلك عن حمده ومنه العمل لغير الله وهو الرياء وهو اقسام لهذا الحرم المشبه بافعاله باصوره وحرم المسمي باسمائه فاما ما يتسمى به المخلوق من اسمائه كالسميع والبصير والقدير والعليم والرحيم فان الله تعالى قطع الشركة وكذلك الوصفية فقولنا زيد سميع بصير لا يفيد الا صفة المخلوق وقولنا الله سميع بصير يفيد صفة لا يقدر فانقطعت المشابهة بجميع الوجوه ولهذا قال التصنيف فعل ضمير سميا وغيره قولان احدهما نفي التسمية والثاني نفي المسماة وقد نفى سبحانه عن نفسه المثلية بقوله ليس كمثله شيء

ونفى

ونفى عنه العدل والتسوية بقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقال قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ونفى عنه الند بقوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وقول اكفركم بالذي خلق الارض في يومين تجعلون له اندادا وفي الحديث اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك وقال الذي قاله له ماشاء الله وشئت اجعلتني لله ندا وفي رواية اجعلتني والله عدلا وقال كعب السموات السبع والارضون السبع ايستا على هذه السورة قل هو الله احد ومعنى هذا والله اعلم ان السموت والارض انما خلقت بالحق وهو العدل والتوحيد كما قال تعالى وما خلقنا السموت والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن شعار ابي الصلت

وسبحان ربي في الصلت ... ولم يلد ومولود ابدا ليس يخلد

وسبحانه من كل انك باطل ... وكيف يلد ذو العرش ام كيف يولد

هو الله باري الخلق والخلق كلهم ... اماء له طوعا جميعا وعبد

هو الصمد الذي لم يكن له ... من الخلق كفوا قد بدا فيه مضدد

وان يكون الخلق كالخالق الذي ... يدوم ويبقى والبقية تنفد

وليس بمخلوق غداة هرجدة ... ومن ذا يعم الحوادث بخلد

وتفنى ولا يبقى سوى القاهر الذي ... يميت ويحيي وانا ليس يخلد

بيان الحجة في سيرة الراجة تاليف الشيخ ابي فرج تغمده الله برحمته

مطوع

٨

بسم الله الرحمن الرحيم خرج البخاري رحمه الله من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي احدا عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة سددوا وقاربوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وخرج ايضا في موضع اخر من كتابه ولفظه ان هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة وخرج ايضا من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سددوا وقاربوا وابشروا فانه لا يدخل الجنة احدا عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بمغفرة ورحمة وخرج ايضا من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سددوا وقاربوا واعلموا لن يدخل احدكم عمله الجنة وان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فشملت هذه الاحاديث الشريفة على اصل عظيم وقاعدة مهمة ويتفرع عليها مسائل شتى من مسائل السلوك الى الله في طريقه الموصل البر الرحيم فهو ان عمل الانسان لا ينجيه من النار ولا يدخله الجنة وان ذلك كله انما يحصل برحمة الله ورحمته وقد دل القرآن على هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله تعالى فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار فقد بين دخول الجنة والنجاة من النار وبين المغفرة والرحمة فدل على انه لا ينال شيء من ذلك بدون مغفرة الله ورحمته قال بعض السلف الاخرة اما عفو الله تعالى والنار والنجاة منها عصمة الله والهلاك وكان محمد بن واسع يودع اصحابه عند موته ويقول عليكم السلام الى الله او بعفو الله فاما قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية فقد اختلف العلماء في معنى ذلك على قولين احدهما ان دخول الجنة برحمة الله ولكن انقسام المنازل بحسب الاعمال قال ابن عيينة كانوا يرون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضله وانقسام المنازل بالاعمال والثاني ان الباء المثبتة في قوله بما كنتم تعملون وقوله بما اسلفتم في الايام الخالية باء السببية وقد جعل الله الاعمال سببا لدخول الجنة والباء المنفية في قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد الجنة بعمله باء المقابلة والمعاوضة والمقدورين يستحق احد دخول الجنة بعمله فازال بذلك توهم من يتوهم ان الجنة ثمن الاعمال وان صاحب العمل يستحق على الله دخول الجنة كما يستحق من دفع ثمن سلعة الى صاحبها تسليم سلعته اليه فنفى بذلك هذا التوهم وبين ان العمل وان كان سببا لدخول الجنة فانما هو من فضل الله ورحمته فصار الدخول مضافا الى فضل الله ورحمته ومغفرته لانه هو المتفضل بالسبب والمسبب المرتب عليه ولم يبق الدخول مرتبا على العمل نفسه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول للجنة انت رحمتي ارحم بك من شاء من عبادي

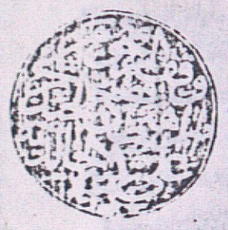

ثما للعباد عليه حق واجب كلا ولا فضل لديه ضائع ان هذا بفعله او نعمائه فبفضله وهو الكريم الواسع ثم
فان قيل فقد روى حبيب بن الشهيد عن الحسن قال الحمد لله ثمن كل نعمة ولا اله الا الله ثمن الجنة وفي هذا المعنى مرفوعا
من حديث انس وابي ذر وغيرهما وان كان في اسانيدها ضعف وبشهد لذلك قول الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله الاية فجعل الجنة ثمنا للنفوس والاموال فالجواب ان الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته
وكرمه ومنه وطوله خاطب عباده بما يفهمونه على حسب ما تعارفوه بينهم في تصرفاتهم المعهودة المألوفة لهم وجعل نفسه
مشتريا منهم مستقرضا وجعلهم بايعين له ومقرضين ليكون ذلك داعيا الى استجابتهم لدعوته ومبادرتهم الى طاعته والا فلله الحقيقة الكاملة
وملكه ومن فضله واحسانه ورحمته فالنفوس والاموال كلها ملكه لكنه امرنا عند المصائب انا لله وانا اليه راجعون ومع هذا فقد مدح من
بذل نفسه وماله وجعله بانه مقرضا كالذي له ملك يبيعه ويقرضه لغيره ومن لا يملكه عليه كذلك الاعمال كلها من فضله ورحمته وقد مدح
عليها ونسبها الى عاملها وجعلها شكرا منهم لنعمه ومكافاة لها وقد روى ابن ماجة من حديث انس مرفوعا ما انعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله
الا كان ما اعطى افضل مما اخذ وكذلك قال عمر بن عبد العزيز والحسن وغيرهما من السلف وتكلم في ذلك كثير من العلماء قديما وحديثا وعامة ما
قرن بهذه الصيغة ظاهرة المراد بالنعم النعم الدنيوية والحمد من النعم الدينية والنعم الدينية افضل من النعم الدنيوية ولكن لما كان الحمد مسببا
الى العبد بفعله ليرضى به جعله الله معظما لاعظم المحسن التي يمن بها كما يأتي في الحديث الاخر ومع هذا جاء في الاثر الحمد نصف الايمان
ويكافي في مزيد فيه هذا الاعتبار يكون الحمد ثمنا للجنة وعند تحقيق النظر فالجنة داخل كلها من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين والحمد يدل
اهل الجنة عند دخولها الجنة الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فلما اعترفوا لله بنعمته عليهم بالجنة وباسبابها من الهداية وحمدوه
على ذلك كله جوزوا بان نودوا ان تلكموا الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فاضيف العمل اليهم شكرا واعلنه ونظير هذا ما قاله بعض السلف
ان العبد اذا اذنب ثم قال يا رب انت قضيت علي قال الرب بلى اذنبت وانت عصيت فان قال العبد يا رب انا اعتذرت وانا استغفرتك
اذنبت قال الله تعالى قضيت عليك وقدرت وانا اغفر لك وهما يتحقق بمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد الجنة بعمله ولن ينجي
احدا عمله ان مضاعفة الحسنات انما هي من فضل الله عز وجل واحسانه حيث جازى بالحسنة عشرا ثم ضاعفها الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة
فهذا كله فضل صرف وجازى بالحسنة مثلها كالسيئة لم تقو الحسنات على احباط السيئات فكان يهلك صاحب العمل الا ان يتكرم كما قال ابن مسعود في
صفة الحساب ان كان ولينا الله فضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخل بها الجنة وان كان شقيا قال الملك يا رب عجب فنيت حسناته
وبقي الطالبون كثيرا قال اخذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار فتبين بهذا ان من اراد الله سعادته اضعف له حسناته
حتى يستوفي منها الغرماء ويبقى له مثقال ذرة فتضاعف له ويدخل بها الجنة وذلك من فضل الله ورحمته ومن اراد الله شقاوته ولم يزل يضاعف
حسناته كما تضاعف لمن اراد سعادته بل يضاعف عشرا فيقسم على الغرماء فيستوفي منها كلها ويبقى مظالم فيطرح عليه من سيئاتهم فيدخل بها
النار فهذا عدله وذاك فضله ومن هنا قال يحيى بن معاذ اذا بسط فضله لم يبق لاحد حسنة واذا جاء عدله لم يبق لاحد حسنة وايضا
فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش الحساب هلك وفي رواية عذب وفي رواية خصم وخرج ابو نعيم من حديث علي مرفوعا واوحى الله
الى نبي من انبياء بني اسرائيل قل لاهل طاعتي من امتك لا تتكلوا على اعمالكم فاني لا اناقش عبدا الحساب يوم القيمة ان شئت ان اعذبه الا عذبته وقل لاهل
معصيتي من امتك لا يقنطوا بايديهم فاني اغفر الذنب العظيم ولا ابالي وقال عبد العزيز بن ابي داود واوحى الله الى داود عليه السلام يا داود بشر
المذنبين وانذر المصدقين فكانه عجب فقال يا رب اغفر المذنبين وانذر المصدقين قال نعم بشر المذنبين انه لا يتعاظمني ذنب اغفره وانذر
المصدقين اني لا اضع عدلي وحسابي على عبد الا هلك قال ابن عيينة المناقشة سوء الاستقصاء حتى لا يترك منه شيئا وقال ابن زيد الحساب
الشديد الذي ليس فيه شيء من العفو والحساب اليسير الذي تغفر ذنوبه وتقبل حسناته فتبين بهذا ان لا نجاة للعبد بدون العفو والصفح
النجاة وزوالها متى ايقنا العدل المحض على العبد هلك ومما يبين ذلك ايضا قوله تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم فهذا يدل على ان الناس يسالون
عن النعيم في الدنيا هل قاموا بشكره او لا فمن طول لسانه بالشكر على كل نعمة من عافية وصحة جسم وسلامة حواس وطيب عيش واستقصى ذلك على نفسه
اعماله كلها بشكر هذه النعم وبقي سائر النعم غير مقابلة بشكر فيستحق صاحبها العذاب بذلك فخرج الطبراني في كتاب الشكر من حديث عبد الله بن عمر

مرفوعاً يؤتى بعبد يوم القيمة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول للملائكة انظروا في عمل عبدي ونعمتي عليه فينظرون فيقولون ولا بقدر
نعمة واحدة من نعمك عليه فيقول انظروا في عمله سيئه وصالحه فينظرون فيجدونه كفافاً فيقول عبدي قد قبلت حسناتك وغفرت لك سيئاتك و
قد وهبت لك نعمتي فيما بين ذلك وخرج الطبراني من حديث ابن عمر مرفوعاً ان الرجل ليأتي يوم القيمة بالعمل لو وضع على جبل لاثقله فتقوم النعمة
من نعم الله فتكاد ان تستنفد ذلك كله الا ان يتطاول الله برحمته وخرج ابن ابي الدنيا من حديث انس مرفوعاً يؤتى بالنعم يوم القيمة ويؤتى بالحسنات
والسيئات فيقول الله لنعمة من نعمه خذي حقك من حسناته فما تترك له حسنة الا ذهبت بها وباسناده عن وهب بن منبه قال عبد الله عبد خمسين
عاماً فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك فقال يا رب وما تغفر لي ولم اذنب فاذن الله لعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن وقام
فاتاه ملك فشكى اليه ما لقي من ضربان العرق فقال الملك ان ربك عز وجل يقول عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذا العرق وخرج الحاكم عن
جابر مرفوعاً عن جبريل عليه السلام ان عابداً عبد الله عز وجل على رأس جبل في البحر خمسمائة سنة ثم سأل ربه ان يقبضه ساجداً قال جبريل فنحن نمر عليه
اذا هبطنا واذا عرجنا ونجد في العلم انه يبعث يوم القيمة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الرب عز وجل ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول
العبد يا رب بعملي يقول ذلك ثلاث مرات ثم يقول الله للملائكة قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فيجدون نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة سنة
وبقي نعم الجسد له فيقول ادخلوا عبدي النار فيجر الى النار فينادي برحمتك ادخلني الجنة برحمتك ادخلني الجنة فيدخله الجنة قال جبريل انما الاشياء
برحمة الله يا محمد فمن حقق معرفة هذه الامور علم ان الامر اعظم فانه لا يستقل بنجاة العبد ولا يستحق بمجرده دخول الجنة ولا النجاة من النار
وحينئذ فييأس العبد من عمله وييأس من الاتكال عليه والتفات اليه وان كثر فمن ليس له كثير عمل او ليس له عمل حسن فان هذا يستحق ان يشغله
الفكر في التقصير في عمله ويشتغل بالتوبة من تقصيره والاستغفار منه واما من له حسن عمل وكثرة فانه ينبغي ان يشتغل بالشكر عليه فان ذلك من اعظم
نعم الله على عبده فيجب مقابلته بالشكر عليه ورؤية التقصير في القيام بشكره كما كان وهيب بن الورد اذا سئل عن اجر عمل من الاعمال يقول لا تسألوا
عن اجره ولكن سلوا عما يجب على من هدي له من الشكر عليه وكان ابو سليمان يقول كيف يعجب عاقل بعمله وانما يعد العمل نعمة من نعم الله عز وجل انما ينبغي له ان
يشكره ويتواضع انما يعجب بعمله القدرية يعني الذين لا يرون ان اعمال العباد مخلوقة لله عز وجل وما احسن ما قال ابو بكر النهشلي يوم مات داود الطائي
وقام ابن السماك بعد دفنه يثني عليه صالح عمله ويبكي والناس يبكون ويصدقونه على مقالته ويشهدون بما يثني به عليه فقام ابو بكر النهشلي فقال اللهم اغفر له
وارحمه ولا تكله الى عمله وفي سنن ابي داود عن زيد بن ثابت مرفوعاً لو عذب الله اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت
رحمته خيراً لهم من اعمالهم وفي صحيح الحاكم عن جابر ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال واذنوباه واذنوباه فقال هذا القول مرتين او ثلاثاً فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم قل اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ورحمتك ارجى عندي من عملي فقالها ثم قال له عد فعاد ثم قال له عد فعاد فقال له قم فقد غفر الله لك
ذنوبي اذا فكرت فيها كثيرة ورحمة ربي من ذنوبي اوسع وما طمعي في صالح قد عملته ولكنني في رحمة ربي اطمع فاذا تقرر هذا الاصل الشريف
العظيم وعلم ان العمل بنفسه لا يوجب النجاة من النار ولا دخول الجنة فضلاً عن ان يوجب بنفسه الوصول الى اعلا ما في الجنة من منازل المقربين
والنظر الى وجه رب العالمين وانما ذلك كله برحمة الله وفضله ومغفرته فذلك يوجب للمؤمن ان يقطع نظره عن عمله بالكلية وان لا ينظر الا الى فضل الله
ومنته عليه كما سئل بعض العارفين اي الاعمال افضل قال رؤية فضل الله عز وجل وينشد ان المقادير اذا ساعدت الحقت العاجز بالحازم فينبغي
حينئذ على العبد المؤمن الطالب للنجاة من النار ودخول الجنة والقرب من مولاه والنظر اليه في دار كرامته ان يطلب ذلك بالاسباب الموصلة الى رحمة الله
وعفوه ومغفرته ورضاه ومحبته فبها ينال ما عند الله من الكرامة فان الله سبحانه وتعالى قد جعل للوصول الى ذلك اسباباً من الاعمال التي جعلها موصلة اليه
وليس ذلك سوى طاعته التي شرعها الله لعباده على لسان رسوله واخبر على لسان رسوله انه يقرب الى الله ويوجب رضوانه ومغفرته ومحبته او انه احب الاعمال
الى الله عز وجل فقد قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون فالواجب على العبد البحث عن خصال
التقوى وخصال الاحسان التي شرعها الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والتقرب الى الله بذلك فانه لا طريق للعبد يوصله الى رضى مولاه
وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذلك وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث المشار اليه في اول الجزء من رواية عائشة وابي هريرة الى
ان احب الاعمال الى الله عز وجل شيئان احدهما ما داوم عليه صاحبه وان كان قليلاً وهكذا كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم وعمل آله وازواجه من بعده
وكان ينهى عن قطع العمل قال لعبد الله بن عمرو بن العاص لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل وقال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لي

فليستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قال الحسن اذا نظر اليك الشيطان قال مداوما على طاعة الله فبغاك وبغاك فوالله ما ملك ذلك منك
واذا راك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك وفي الثاني لجت الاعمال الحامدة ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على
وجه التكلف والاجتهاد والتعسير كما قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وقال ما جعل عليكم في الدين
من حرج وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول يسروا ولا تعسروا وقال انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين وفي المسند عن ابن عباس قيل لرسول الله
اي الاديان احب الى الله قال الحنيفية السمحة وفيه ايضا عن محجن ابن الادرع ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى رجلا يصلي فقال صالحا
فقيل له يا نبي الله هذا فلان وهو من احسن اهل المدينة او من اكثر اهل المدينة صلاة فقال فلا تسمعه فتهلكه مرتين او ثلاثا انكم لن تعزوا هذا الدين بكم اليسر
في رواية اخرى له قال ان خير دينكم ايسره وفي رواية اخرى له قال انكم لن تنالوا هذا الامر بالمغالبة ولكن خير دينكم ايسره وحري بهذا ان يتخير ويزاد فيه
فقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا العبادة والروحة وشيء وفي المسند عن بريدة قال خرجت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي فجئته فاذا الحسن بين ايدينا رجل يصلي يكثر الركوع والسجود قال اترائي قلت الله ورسوله اعلم فقال بين من يدري ثم مع بين يديه فجعل
يصوبهما ويرفعهما ويقول عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه وقد روي من وجه اخر
مرسلا وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن هذا يأخذ بالعسر ولم يأخذ باليسر ثم دفع في صدره فخرج من المسجد فلم يغير بعد ذلك وقد نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن عزم على التبتل والاختصاء وقيام الليل وصيام النهار وقراءة القرآن كل ليلة كعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون
والمقداد وغيرهم وقال لكني اصوم وافطر واقوم وانام وآتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وانتهى بعبد الله بن عمرو ان يقرأ القرآن في
كل سبع وفي رواية انتهى به الى قراءته في كل ثلاث وقال لا يفقه من قرأ في اقل من ثلاث وانتهى به في القيام الى صيام داود وقال الصيام افضل
من ذلك وفي قيام الليل في قيامه عليه السلام فتوة في حديث ابي هريرة وعائشة سددوا وقاربوا المراد بالتسديد العمل بالسداد وهو القصد
والتوسط في العبادة فلا يقصر فيما هو به ولا يحمل حملا منها ما لا يطيقه قال الفقهاء يشمل القصد في الدين والبذل وكذلك المقاربة المراد بها التوسط
بين التفريط والافراط فهما كلمتان بمعنى واحد او متقاربتان وهو المراد بقوله في الرواية الاخرى عليكم هديا قاصدا قوله وابشروا يعني
مشيء في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر فانه يصل ويبلغ المراتب الجميلة في الاعمال فان طريق الاقتصاد والمقاربة فاضل من غيرها
فمن سلكها فليبشر بالوصول فان الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في غيرها وخير الهدي هدي محمد فمن سلك طريقه كان اقرب الى الله من غيره
وليست الافضلية بكثرة الاعمال البدنية بل بكونها خالصة لله صوابا على متابعة السنة وبكثرة معاني القلوب واعمالها فمن كان بالله اعلم
وبدينه واحكامه وشرايعه وله اخوف واحب وارجى فهو افضل ممن ليس كذلك وان كان اكثر منه عملا بالجوارح وفي هذا المعنى اشارة في حديث عائشة
بقوله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا واعلموا ان لن يدخل احدكم الجنة بعمله ولاجب الاعمال الحامدة ادومها وان قل فامروا بالاقتصاد في
العمل وان يضم الى ذلك العلم باحب الاعمال الى الله وبأن وجه العمل لا يدخل الجنة ولهذا قال بعض السلف ما سبقكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة
ولكن بشيء وقر في صدره وقال بعضهم الذي كان في صدر ابي بكر المحبة لله والنصيحة لعباده وقال طائفة من العارفين جاء بلغ من جاء بكثرة
صيام وصلاة ولكن بسخاوة النفس وسلامة الصدر والنصيحة للامة قد بعضهم وبين متقدميهم وقال الطرطوشي انما نفاوتوا بالارادات لم
يتفاوتوا بكثرة الصيام والصلاة وذكر ابو سليمان طول العهد يخ رسائل وشدة اجتهادهم في العبادة وان من الناس من غبطهم بذلك فقال انما
يريد الله منكم صدق النية فيما عنده وكان قد قال ابن مسعود لاصحابه لم يكثر صوما وصلاة من اصحاب محمد وهم كانوا خيرا منكم قالوا وما ذاك
قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وارغب في الآخرة فاتى من بعدهم بشدة تعلق قلوبهم بالدنيا ورغبتهم فيها واعراضهم عن الآخرة
وتحقيرها وتصغيرها وان كانت في ايديهم فقلوبهم منها زاهدة وبالآخرة ممتلئة وهذه الحال وبرغوها من نبيهم صلاته عليه وسلم فانه كان
اشد الخلق قرعا بغلبة من الدنيا وتعلقا بالله والدار الآخرة مع ملابسته للخلق بظاهره وقيامه باعباء النبوة وسياسة الدين والدنيا وكذلك
خلفاؤه الراشدون من بعده وكذلك اعيان التابعين لهم باحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز وغيرهما كان في زمانهم من هو اكثر منهم صوما وصلاة
ولكن لم يصل قلبه الى ما وصلت اليه قلوب هؤلاء من ايثارها عن الدنيا وتوطنها للآخرة فافضل الناس سلوكا طريق النبي صلى الله عليه وسلم
وخواص صحابته في الاقتصاد في الاعمال البدنية والاجتهاد في الاحوال القلبية فان سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الابدان عامر جل في بعض الاعصار

فعلا

فقال له قطعت اليك مسافة فقال ليس هذا الامر بقطع المسافة فارق نفسك بخطوة وقد حصل المقصود قال ابو يزيد رأيت رب العزة في المنام فقلت له يا رب كيف الطريق اليك قال اترك نفسك وتعال مما اعطيت امة ما اعطيت هذه الامة من كرامة متابعة نبيها صلى الله عليه وسلم حيث كان افضل الخلق وهديه اكمل الهدي مع ما سيرد الله عليه من غير ووضع عن هذه الامة من الاصار والاغلال التي كانت على من قبلها فقد اطاع الله واجاب الله واهتدى بهدي الله فمن جملة ما حصل لامة نبيه من تكثير وتيسير شريعته ان من حط منهم العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن حط الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله فيكتب له قيام ليلة وهو نائم على فراشه لا سيما ان نام على ظهره وذكر بقلبه حتى تغلبه عيناه ومن صام منهم ثلاثة ايام من كل شهر فقد صام الشهر كله فهو صائم بقية الشهر في مضاعفة الله ومغفرته له في مخصرته والطاعم الشاكر له اجر الصائم الصابر ومن نوى ان يقوم من الليل ثم غلبته عيناه فنام كتب له ما نوى وكان نومه عليه صدقة قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس ونطرهم كيف يسبق سهر الجاهلين وصيامهم ولهذا جاء في الحديث الصحيح رب قائم حظه من قيامه التهجد وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش وقال بعضهم كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم هذا استغفره قلبه فاجر وهذا سكت وقلبه ذاكر وقال بعضهم ليس الشان بمن يقوم الليل انما الشان فيمن ينام الليل حتى فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب من يمشي عنك سير المدلج تمشي وبلا وتجي وانت فوق ظهرها وقوله صلى الله عليه وسلم اغدوا وروحوا وشيء من الدلجة كقوله في الرواية الاخرى استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة يعني ان هذه الاوقات الثلاثة تكون اوقات السير الى الله بالطاعات وهي اخر الليل واول النهار واخره وقد ذكر نا فضل هذه الاوقات في قوله وذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن الليل فسبحه واطراف النهار لعلك ترضى وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وذكر الله تعالى الذكر في اطراف النهار في مواضع كثيرة من كتابه كقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقال واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار وفي ذكر زكريا عليه السلام وقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا وقال وسبح بالعشي والابكار

فضل الاوقات الثلاثة منها وقتان وهما اول النهار واخره يجتمع في هذين الوقتين عمل واجب وعمل هو تطوع فاما العمل الواجب فصلاة الصبح وصلاة العصر وهما افضل الصلوات الخمس وهما البردان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة وقد ثبت في كل منهما الصلاة الوسطى واما العمل التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس وقد ورد في فضل هذين الوقتين نصوص كثيرة وكذلك وردت النصوص الكثيرة في اذكار الصباح والمساء وفي فضل من ذكر الله حين يصبح وحين يمسي وقد روي من حديث ابن عمر مرفوعا ان احدهما ذكر في ساعة اول النهار وساعة من اخره اغفر لكم ما بين ذلك الا كبائر وتوبوا منها وكانت السلف لاخر النهار اشد تعظيما من اوله قال ابن المبارك بلغنا ان من ختم ختمة بالنهار بذكر كتب لقارئه كذلك قال ابو الجلد بلغنا بلغنا ان الله تعالى كل صباح الى السماء الدنيا ينظر الى شمائل بني ادم وروى بعض السلف يا جعفر القاري في المنام فقال الصقل الابي حازم يعني الاعرج الزاهد الكيس الكيس فان الله وملائكته يتراؤن مجلسك بالعشيات والظاهر ان ابا حازم كان يقص على الناس اخر النهار وقد جاء في حديث ان الذكر بعد الصبح يعدل اربع رقاب وبعد العصر يعدل من ثمان رقاب وبيقين بجمعة اخرى افضل من اول لما يرجى في اخره من ساعة الاجابة ويوم عرفة اخر وافضل من يوم الجمعة كذلك قاله السلف واستدلوا بحديث النزول الالهي وهذا كله مما يرجح به قول من قال صلاة العصر هي الوسطى واما الوقت الاخر فهو الدلجة والادلاج سير اخر الليل وادبارها هنا العمل في اخر الليل وهو وقت الاستغفار كما قال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال وبالاسحار هم يستغفرون وهو اخر اوقات النزول الالهي المتضمن لاستغفار خواص الخلق واستغفار المذنبين وتوبة التائبين وسط الليل للمحبين للخلوة بحبيبهم واخر الليل للمذنبين يستغفرون من ذنوبهم من عجز عن مشاركة المحبين في اجرى معهم في ذلك فصار قليل من مشاركة المذنبين في الاستغفار وورد في بعض الآثار ان العبد ليحرم من السحر قالوا وما كنت اظن ان احدا ينام في السحر وفي الحديث الذي خرجه الترمذي من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يسير الدلجة اخر الليل يقطع به سفر الدنيا والاخرة وفي حديث الذي خرجه مسلم اذا سافرتم فعليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما هو صبري مضى لاذ لابع في السحر فوضع الطاعات وليكون لك ورد تحرزه ولا يعجزك مطلقا فانه قل من يتلف بين الياس والفجر اني رايت في الايام تجربة الصبر عاقبته محمودة الاثر

وقال من جدّ في امر يطلبه واستصحب القرّاء الظفر وقد روي ان الاشتر دخل على علي رضي الله عنه بعد هدأة من الليل وهو قائم يعطّ فقال
يا امير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك فلما فرغ من صلاته انشد هذه الابيات سفر الحق طويل فتحمل الى قطع سير الليل
وهو الذي لاح كانت امرأة حبيب ابي محجن تقوله الطريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد سارت بين ايدينا فحثّ قربتنا
يا نايما بالليل كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد وخذ من الليل تا وقائد وزاد اما تجمع الرقد من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل او يجهده
وقوله صلى الله عليه وسلم والقصد القصد تبلغوا حث على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها بين العلو والتقصير ولذلك كرره
مرة بعد مرة وفي مسند البزار من حديث جابر مرفوعا ما احسن القصد في الغنا وما احسن الاصد في العبادة وكان لطرفاء بن عبد الله بن
الشخير ان قد اجتهد في العبادة فقال له ابوه خير الامور اوسطها المحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة قال ابو عبيد يعني ان الغلو في
العبادة سيئة والتقصير سيئة والاقتصاد بينهما حسنة قال والحقحقة ان يحمل في السير حتى تقوم عليه راحلته وتعقب فيبقى منقطعا به انتهى
ويشهد لهذا المعنى الحديث المروي عن عبد الله بن عمر مرفوعا ان هذا الدين متين فادخل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت
لا سفرا قطع ولا ظهرا ابقى فاعمل عمل امرئ يظن ان لن يموت الا هرما واحذر حذرا تخشى ان يموت غدا خرجه حميد بن زنجويه وغيره وفي الكبير
امره بالقصد اشارة الى المداومة عليه فان شدة السير والاجتهاد مظنة السامة والانقطاع والقصد اقرب الى الدوام ولهذا جعل عاقبة
القصد البلوغ كما قال من ادلج بلغ المنزل فالمؤمن في الدنيا يسير الدؤبر حتى يبلغ اليه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
فلا بد ان تلقاه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قال الحسن يا ابن آدم المداومة المداومة فان الله لم يجعل لعمل المؤمن اجلا دون الموت ثم تلى هذه الآية
وقال ايضا نفوسكم مطاياكم فاصلحوا لمطاياكم تبلغكم عز وجل والمراد باصلاح المطايا الرفق بها وتعاهدها بما يصلحها من رفق وغيره والرفق
بها في السير فاذا احس منها بتوقف في السير تعاهدها تارة بالتشويق وتارة بالتخويف حتى تسير قال بعض السلف الرجاء والخوف سائق
والنفس بينهما كالدابة المحرون فمتى تفرد احدهما وقفت فتحتاج الى الرفق بها والحدو لها حتى يطيب لها السير كالحادي للابل
بالبوادي يشرهها ويقلها وقال عذافر بن الطلح والله لو لم اكن اخوف كالسوط في الحث بالضرب باسوط على الدابة تلفت فلا بد لها
مع الضرب من حادي الرجاء يطيب لها السير بحدائه حتى تقطع قال ابو يزيد ما زلت اسوق نفسي الى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك كالطفل
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها بالروح عند القدوم فتحيى عند ميعاده قال خليد العصري ان كل حبيب يحب ان يلقى حبيبه فاجودكم سيرا
اليه سيرا جميلا لا مصعدا ولا منهبلا فغاية السير يوصل المؤمن الى ربه ومن لا يعرف السير الطريق الى ربه ثم يسلك اليه فيه فهو والبهيمة سواء
قال ذو النون السفلة من لا يعرف الطريق الى الله ولا يتفرغ الى الطريق الى الله هو سلوك صراطه المستقيم الذي بعث الله به رسوله
وانزل به كتابه وامر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه قال ابن مسعود الصراط المستقيم تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في ادناه وطرفه في الجنة
وعن يمينه جواد وعن يساره جواد ورجال يدعون من مر بهم فمن اخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن اخذ في الصراط انتهى به
الى الجنة ثم قرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله خرجه ابن جرير وغيره فالطريق الموصل الى الله واحد
وهو صراطه المستقيم وبقيت السبل كلها سبل الشيطان من سلكها انقطعت به عن الله واوصلته الى دار سخطه وغضبه وعقابه فربما
سلك الانسان في اول عمره على الصراط المستقيم ثم يحرف في اخر عمره فيسلك بعض سبل الشيطان فينقطع عن الله فيهلك لان الله تعالى لم يجعل
بينه وبين اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيعمل عمل اهل النار فيدخل النار وربما سلك العجلة ولم يتعد بعض سبل الشيطان
ثم تدركه السعادة ليسلك الصراط المستقيم في اخر عمره فيصل به الى الله والشان كل الشان في الاستقامة على الصراط المستقيم من اول
السير الى اخره ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم صراط من يرجع الى الله من
الطريق او ينقطع فان القلوب بين اصبعين من اصابع الله الذين لهم اقوال الثابت خليلي قطاع الفيافي الخ وفي الحديث الصحيح ان الله عز وجل
يقول من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي
اتيته هرولة وفي المسند زيادة فتلقاه عز وجل والله اعلا واجل والله اعلا واجل وفيه ايضا يقول الله ابن ادم قم الي اسعى اليك ونفسي
الي اهرول اليك حتى اقبل اليك لتلقاه من بعيد من ارادتنا الا ما يريد من سألنا اعطيناه وزدنا المزيد من عمل بقوة الله الحديد

هذا

يا هذا لو انك قصدت باب الملك فطرقته لما اقبل اليك ولا تلفاك وربما حجبك عن الوصول اليه دقصاك وملك الملوك يقول من اتاني يمشي
اتيته اهرول فاستعبر معرض وعلى غيره مقبل قد غبيت الحق وخسرت اكبر الخسران فوالله ما جئتكم لاثرا الا لتخرجوا الارض
تطوى لي ولا تنيت العزم عن بابكم اللغرث يا ذبابي يا معشر المريدين وقد وضح الطريق فما هذا التاخر عن السابق والتعويق
لقد وضح الطريق لمن كان حقا فاخلق بمن يستدل في الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يا قوم اجيبوا
داعي الله يا نفس ويحك قد اتاك هداك اجيبي فهذا داعي الله قد ناداك كم قد عيل الرشاد فتعرضي وجبت داعي النبي حين دعاك
الوصول الى الله نوعان احدهما في الدنيا والثاني في الآخرة فاما الوصول الدنيوي فالمراد به ان القلوب تصل الى معرفته فاذا
عرفته احبته وانست به فوجدت منه في الدعاء مجيبا كما في بعض الاثار ابن ادم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء
وان فتك فاتك كل شيء برز المرسوم منا لا يحجب قد ظنا فاطلبونا تجدونا في ثلوث قد تسعا صابرات راضيات بالذي قد
يصدر عنا كان ذو النون يخرج بالليل فيرد نظره في السماء ويردد هذه الابيات حتى يصبح ثم طلبوا لا تعسكم مثل ما وجدت انا
قد وجدت مثلي سكنا ليس في هواه عنا ان بعدت قريبي او قربت منه دنا واما الوصول الاخروي فهو دخول الجنة التي هي دار
كرامة الله لاوليائه ولقائهم في درجاتهم متفاوت قلوبهم في الدنيا في القرب والمشاهدة قال تعالى و
كنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب اليمنة ما اصحاب اليمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون اولئك
المقربون كان الشبلي يهيج في داره وينشد على بعدك لا يصبر من علة الذعر ولا يقوى على تجلدك من به يحب فان لم تزر
العين فقد يبصرك القلب الصراط المستقيم في الدنيا يشتمل على ثلاث درجات درجة الاسلام ودرجة الايمان ودرجة
الاحسان فمن سلك على درجة الاسلام الى ان يموت عليها سلم من الخلود في النار ولم يكن له بد من دخول الجنة وان اصابه قبل ذلك ما
اصابه ومن سلك على درجة الايمان الى ان يموت عليها منعه من دخول النار بالكلية فان نقض الايمان بطغى لهب نار جهنم حتى تقول
يا مؤمن جز فقد اطفا نورك لهبي وفي المسند عن جابر مرفوعا لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت
على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم هذا صيرات ونمر المجنون من حال ابيهم ابراهيم عليه السلام فبقي فؤاد المحب نارها هوى شاحر ابرد المحبوب
ابردها ومن سلك على درجة الاحسان الى ان يموت عليها وصل بعد الموت الى الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة في الحديث الصحيح
اذا دخل اهل الجنة الجنة نادا مناديا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو الم يبيض وجوهنا الم يثقل
موازيننا ولم يدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم ولا اقر لاعينهم
من النظر اليه وهي الزيادة ثم تلى للذين احسنوا الحسنى وزيادة كل اهل الجنة يشتركون في الرؤية ولكن لا يتفاوتون في اي حال في
الرؤية وفي اوقات الرؤية عموم اهل الجنة يرون يوم المزيد وهو يوم الجمعة وخواصهم ينظرون الى وجهه كل يوم بكرة وعشيا
عموم اهل الجنة لهم زنة ينظرون فيها بكرة وعشيا وخواصهم يرون الله بكرة وعشيا العارفون لا يحجبهم عن محبوبهم قصر ولا يرون بهم دونه ستر لا
كان بعضهم يقول اذا رجعت فذكره زادي واذا عطشت فشاهده رسولي ومرادي ورؤي بعض الصالحين في المنام بعد موته
فسئل عن حال رجل من العلماء فقال تركتهما الان بباب يدي الله عز وجل ياكلان ويشربان وينعمان قيل لهما فما علم فلان عيني
في الطعام قابا حين انظر اليه ان رئي اذا غلبت الماء وتوفي اذا اردت الطعام وفي المسند عن ابن عمر مرفوعا ان ادنى اهل
الجنة منزلة لينظر في ملكه الفي سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه ينظر الى ازواجه وخدمه وان افضلهم لينظر الى وجه الله تبارك
وتعالى كل يوم مرتين وفي لفظ للترمذي والطبراني ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وخدمه وازواجه ونعيمه وسرره مسيرة
خمسمائة سنة والبرهم صلى الله من ينظر الى وجهه بكرة وعشيا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
ولهذا المعنى لما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حديث جرير ابن عبد الله البجلي انكم لترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر
فان استطعتم الا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
فما كان هذان الوقتان في الجنة وقتان للرؤية في حق جميع اهل الجنة حتى خاطبه صلى الله عليه وسلم على المحافظة على الصلاة في هذين الوقتين

في الدنيا فمن حافظ عليهما عين الصلاتين في الدنيا وصلاهما في هذين الوقتين على اكمل وجوههما وخشوعهما وحضورهما وادبهما فانه ممن يرجى لهما ان يبرك الله في هذين الوقتين في جميع لا سيما ان حافظ بعدهما على الذكر ونوع العبادات حتى تطلع الشمس او تغرب فان وصل العبد ذلك بالجواهر الليل فوز الراحلة بالسير في الاوقات الثلاث وهي الدلجة والغدوة والروحة فيوشك ان يبلغ المقصد في هذا السير والوصول الاعظم الى ما يطلبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر من لزم القصد في طلبه اداه القصد الى مقعد القصد وبشر الذين امنوا انهم قدم صدق عند ربهم اي محب لا يقطع السوال عن يحب ويحسن الاجابة ويسلم الرواح ويستدل بالاثار على سلوك المطربين الى المحبوبين سالتكم عنها فهل من مخبر فقال بعضهم بعدها مكنت اعلم اذ ولكنا ندري اين خيم اهلها ثم اي بلاد الله اظعنوا اموالهم فاذا اسلكنا مسلك البيت خلفها ولو اصبحت بهم ومن دونها النجم ثم تذكرت همتي الله مطلوبها وشرفت نفسي لتعجبها ولم تقنع بدونهم بها بالعذاة والعشي يرون وجههم شاهد المحب سوى ارادة حبه فان المحب بكل بصيرة فيما كل امرئ ما يطلب فمن كان يطلب الله فلا تتمنى له من طلب الله فهو جل من ان يعوم ومن طلب غيره فهو حقيق من ان يكون له قيمة قال الشبلي من ركن الى الدنيا احرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن الى الاخرة احرقته بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن ركن الى الله لم تحرقه نار التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له لانه معجم لا منتهى لجماله وجلاله وهمتي الصغرى اجل من ان ترسل الشبلي هل يمنع الحب شيئا من حبيبه قل مشاهدة فرقا شد والله لو ملك كسرى ملك المشرق والمغرب ولو اموال الدنيا جزية الي من بادومن قد بقي وقيل لي لا تلتفتي ساعة اخرت باموالها ولن تلتفتي من كبرت همتي لم يرض بطلب شيء سوى الله ذلك عزوي وراحتي في مساي وصباحي وكذا ذكرك روحي ثم ريحاني وراحتي انت سؤالي ونصيبي ومرادي لنجاحي يا غياثي وملاذي وارشادي وصلاحي

فصل في بيان تفاوت الخلق في معرفة الله تعالى

ان يكونوا يحتسبون هذا الامر كانت شدة على الخائفين العارفين فانها تتقي ان من العباد من يبدو له عند لقاء الله ما لم يكن يحتسب ان يكون غافلا عما بين يديه معرضا عنه غير بر ولا يحتسب له فادام كشف الغطاء عن ذلك اهول المطلعة عند ما لم يكن في حسابه ولهذا قال عمر رضي الله عنه لو كان لي ملء الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وفي الحديث لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من سعادة المرء ان يطول عمره ويرزقه الانابة قال بعض حكماء السلف كم من موقف خزي يوم القيمة لم يخطر على بالك فحفظ ونظر عن قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قال الفضيل بن عياض في هذه الاية وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال عملوا اعمالا حسبوا لها حسنات فاذا هي سيئات وقريب من هذا ان يعمل الانسان الذنب يخافه ويستهون به فيكون هو سبب هلاكه كما قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وقال بعض الصحابة انكم تعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات ومن زين له سوء عمله فرآه حسنا قال تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال ابن عيينة لما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة جزع جزعا شديدا فقال له بعض اصحابه ما يجزعك يا ابا عبد الله فقال وما يؤمنني ان يبدو لي من الله ما لم اكن احتسب فجعل يبكي اخرجه ابن ابي حاتم وذكر ابن ابي الدنيا فقال له اهله دعوناك لتخفف علينا فزدتنا فاخبرهم بما قال وقال الفضيل اخبرت عن سليمان التيمي انه قيل له انت انت ومن مثلك فقال انما اصبح لا تدري ما يبدو لي من الله سمعته يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وكان الثوري يقول عند هذه الاية وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وكان الثوري يقول عند هذه الاية وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون هذه الاية وهذا كما في حديث الثلاثة الذين اول من تسعر بهم النار العالم والمتصدق والمجاهد وكل واحد من عمل اعمالا صالحة وكانت عليه مظالم فمن يظن ان اعمالا تنجيه بعد ما لم يكن يحتسب فيقسم الغرماء اعماله كلها ثم يفصل لهم فضل فيطرح من سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار ومن ناقش الحساب فيطلب منه شكر النعم فتستوعب اعماله كلها وتبقى بقية النعم فيطالب بشكرها فيعذب او تقل عليه السلام من نوقش الحساب عذب او هلك وقد يكون له سيئات تحبط بعض اعماله او اعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل النار وفي سنن ابن ماجة من حديث ثوبان مرفوعا ان من امتي من ياتي باعمال امثال الجبال فيجعلها الله هباء منثورا قال اخبرهم قوم من جلدتكم ويأخذون بالسنتكم

ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم اذا خلوا بمحارم الله انتهكوها وخرج يعقوب بن شيبة بن ابي البرنا من حديث سالم عن ابي
هند مرفوعا يجاء يوم القيمة باقوام معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى اذا جيء بهم جعل الله اعمالهم هباء ثم كبهم في النار قال سالم
ذكر منهم قال لما انهم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هيئة من الليل لعنهم كانوا اذا عرض لهم شيء من حرام اخذوه فاحبط الله
اعمالهم وقد يخبط العمل اكثر من رياء خفي واعجب بره ويخوف لك ولا يشعر به صاحبه قال ضيغم العابد ان لهربات الآخرة المؤمن بالمرصاد فقد
جمع عليه ان عمر الدنيا وشقا الآخرة فقيل له كيف لا تاتي الآخرة بالسرور وهو يتعب في دار الدنيا فقال كيب بالقوت كيب بالسلامة
ثم قال كم من رجل يرى انه قد صلح قد صلح تحتر بجمع ذلك كله يوم القيمة ثم يضرب به وجهه ومن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره
يتعوذون من عجزة الآخرة انما تقبل الله من المتقين وقال ابن عون لا تثق بكثرة العمل فانك لا تدري يقبل منك ام لا ولا تامن ذنوبك فانك
لا تدري هل كفرت عنك ام لا ان عملك غنك مغيب كله لا تدري ما الله صانع به وبكى ابو حيي عند الموت وقال لست ادري بم ادري
ابيشر بي بالجنة او بالنار وجزع غيره عند الموت قيل له تجزع قال نعم هو ساعة ولا ادري بما يسلك فيها وجزع بعض الصحابة عند موته فسئل
عن حاله فقال ان الله قبض خلقه قبضتين قبضة للجنة وقبضة للنار ولست ادري في اي القبضتين انا ومن تامل احوال الخلق فان ابن ادم مشغول
بالهول العظيم من الموت والقبر وهول البرزخ وهول الموقف كالصراط والميزان واعظم منذلك الوقوف
بين يدي الله عز وجل ودخول النار ويخشى على نفسه الخلود فيها بان يسلب ايمانه عند الموت ولم ير من المؤمن شيء من هذه الامور وانما
ير مكر الله الا القوم الخاسرون فتحقق هذه الامور جميع بني ادم القرار دى بعضهم في النوم قائلا يقول له كيف نام العين وهي قريرة
ولم تدر في اي الحالين تنزل ٠ وسئل بعض الموتى وكان عابدا عن حاله فانشد وليس بعلم ما في القبر مثل البكاء وساكن الحجرات
وفي هذا يقول بعضهم ٠ اما والله والو علم الانام لما خلقوا لما فعلوا ولا سوا لخلق خلقوا لامر لو ابصرته عيون قلوبهم تاهت عقولهم
حيرات ثم تبر ثم حشرة وتوبيخ واهوال عظام ليوم الحشر قد علت رجال فصلوا من مخافته وصاموا فخر ذا لفيضا لوا مرتا ٠
كاهل الكهف ايقاظ نيام ٠ اجره الخير رب العالمين وصلاته على محمد وسلم ٠

فصل اعظم المجلوس للذكر جلسة القرفصاء هي المارقة الخشوع قال الحارث بن ابرهيم البوشنجي ما رايت الحراب حتى جالسا قط الا
القرفصاء الا ان يكون في الصلاة وهذه الجلسة هي اذل الجلسات بالخشوع والقرفصاء ان يجلس الرجل على اليته ناصبا ركبتيه الى صدره
معتمدا بالحمل قدميه الى الارض ورب ما احتبى بيديه ولا جلسة اخشع منها لما روى البخاري رحمه الله عن عمر رضي الله عنه انه قال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بفنا الكعبة محتبيا بيديه هكذا ووصف بيديه بالاحتباء وهو القرفصاء وقال ابو عبيد القرفصاء ان يعد الرجل
فخذيه ثم يجتبي بيديه يضمهما الى صدره وسمعت سفيان بن عيينة يقول ما رايت اكثر خشوعا من فلان لفقهه

الخشوع في الصلاة

مطبوع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والحمد لله رب العالمين

الحمد لله ذي الطول المكرة من الجلد وغافر ذنوب المستغفر بفضله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وارضى كلمته و
اشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وخيره بين ان يكون ملكا نبيا او عبدا رسولا فاختار مقام
العبودية مع رسله وكان يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين تنويها بشرف هذا المقام وفضله صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه والمستمسكين بحبله وسلم تسليما اما بعد فان الله سبحانه وتعالى مدح في كتابه المخبتين له والمنكسرين
له ومدح الخاشعين لعلمه بحقائق الخشوع لعلمه بتحقيقهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعون رغبا ورهبا وكانوا له خاشعين وقال الخاشعين
والخشوع في قوله اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ووصف المؤمنين بالخشوع عليه في اشرف عباداتهم التي هم عليها يحافظون فقال
قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ووصف الذين اوتوا العلم بالخشوع حيث يكون لهم كالمعين عما قال الذين
اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا الى قوله ويزيدهم خشوعا فصار الخشوع عنوان القلب ورقته وكونه مخبتا
ومكسوره وخوفه فاذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والاعضاء لانها تابعة له كما قال صلى الله عليه وسلم الا ان في الجسد

الى القرية الصالحة فادركته الموت بينهما فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله اليهم ان قيسوا ما بينهما فالى ايهما قرب فالحقوه
بها فوجدوه الى القرية الصالحة اقرب بوصر بحر تهجرن اماكن المعصية واحبها من جملة الهجرة الماموربها قال الهاجر من هجر ما نهى الله عنه قال
ابرهيم بن ادهم من الادلة التوبة فليخرج من المظالم وليدع محاظر من كان يخالط والا لم ينل ما يريد احصنها الذنوب فانها مشؤمة عواقبها
ذميمة وعقوباتها اليمة والقلوب المحبة لها سقيمة والنفوس المايلة اليها غير مستقيمة بالسلامة منها غنيمة والعافية منها لمن لها قيمة والسلامة لها
لاسيما بعد نزول الشيب داهية عظيمة شعر طاعة الله جزما اكتسب العبد ولكن طاعة الله تعصيه فما هلاك النفوس الا المعاصي
فتوق اجتنب ما لها كما لا تقربنه ان شيئا هلاك نفسك فيه تبغي ان تصون نفسك عنه اخرجه ابو احمد العسكري العالمي صلى الله عليه وسلم

هذا الحديث والذي بعده متروك منهما على سبيل الاختصار

بسم الله الرحمن الرحيم خرج الامام احمد والحاكم من حديث زيد ابن ثابت ان
النبي صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وامره ان يتعاهد به اهله كل يوم قال قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس
بك واليك اللهم ما قلت من قول او نذرت من نذر او حلفت من حلف فمشيتك بين يديه ما شئت كان ولم يكن ولا حول ولا قوة الا
بك انك على كل شيء قدير وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعن فعلى من لعنت انت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني
بالصالحين اللهم اني اسالك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة
واعوذ بك اللهم ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدي علي واكتسب خطيئة محيطة او ذنبا لا تغفره اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة ذو الجلال والاكرام اني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا اشهدك وكفى بك شهيدا اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك
لك الملك ولك الحمد وانت على كل شيء قدير واشهد ان محمدا عبدك ورسولك واشهد ان وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة
آتية لا ريب فيها وانك تبعث من في القبور واشهدك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضيعة وعورة وان لا تتولى الا رحمتك فاغفر لي ذنوبي
فانه لا يغفر الذنوب الا انت واسعدني لطاعتك التواب الرحيم قوله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك معناه اجابة لدعائك مرة بعد مرة
ليس المراد بها حقيقة التثنية المذكورة بل النكتة فيه لو لم ار جع البصر كرتين يعني مرة بعد مرة واصله من لب بالمكان اذا لزمه واقام فيه فمعنى
البيك يجيب دعوة الله ويلزم ذكره يقتضيه بادرة الاجابة مع المداومة عليها وقوله وسعديك يعني اسعادا بعد اسعاد ومعنى اسعده
بعد طاعة واصله ان المنادي اذا دعا غيره فاجابه اجيب لدعائه بمساعدته ومساعدته ثم نقل ذلك الى مطلق الطاعة حتى استعمل في اجابة دعاء الله
وحكى عن العرب سحابة وسعدانة على معنى اسجبي وطبعه ولا شك ان الله سبحانه يدعو عباده الى مايفيد رضاه عنهم وما يوجب لهم سعادة الابدية
فمن اجابه هداه واستجاب له فقد فاز فوزا عظيما والله يدعو الى دار السلام وقال تعالى قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر
لكم من ذنوبكم الاية ولهذا يقول الملبي في حجه لبيك اللهم لبيك يعني اجابة لدعائك مذعنا طائعا لك حبث دعوتنا الى حج بيتك فاذا كان العبد في جميع كل يوم يقول
لبيك وسعديك فالمراد بذلك ان يصحب معه الدعوة مصرعا اليها مقيما على طاعتك ممتثلا لاوامرك مجتنبا لنواهيك فاذا قال هذا بلسانه فما
الواجب ان يتبع ذلك بعمله ليكون مستجيبا لدعوة الله قولا وفعلا وان قال ذلك بلسانه ثم خالف ذلك بعمله فقد خالف في عمله ما
وجد بد ان يجاب كما يجاب من حج بمال حرام وقال لبيك اللهم لبيك فيقال له لا لبيك ولا سعديك في بعض الآثار ان الله عز وجل ينادي
كل يوم ابن ادم ما انصفتني اذكرك وتنساني وادعوك الى فقر هب الى غيري واذهب عنك البلايا وانت معتكف على الخطايا يا ابن ادم مهما
اعتذرت عذرا اجبتني كم تعاك الى بابي فاجبت ولا بيت كم استدعاك الى جنابي فتعززت وابيت كم عرضت عليك واجبا فتكاسلت
وتوانيت وزجرت عن منهيا تي فانزجرت وتماديت فيما من جملته حتى ظلمت وقوله والخير في يديك اشارة الى ان ما تقضي
انما يريد عباده الى ما هو خير لهم مما يصلح دينهم ودنياهم واحوالهم فانت يدعوهم الى دار السلام ويدعوهم ليغفر لهم ذنوبهم فاسارع العبد
الى اجابة دعوة ربه بتلبيته والاستجابة له زال مع ذلك والخير في يديك شارة لان في استجابتي دعوتك طمعا في نيل الخير الذي كله بيديك
وانت ما تدعو العبد الا الى ما هو خير له في دنياه واخراه فهذا الوعاك يخالف ترجو خيره لاسرعت الى اجابته مع انه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
فكيف لا اسرع الى اجابة من الخير كله في يديه فلذلك دعوك الى الخير بوصلة لبيك وقوله وسعديك وبك واليك يحتمل ان الخير كله منك وبك واليك يعني

بن عبد الخير منكم كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله هو المبدي بالخير فيزيد وينشأ والخير بيمين وهو بأنامله ولو شاء لنزعه وسلبه صاحبه
وقد قال نبيه صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا والخير إليه بمعنى أنه يرجع بصاحبه إلى الله في الآخرة والجوار له وتدبير في جنات النعيم فيزيد الخير بصاحبه إذا الله عز وجل يتجلى لعباده ومنك
وبك وإليك أن العبد بنفسه من الله وبالتدبر الله كما في الاستفتاح لبيك وسعديك والخير بيديك ليس إليك ولعل هذا لتعليم فيكون معنى كلمات العبد وجوده من الله
فإنه كان عدما فأوجده وهو في حال وجوده في الدنيا بالله أي بأن ثبته وقيامه بالله فلولا الله يديم الوجود وما فيه من النوع الخارق لهلك
ذلك كله ومن سمائه الجي في يوم وبعد انتقال العباد من هذه الدار فمرجعهم إلى الله كما قال تعالى الله مرجعكم وفي هذا المعنى قال بعض العارفين
حقيقة التوحيد أن يكون العبد قائما بالله عز وجل بريا من الأشياء مفوضا إليه وقوله اللهم ما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من
حلف فمشيئتك بين يديه ذكر الخطابي في كتاب الدعاء أن قوله فمشيئتك روي بضم التاء وفتحها وأن من رواه بالضم فإن المعنى الاعتذار
السابق للاقدار العائقة عن الوفاء بما التزم العبد نفسه من النذر قال وفي هذا طرف من الجبر والصواب رواية من رواه بفتح التاء على معنى فعل
كانه قال في اقدم مشيئتك في ذلك ليوفي الاستثناء شرطا للحنث بمعنى عند وقوع الحلف قال وفيه حجة لمن ذهب مذهب المكيين
في جواز الاستثناء منفصلا عن اليمين قلت الصواب حمل هذا المعنى على كلا الروايتين أعني رواية الضم وليس المراد برواية الضم الاعتذار
بالعقد وإنما المعنى فمشيئتك بين يديه ذلك كلمة مقدمة فهو منفذ ما حلفت عليه وشهد لهذا ما روى أبو داود في سننه عن أبي الدرداء أنه
كان يقول حين يصبح اللهم ما حلفت من حلف قلت من قول أو نذرت من نذر فمشيئتك بين يديه ذلك ثم ما شئت كان وما لم تشأ
لم يكن في استثنائه يومه فقد صرح أبو داود بهذا الاستثناء بالمشيئة أنه يكون استثنائه في يومه ذلك يعني فيما يحلف به وينذره
وبقوله في ذلك اليوم وهذا صريح في أنه يكون استثناؤه فيما استبهم من الكلام في يومه ذلك وبما قاله الخطابي أنه يمتنع تحنث كقول
من يقول ذلك في الاستثناء المتصل بعد الكلام كما كان عن المكيين فاصل ذلك أنه قد روي عن المكيين كعطاء ومجاهد عن ابن دينار و
ابن جريج وغيرهم أن نفع الاستثناء بعد مدة من يمينه وروي ذلك عن ابن عباس من وجوه وقد طعن فيها كلها غير واحد منهم القاضي
اسمعيل المالكي والحافظ أبو موسى المديني ولم في ذلك مصنف مفرد وروي عن ابن عباس في قوله تعالى واذكر ربك إذا نسيت قال هي
في هذه النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره مرجح الطرق من وجه ضعيف وروي ذلك عن ابن جريج أيضا وقال الخطابي فهذا ما أراد هؤلاء
لك الاستثناء المنفصل يحصل به امتثال قوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله الآية وفي الحديث أن بني إسرائيل لو لم يقولوا
إن شاء الله لما اهتدوا أبدا يعني البقرة التي أمروا بذبحها قال إبراهيم بن أدهم قال بعضهم ما سأل السائلون مسئلة في نجح من أن يقول
بعد ما شاء الله قال يعني بذلك المفوض إلى الله قال حماد بن زيد جعل رجل لرجل جعلا على أن يعبر رؤياه إذا قرب من شط فرعون فقال
له رجل قل إن شاء الله فقال شاء الله أو لم يشأ فأخذ الأرض فلا ينبغي لأحد أن يخبر بفعل بفعله في المستقبل إلا أن يلحقه مشيئة الله
وذهب جماعة إلى أن الاستثناء بالمشيئة ثم ذكرها ولو بعد مدة تمنع ما أمر به وزال عنه الإثم وإن كان لا يرفع عنه الكفارة وهو الحنث فيه يمينه وروي عن سعيد
ابن جبير في قوله واذكر ربك إذا نسيت قال يقول إذا حلفت وسيأتي الاستثناء فاستثن إذا ذكرت ولو بعد خمسة أشهر وسنة وبهذا يخرج الحنث
من أن يحنث وعلى هذا يحمل قول ابن عباس وأصحابه وطائفة من العلماء منهم ابن مسعود والأسود وابن جرير الطبري وكذا يقال في مسألة الحديث
في تقديم الاستثناء في اليمين فإن تقديمه بعد أيام من تأخيره عن اليمين فإن اليمين لم توجد بعد بالكلية وفي تأخيره قد وجدت وقد قال مالك
في من استثنى في اليمين ذكر المشيئة يريد بها الاستثناء فيمضي ذلك في منع الحنث وإن كان إنما أراد استثناء قوله تعالى ولا تقولن لشيء إني
فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء ثم يحنث فالجاري الكفارة ونقله ابن المنذر وغيره وكذلك حكاه أبو عبيد عن بعض العلماء وفي جملة ما ينبغي
أن يعلم أن حديث ابن عباس ثابت فقد دل على هذا المعنى وإن تقدم المشيئة على كل قول يقوله وحلف يحلفه ونذر ينذره يخرج به الكلام من عهدة الاستقبال
بعد ويحقق بعد أنه لا يكون مما يعزم عليه العبد بقوله ومن حلف ونذر وغيرها إلا ما شاء الله وأراده وقد قال بعده ما شئت كان وما
لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك لنت على كل شيء قدير فسبر من حوله وقوته ومشيئته بدون مشيئة ربه وحوله وقوته تراءى العبد عاجزا
مولها في تعاقبها عليه ريب في هذا الكلام فإذا رد بالحول والقوة والقدرة والمشيئة وأن العبد غير قادر مع ذلك على ما يقول ويريد

وهذا غاية توحيد الربوبية وقد جعل طائفة منهم الامام احمد كابن عباس تأويل الآية على وجه آخر وهو ان الرجل اذا قال لما افعل كذا وكذا ثم اراد فعله فانه يستثني ثم يقول ان شاء الله ثم يفعله ويتخلص بذلك من الكذب اذا لم يكن حلف عليه بيمين وكان يحيى بن سعيد الانصاري اذا قال لا افعل كذا لما افعله ابدا فاذا قيل له انك حلفت يقول انما الشرط يعني الكذب لو كنت حلفت كان اهون علي كأنه اعز عينيه واعظمه وسئل الامام احمد عن رجل قال لا اكل ثم اكل قال هو كذب لا ينبغي ان يفعل وقال الا ترى الى رجل كلم في شيء فيقول نعم ان شاء الله ومن نيته ان لا يفعل قال هذا الكذب والحلف قال انما يجوز الاستثناء في اليمين قبل ان يحلف قال نعم ان شاء الله ومن نيته ان يفعل ثم بدا له الا يفعل له ان يستثنيه وهو مخالف لما قاله من اول كلامه وهذا يدل على ان الاستثناء بالمشيئة في غير اليمين انما ينفع لمن لم يكن مصمما على مخالفة ما قاله من اول كلامه وقوله اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعن فعلى من لعنت قال الخطابي في الوجهان ترفع التاء من صليت ولعنت في الاول وان تنصبه في الآخر والمعنى كأنه يقول اللهم ان صلاتي ودعائي الى من خصصته بصلاتك ورحمتك واجعل لعنتي على من استحق اللعن عندك واستوجب الطرد والابعاد في حكمك ولا تؤاخذني بالخطإ مني في وضعها غير موضعها واحلالها في غير محلها قال وانما يصح هذا التأويل اذا كان قد سبقت منه صلاة او لعن لغير مستحق قال وقد يحتمل ان دعاءه بالتوفيق واشتراط العصمة في سلمته لئلا يجري على لسانه ثناء الا لمن يستحق الثناء من اولياء ولا ذما الا لمن يستحق الذم من اعدائه كأنه يقول اللهم اجعلني حتى لا اوالي الا اولياءك ولا اعادي الا اعداءك قال والوجه الاول انما ينصرف الى الماضي والوجه الآخر الى المستقبل والله اعلم انتهى قلت الاول اصح بشهادة قول ابي الدرداء اللهم من صليت فعليه صلاتي ومن لعنت فعليه لعنتي وقول الخطاب انما ينصرف الى الماضي ضعيف بل المراد ان ينصرف الى المستقبل وانما المراد ما لعنت في هذا اليوم من لعنته وما صليت فيه من صلاتي يعني ما صليته وما لعنته وهذا ما تقدم في قوله ما قلته من قول او نذرته من نذر وفيما تقدم عنوان المراد ما يقوله وينذره ويحلف في المستقبل فكذلك الصلاة واللعن والله اعلم

ان العبد مبتلى بلسانه يلعن من لا يستحق اللعن اذا لم يكن الملعون لها اهلا لها رجعت على اللاعن واللعن دعاء فربما اجيب واصاب ذلك الملعون وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة التي لعنت بعيرها ان ترسله وقال لا يصحبنا ناقة ملعونة وكان بعض السلف لا يدخل بيته شيء ملعون ولا يأكل ملعونا وذكر ابن حامد من اصحابنا عن احمد قال من لعن عبده فعليه ان يعتقه او شيئا من ماله كأن عليه ان يتصدق بمثال ويحيى في زوجته انه يلزمه ان يطلقها ويشهد احمد في الزوجة ونوع الفرقة بين المتلاعنين لما كان دليلها في الامر قد حقت عليه اللعنة والغضب فاذا تقدم العذبين اول لخفارة انه ما لعن من لعن فانه لحق ما لعنه الله ورسوله انتهى من ثناء فانه لحق بمن انثنى الله عليه فقد خلص بذلك من اثم اللعن من لا يستحق ومدح من لا يستحق اذا وقع ذلك سهوا او غلطا او عن قوة غضب فاما من تعمد ذلك مع علمه بالحال فني دخوله في هذا الشرط نظر مع ان عموم اشتراطه يقتضي دخوله فيه وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل ان يلعن او ضربه في غضب انه يكون كفارة له وصلاة وفي رواية وهو غير مستحق وهذا انما يكون اذا ظن استحقاقه فالذي كان ثم تبين انه غير مستحق

وقوله انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين هذا ما خرج من دعاء يوسف عليه السلام والله عز وجل ولي اولياءه في الدنيا والآخرة يتولى حفظهم في دينهم ودنياهم ما كانوا احياء فاذا حضرهم الموت توفاهم على الاسلام وادخلهم بعد الموت بالصالحين وهذا لجل النعم وانما جاء الاطلاق وقول يوسف عليه السلام توفني مسلما الآية قيل دعا نفسه بالموت وهو في اخر عمره من السلف منهم الامام احمد فيستدل به على جواز الدعاء بالموت من غير ضرر نزل به وقيل انما دعا بالموت على الاسلام عند حضور الموت وليس فيه دعاء بتعجيل الموت كما اخبر الله عن المؤمنين انهم قالوا في دعائهم وتوفنا مع الابرار ويؤيد التفسير الاول انه عقبه بالدعاء بالشوق الى لقاء الله وهو يقتضي الدعاء بالموت وتمنيه بقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ثم ذمهم على عدم تمنيه بسبب ما قدمت ايديهم وعلى حرصهم على طول الحياة في الدنيا وفي المسند مرفوعا لا يتمنين الموت الا مسدد وقد يجعل الله لمن كان له عمل صالح فانه يتمنى المقدم عليه وكذلك من غلب عليه الشوق الى لقاء الله واما تمني الموت خوف فتنة في الدين فانه يجوز بغير خلاف وقوله اللهم اني اسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك هذه ثلاث خصال وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو بها في حديث عمار بن ياسر فاما الرضى بالقضاء فهو من علامات المحبين الصادقين في المحبة فني اثار الفلوب حب مولاها

رضيت بكل ما يقضيه علينا من مؤلم وملائم فاذا امتلأت القلوب بالرضى عن المحبوب صار رضاها ما يرد عليها وانما قال الرضا بعد
المضايقات ذلك لان هو الرضا حقيقة واما الرضا بالقضا قبل وقوعه فهو عزم على الرضا وقد تنفسخ العزائم عند وقوع الحقائق ومع هذا
فلا ينبغي ان يستعجل العبد البلاء بل يسأل الله العافية فاذا نزل البلاء تلقاه بالرضا وأما برد العيش ولذاذته وما قرة عين صاحبه
فان البرد يحصل به قرة العين عين الانسان وطيبها وبرد القلب يوجب انشراحه وعلامته خلاف حرارة القلب ولعين ولهذا في حديث
الطيرة قلبي بماء البئر والبرد وسعة السرور باردة بخلاف دمعة الحزن فانها حارة فبرد العيش طيبه ولا يكمل طيب للعيش ونعيمه
الا في الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة وسبب ذلك ان ابن آدم مركب من جسد وروح وكل منهما يحتاج الى ما
يتقوت به وينعم به وذلك هو عيشه فالجسد عيشه الاكل والشرب والنكاح والطيب ففيه مشاركة بالحيوان في هذه الاوصاف
واما الروح فهي لطيفة ربانية وحانية من جنس الملائكة قوتها ولذاتها في معرفة خالقها وبارئها وفي التقرب منه بما يحبه ذكره والحب
والانس به والشوق الى لقائه فهذا هو عيش النفس وقوتها فاذا فقد ذلك مرضت او هلكت اعظم مما يهلك الجسد بفقد طعامه وشرابه
ولهذا يوجد كثير من اهل الغنا والسعة يعطى جسده حظه من النعيم ثم يجد الم في جسده قلبه وحشة وسبب ان الروح فقدت غذاءها من
وتألمت قال بعض العارفين لقوم ما نعد ونا العيش فيكم قالوا الطعام والشراب ونحو ذلك فقال اما العيش فلا يبقى منكم جارحة الا وهي
تجاذبكم لحظ عاجل الله عز وجل من عاش مع الله طاب عيشه ومن عاش مع نفسه وهواه طال عيشه وكل ابن آدم كسير اياسة
ثم قام الى نهر فشرب منه بكفه ثم حمد الله فقال لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف ايام
الحياة على ما نحن فيه من الدنيا العيش وقلة التعب واعلم ان الجمع بين هذين العيشين في الدنيا غير ممكن فمن اشتغل بعيش روحه
كليه حصل له منه نصيب وافر ومن لهى عن عيش جسده وبدنه لم يقدر ان ياخذ منه نهمته شهوته ولم يقدر ان يتوسع في نيل الشهوات
وانما يأخذ بقدر ما يقوم به حاجة البدن خاصة فينتقص بذلك عيش الجسد ولا بد وهذا كان سيد البشر والانبياء والمرسلين دائما عامة كان
الله يختار ان يقلل نصيبهم من عيش قلوبهم وارواحهم قال سهل التستري ما لقي الله عبد اس قربه ومعرفته نصيبا الا حرمه من الدنيا بقدر
ما اعطاه من قربه ومعرفته وقربه ولا اتاه نصيبا من الدنيا الا هو منه من معرفته وقربه بقدر ما اعطاه من الدنيا وكان صلى الله عليه وسلم
يقتصد في عيشه غاية الاقتصاد مع ما فتح الله عليه من الدنيا والملك ومات ولم يشبع من خبز الشعير وقال حبب الي من دنياكم النساء
والطيب والنساء والطيب فيهما قوة الروح بخلاف الطعام والشراب قال بعض السلف لذة الطعام عناء على التمرغ في الجنابات وقال
ما نال طعام امرأ الا رق قلبه وبدت عيناه ولهذا المعنى شرع الله الصيام واعلم ان عيش الجسد يفسد عيش الروح وينغصه واما
عيش الروح فانه يصلح عيش الجسد وقد يغلبه عن كثير مما يحتاج اليه من عيشه فمن وفى نفسه حظها من عيش جسده فسد قلبه وقسى
وحجب لذلك للغفلة وكثرة النوم فتنقص حظ روحه وقلبه من طعام المناجاة وشراب المعرفة فخسر خسرانا مبينا قال بعضهم مساكين اهل الدنيا
خرجوا منها وما ذاقوا اطيب شيء فيها قيل وما هو قال معرفة الله عز وجل فمن عاش في الدنيا ولا يعرف ربه ولا يتنعم بخدمته فعيشه وحش الهائم
فانصالحون كلهم قللوا من عيش الاجساد ليوسعوا من عيش الارواح لكن منهم من قلل من عيش بدنه ليستوفيه في الآخرة وهذا
تاجر ومنهم من فعل ذلك حزنا من الحساب عليه في الآخرة والمحققون فعلوا ذلك تذريعا للشرع ما يشغل عن الله لتفرغ قلوبهم للمعكوف
عندها فلله در الآخذ من عيش الاجساد كثير من قدر لحاجر يلهي عن ربه ويشغل عن خدمته كما قال بعضهم من شغلك عن الله
فهو عليك مشؤوم فمن تفرغ لحد لطلب عيش الاجساد واعطى نفسه حظها من ذلك لا ونقص نفسه حظه من عيش الارواح وربما مات
قلبه من غفلته هو الله واعراضه عنه وقد ذم الله من كان كذلك فقال وخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا فمن ضيع الصلاة واتبع الشهوات استحق بما ضيع من صلاته
ثم بما حصلوا من شهواتهم ينتظم ويزول فان كان ما حصلوا من شهواتهم من حرام فذلك هو الخسران المبين فانه يوجب العقوبة
الشديدة في الآخرة فلما لم يجتمع للعبد في الدنيا بلوغ حظه من عيش الروح وعيش الجسد جعل الله المؤمنين داراجع لهم فيها بين عذبين
فحضهم على غاية الكمال وهي الجنة ولا ينقص حظهم من لذات ارواحهم بل يزيد على ما كان في الدنيا بما لا نسبة اليه فانهم يلهمون التسبيح
كما يلهمون النفس وتصير كلمة التوحيد لهم كالماء البارد لاهل الدنيا فعلم بهذا ان العيش الطيب على الحقيقة انما يحصل في الجنة وعيش الدنيا نعيم

منغص لا يدوم وكثيرا ما يقطع ويتبدل صاحبه بالفقر والذل بعد الغنا والعز وان سلم من ذلك كله فلا بد ينغص الموت
فاذا جاء الموت فكان من يتنعم في الدنيا ما فاق شيئا من نذالها خصوصا اذا انتقل الى عذاب الاخرة كما قال تعالى افرايت ان متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون فالاشقيا في البرزخ في عيش ضنك وعيشهم في الاخرة اضيق وضيق فاما من طاب عيشه بعد الموت فان طيبه
لا ينقطع بل يتزايد طيبه وروي بعض الموقف قال قال الفضيل ابن عياض فقال الكبير حلم لا تقوم لها الدنيا بحذافيرها فما عيش المتقين
في الجنة فلا يحتاج ان يسأل عن طيبه ويكفي في ذلك قوله فهو في عيشة راضية اي يحصل لها الرضا وقرين عباد قوله هنيا
بانه لا يموت فيها يشير الى ان لم يهنهم العيش الا بعد الموت والخلود فيها اذ في اهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة
الفي عام يرى اقصاه كما يرى ادناه واعلاهم من ينظر الى وجه الله بكرة وعشيا ثم شوق صلى الله عليه وسلم بعد هذا وسائل الى
النظر الى وجهه والشوق الى لقائه هذا يشتمل على اعلا نعيم المؤمنين في الدنيا والاخرة وطيب عيشهم في الدارين فاما لذة النظر
الى وجه الله فانها اعلا نعيم اهل الجنة كما في صحيح مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى منادي يا
اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو الم يبيض وجوهنا الم يدخلنا الجنة الم يجرنا من النار قال فيكشف
الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم شيئا احب من النظر اليه وهو الزيادة ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية للذين
احسنوا الحسنى وزيادة واخرج عثمان الدارمي من حديث عمر مرفوعا ان اهل الجنة اذا بلغ بهم النعيم كل مبلغ فظنوا ان لا نعيم فوقهم
تجلى لهم تعالى عليهم فينظرون الى وجهه الكريم تبارك وتعالى فيلهون كل نعيم اعطوه حين ينظرون الى وجه الرحمن الحسنى اذا تجلى لاهل الجنة
فسوف كل نعيم جنة وكان يقول لا علم العابدون انهم لا يرون ربهم في الاخرة لماتوا قال ابو حيان التوحيدي الرؤية ولهفة الشوق الى لقاء الله فنموذج مقامات العارفين في الدنيا وانما قال من غير مضرة ولا فتنة مضلة لان الشوق الى
لقاء الله يستلزم محبة الموت والموت يعقبه تمنيه كثير من اهل الدنيا بوقوع الضر المذمومة في الدنيا وان كان منهيا عنه في الشرع وقع من
اهل الدنيا تمنيه لخشيه الوقوع في الفتن المضلة هنالك فخلي الموت خاليا من هذه المحاذير وان يكون ناشيا عن محض محبة الله والشوق
الى لقائه وقد حصل هذا المقام لكثير من السلف قال ابو الدرداء احب الموت اشتياقا الى ربي قال عتبة الغلابي كان اخوانكم لله وانا
احب اليهم من الشهد ومكث فتح ابن شخرف ثلاثين سنة لم يرفع راسه الى السماء ثم رفع راسه فقال طال شوقي اليك فعجل بالقدوم
عليك وقال بعض السلف اذا ذكرت القدوم على الله كنت شديد الشوق الى الموت من الظمآن الشديد ظمأه في اليوم الحار الشديد حره
الى الشراب لشديد برده واهل الشوق على طبقتين احدهما من قلقه الشوق فيدهما صفيره كان ابو عبيد الخواص مشتد يضرب على
صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه الطبقة الثانية من ذاقت قلوبهم الشوق سكنهم الا من يراه فاحالت قلوبهم بذكره و
انسوا بقربه وهذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم وخواص العارفين وسئل الشبلي بماذا تستريح قلوب المحبين المشتاقين قال السرور عم
بمن احبوه واشتاقوا اليه وقوله اعوذ بك اللهم ان ظلم او اظلم او اعتدي او يعتدي علي واكتسب خطيئة محيطة او ذنبا لا تغفره
استعاذ من اربعة اشياء احدها الظلم وهو ان يظلم غيره او يظلم غيره وخرج ابو داود من حديث ام سلمة قالت ما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بيتي قط الا رفع طرفه الى السماء فقال اللهم اني اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي
وخرجه الترمذي وصححه فمن سلم من ظلم غيره وسلم الناس من ظلمه فقد عوفي وعوفي الناس منه وكان بعض السلف يدعو اللهم سلمني وسلم مني
الثاني العدوان وفرق الله بين الظلم والعدوان في قوله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا تين وقد يقرن بين الظلم
والعدوان بان الظلم ما كان بغير حق بالكلية كاخذ مال بغير استحقاق او قتل نفس لا يحل قتلها واما العدوان فهو مجاوزة الحد
وتعديه فيما اصله مباح مثل ان يكون له على احد حق من مال او دم وعرض فيستوفي اكثر منه وذلك هو العدوان وهو تجاوز ما يجوز اخذه وما
ليس له اخذه وهو من انواع الربا الحرمة وقد سمى السيئة بالسيئة ربا والظلم مطلق اخذ ما ليس له اخذه ولا يبقى منه من مال او دم وعرض كلها
في حقيقة ظلم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ظلم ظلامة يوم القيمة وفيهما عنه صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وفي
الحديث لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وفي حديث عبد الله بن انيس وليس اكثر مجرما بكل الحر

وليس الزور

وليس لم حدش صاحبه والظلم المحرم تكون تارة في النفوس واشده في الدماء وتارة في الاموال وتارة في الاعراض ولهذا قال في خطبته
صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا في رواية قال
الا اسمعوا الا تظلموا الا تظلموا انه لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه فظلم العباد شر مكتب لان الحق فيه ادمي مطبوع على شح فلا يترك
من حقه شيئا لاسيما مع شدة حاجته يوم القيمة فان الام تفرج يومئذ اكان لها حق على ولدها تاخذه منه ومع هذا فالغالب ان الظلم
تعجل له العقوبة في الدنيا وان اهمل قال بعض التابعين لرجل يا مفلس فابتلي المقايل بالدين فحبس بعد اربعين سنة وضربه رجل اباه فجعل
الى مكان فقال الذي راه ها هنا رايت هذا المضروب قد ضرب اباه وسحب اليه وصاد بعض فرد الخلفاء رجلا فاخذ منه ثلاثة الاف دينار
فبعد مدة غضب الخليفة على الوزير وطلب منه عشرة الاف دينار فرجع اهله من ذلك فقال لها يا خذني ثلاثة الاف دينار كما كنت طلبت
فلما ادى ثلاثة الاف دينار وقع الخليفة بالاشراج عنه فسبحان من هو قائم على كل نفس بما كسبت ان ربك لبالمرصاد حاكم عدل لا يجور
الثالث مما استعاذ منه اكتساب الخطيئة المحيطة قال عز وجل بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وفسر احاطة الخطيئة بالشرك
والموت على الذنوب الموجبة للنار من غير توبة منها فكان ذنوبه احاطت به من جميع جهاته فلم يبق له مخلص منها فالخطايا تحيط بصاحبها
حتى تهلكه وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل الخطايا يلبس لها العبد مثل درع ضيقة يلبسها فتضيق عليه تخنقه ولا تنفك عنه الا بعمل
صالح من توبة او غيرها من الاعمال الصالحة ففي المسند عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يعمل السيئات مثل رجل
كانت عليه درع ضيقة خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة فانفكت حلقة اخرى حتى يخرج الى الارض فلا يخلص العبد من ضيق
الذنوب عليه واحاطتها به الا بالتوبة والعمل الصالح السابع مما استعاذ منه الذنب الذي لا يغفر يدخل فيه شيئان احدهما الشرك قال الله
تعالى انه لا يغفر ان يشرك به الثاني ان يعمل العبد ذنبا ولا يوفق لمحوه عنه بل يلقى الله به من غير سبب معه له فلا يغفر له بل يعاقب عليه فان الله
تعالى اذا احب عبدا وقعه في ذنب ثم وفقه لاسباب تمحوه عنه اما بالتوبة النصوح واما بحسنات ماحية واما بمصائب مكفرة واما ان يغفر له
بشفاعة باذن الله لمن اذن الله فيها واما ان يغفر بمجرد فضله ورحمته من غير سبب لجاز ان يكون هذا الذنب معفوا قال بعضهم اذا احب الله
عبدا لم يضره ذنب ومراده ان يمحوه عنه وربما يجعل الذنب في حقه سبب الخوفه مزيد بر وذل وانكسار فيكون سببا لرفع ذلك العبد عند الله
واذا ادخل عبدا وقتض عليه من ذنب لم يوفقه لشيء من ذلك فلقي الله بذنبه من غير سبب يمحوه عنه في الدنيا ثم يوافق عليه ولا يغفر له فهذا هو
الذنب المستعاذ منه ها هنا وحاصل الامر ان من عامله الله في ذنوبه بالعدل هلك ومن عامله بالفضل نجا وشفي اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام الحرهذا الدعاء استفتح بقوله يا ذا الجلال والاكرام وفي المسند والترمذي ان
النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول يا ذا الجلال والاكرام فقال استجيب لك فسل والمسؤل في هذا الفعل تجدني به في هذه الدنيا
ويشهد وكفى به شهيدا ان يشهد له باصول الايمان من وفى بها نجا وهي الشهادة بالوحدانية واتباعها بالشهادة لصاحبها بالصدق والتقدم
على كل شيء والشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية والرسالة والشهادة للقرآن وعلى حق ولقائه حق وان الجنة حق وان الساعة آتية
لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وقد تضمنت هذه الشهادة اصول الايمان الخمسة فان من شهد لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة فقد شهد بالشهادة مرة وهي اصول الايمان كلها وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقد وردت الاحاديث ببعض من تقدم ذكره
في الدنيا هذا العبد استشهد على نفسه مثل هذه الشهادة ففي سنن ابي داود من قال حين يصبح او يمسي اللهم اني اصبحت اشهدك وشهد
حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك غفر الله له ما اذنب
وقوله واشهد انك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك فاجعل المقصود من ذلك سؤال العبد
ربه ان يتولاه برحمته وان ينجيه برحمته وفي كتاب اليوم والليلة للنسائي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة ما منعك ان تسمعي ما اوصيك
به ان تقولي اذا اصبحت واذا امسيت يا حي يا قيوم اصلح لي شاني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين وخرج ابو داود والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يدعو اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت فاذا وفق الله عبدا توكل بحفظه وهدايته وارشاده
واسديه واذا خذله وكله الى نفسه فمن حقق التوكل على الله لم يكله الى غيره وتولاه بنفسه وحقيقة التوكل ان لا تكل امورك كلها الى من هي بيده فمن توكل

العلم
الغالم

في هداية وحراسته ورشده وفيزده لاسن مصلح بنيه وديانتي الله يصالحه كلها وهذا هو حقيقة الوثوق برحمة الله
كما في هذا الدعاء لا اثق الا برحمتك فمن وثق برحمته فقد حقق المقصود بالبر في توفيقه وتسديده وفي هذا الحديث
وصف النفس بأوصاف ذميمة كل ذلك حذر من ان يوكل العبد الى هذه صفاته وهي اربعة اوصاف الضيعة والعورة والذنب
والخطيئة فالضيعة هي الضياع فمن وكل الى نفسه ضاع لانها لا تدري اين رشدها والعورة سوء العيبة ودناءة كذلك النفس مخلة او
صافاد سوء اخلاقها الذميمة والذنب والخطيئة معناها متقارب او متحد وقد يراد باحدها الصغائر وبالاخر الكبائر وفي المسند
والترمذي مرفوعا اكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل فقسم
الناس الى قسمين كيس وعاجز فالكيس هو اللبيب الحازم العاقل الذي ينظر في عواقب الامور فيدين نفسه ويستعملها بما يعلم انه ينفعها
بعد الموت وان كانت كارهة لذلك والعاجز هو الاحمق الجاهل الذي لا يفكر في العواقب بل يتابع نفسه هواها وان عاد ذلك
بضررها فيما بعد الموت وقد يعود ذلك بالضرر عليه في الدنيا قبل الاخرة فهذا هو الغالب او اللازم فيتمنى هو نفسه العاري لفتحه
في الدنيا وسقوط المنزلة عند الله وعند خلقه والهوان والخزي ويحرم بذلك خير الدنيا والاخرة من علم نافع ورزق واسع وغير ذلك
ومن خالف نفسه ولم يتبعها هواها تعجل بذلك العز في الدنيا وجر بركة ذلك من حصول العلم والايمان والرزق وغير ذلك فهذه
النفس تحتاج الى محاربة ومجاهدة ومعاداة ولهذا اعدى عدو لابن ادم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في الله
وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال الصديق لعمر رضي الله عنهما في وصيته له عند موته
اول ما احذرك به نفسك التي بين جنبيك وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لما سأله عن الجهاد ابدأ بنفسك فجاهدها وابدأ بنفسك
فاغزها ويقال ان الجهاد الاكبر دروي مرفوعا من وجه ضعيف فمن ملك نفسه وقهرها عز بذلك قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون فحصر الفلاح في وقاية شح النفس وشحها هو تطلعها الى ما منعت منه وحرصها على ما عند غيرها مما تشتهيه من علم ورفع
ومال وجاه ومسكن وماكل ومشرب وملبس وغير ذلك فانها تطلع الى ذلك كله وتشتهيه وهو عين هلاكها ومن هنا ابتغي الحسد
ولكن فمن وقي شح نفسه فقد قهرها وحصرها على ما يصلحها وازال لها فيه وذلك عين الفلاح وبكل حال فلا يقوى العبد على قصد الله
بتوبة نصوح له ابدا دون تولية من عصمة الله وحفظه وتوليه ووقاه شح نفسه وشرها ووقاه على مجاهدتها ومعاداتها ومن وكله الى نفسه عجلت
وقهرته واسرته واجرته الى ما هو عين هلاكها كه وهو لا يقدر على الامتناع كما يصنع العدو الكافر اذا ظفر بعدوه المسلم بل اشد من ذلك
اذ قتله الكافر كان شهيدا والنفس اذا تمكنت من صاحبها قتلته قتلا يهلك به في الدنيا والاخرة وهذا معنى الحديث الذي رواه مرفوعا
ليس عدوك الذي اذا قتلته كان لك نورا يوم القيمة وان قتلك دخلت الجنة اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ولهذا كان من اعظم ما
سأل العبد ربه ان لا يكله الى نفسه طرفة عين قوله فاغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وبخطك انك انت التواب الرحيم ختم
الدعاء بسؤال مغفرة الذنوب والتوبة قال بعض السلف اما عصمة الله او الهلكة الاخرة اما عافاه الله او النار فمن حصل له في الدنيا التوبة
وفي الاخرة المغفرة ثم فقد ظفر بسعادة الدنيا والاخرة وقد تكرر في الكتاب والسنة ذكر التوبة والاستغفار قال الله تعالى وتوبوا
الى الله ويستغفرونه الاية وقال وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقال والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله
الاية بين وفي صحيح مسلم مرفوعا ايها الناس توبوا الى ربكم واستغفروه فاني اتوب الى الله واستغفره كل يوم اكثر من سبعين مرة وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة
وفي السنن الاربعة عن ابن عمر كنا نعد لنبي صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور
وانما قدم ذكر الشهادة بالتوحيد على طلب المغفرة لان التوحيد اعظم الاسباب التي تحصل بها المغفرة وعدم موانع من المغفرة بالكلية
وفي حديث الاستفتاح المبداة بذكر التوحيد قبل طلب المغفرة واذا اعترف بذنبه وطلب المغفرة من قبره واقر انه لا يغفر الذنوب الا هو
كان جديرا ان يغفر له والله اعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

٤٧

حرج الامام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين خرج الامام احمد والنسائي من حديث عمار بن ياسر ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الكلمات اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني
اذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم اني اسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا واسألك القصد في الفقر
والغنى واسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع واسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك و
الشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اسلم من الخاطئات
التي يطبعها الله عز وجل يوعان ما علم انه خير محض كسؤاله خشيته وطاعته وتقواه وسؤاله الجنة والاستعاذة من النار
هذا يطلب من الله بغير تردد ولا تعلق بالعلم والمصلحة انه خير محض ومصلحة حاصلة فلا وجه لتعليقه بشرط وكذا لا وجه
تعلق بمشيئة الله عز وجل لان الله يفعل ما يشاء ولا فائدة لتعليقه بالمشيئة ولكن لتحزم المسألة كان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لا مكره له اخرجاه النوع الثاني ما لا يعلم ان خيرا لعبد ام لا
كالموت والحياة والغنى والفقر والاهل والولد وكسائر حوائج الدنيا التي يتحمل عواقبها فهذه لا ينبغي ان يسأل الله منها الا ما يعلم ان الخيرة
للعبد فان العبد جاهل بعواقب الامور وهو مع هذا عاجز عن تحصيل مصالحه ودفع مضاره فتعين ان يسأل حوائجه ممن علمه قادر
ولهذا شرعت الاستخارة في الامور الدنيوية كلها وقد تضمن الدعاء الذي في هذا الحديث النوعين معا فانه لما سأل الموت والحياة
قبل ذلك مما يعلم انه خير الخيرة لعبد وما سأل الخشية بعدها ما هو خير صرف جزم به ولم يقيده بشيء وفي الحديث الآخر لا يتمنين احدكم
الموت اما محسنا فلعله ان يزداد واما مسيئا فلعله ان يستعتب ولفظ مسلم لا يتمنين احدكم الموت من قبل ان يأتيه اذا مات انقطع
انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا وزاد الامام احمد لا من وجع يصيبه وله ايضا لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد و
ان من سعادة ان يطول عمر العبد ويرزقه الله انابة فمفهوم هذه الاحاديث التعليل النهي عن تمني الموت بارادة العبد ان كان
محسنا فيرجو ان يزداد احسانا وان كان مسيئا فانه يرجو ان يستعتب يعني يزيل العتب بالتوبة والانابة قبل الموت وقد
جاءت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ببعضه طول العمر ففي الترمذي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي الناس خير فقال من طال عمره
وحسن عمله وسئل اي الناس شر فقال من طال عمره وساء عمله وان نفرا نزلوا على طلحة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا
فخرج احدهم فاستشهد ثم بعث بعثا آخر فخرج فيه آخر فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه قال طلحة فرأيتهم في النوم في الجنة
فرأيت الميت على فراشه امامهم ورأيت الذي استشهد آخرهم فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال وما انكرت
من ذلك ليس احد افضل عند الله من مؤمن يعمر في الاسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله وفي رواية قال اليس قد مكث هذا بعده سنة
قالوا بلى قال وصلاته وكذا وكذا سجدة في السنة قالوا بلى قال فلما بينهما ابعد مما بين السماء والارض وقيل لبعض السلف طاب الموت فقال
يا ابن اخي لا تفعل لساعة تعيش فيها تستغفر الله خير لك من موت الدهر وقيل لشيخ منهم يحب الموت قال لا اذ ذهب الشباب وشره وجاء الكبر
وخبره فاذا قلت بسم الله وقع فقد قلت الحمد لله فانا احب ان يبقى هذا وعندكان كثير من السلف يبكي عند الموت تارة عند انقطاع
اعماله الصالحة في الحديث المتقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم ما احد يموت الا ندم ان كان محسنا ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ان لا يكون
استعتب وروي في بعض السلف في المنام فسئل عن حاله فقال قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وانتم تعملون ولا تعلمون ولا تعلمون واقه تسبيحة
او تسبيحتان او ركعة او ركعتان في بحر عملي احب الي من الدنيا وما فيها واما الرواية التي في المسند لا يتمنين احدكم الموت
الا من ثوق بعمله فيدل لكلام من له عمل صالح يثق به فانه ان يتمنى وهو اقسام منهم من يعلم حسن الظن بالله فاحب لقاءه اما
لما عنده من كثرة الطاعات او لما عنده من محبة الله فيحسن ظنه ومنهم من يتمنى الموت شوقا الى لقاء الله عز وجل وقد مات لوم يشق بعمله
لحول النازلة ضرت نزلت به وهذا نهي عنه وصاحبه كالمستجير من الرمضاء بالنار لا مرية في ذلك لعلة الحكم بعد الموت علما لحق عظم واشد هما
هو ان وثق بعمله فقد تمناه لنفسه وقاته بتمناه خشية الفتنة في الدين فقد جاء عن كثير من العلماء وقد تمناه
عمر رضي الله عنه في آخر حجة حجها فقتل في ذلك الشهر وسئل عمر بن عبد العزيز من ظن بر اجابة الدعاء ان يدعو الله بالموت بما خفت على الدين

وعجز عن القيام بحقوقهم وفي الحديث واذا رددت بهم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون وفي المسند عن محمود ابن لبيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اشتد غضب الله على رجل يقول ابن آدم الموت والموت خير لا مؤمن من الفتن كثيرة فقلت لمالك الموت قد ابن مسعود ما من
يوم ولا فجر الا والموت خير لهما ان كان برا فان عند الله خيرا للابرار وان كان فاجرا فما يعلى له ليزداد اثما وتارة يمتنه من غير ضر ولا فتنة فان
من وثق بعلم الله وشوقا اليه جاز فكيف تمنيه عند حضور اسباب الشهادة عنا مطلقا عند القتال في سبيل الله او
الطاعون وان كان حسنا للظن به ففيه اختلاف بين السلف وقد قدمنا النهي عن تمني الموت بان هول المطلع شديد فيسير من
نوع تمني وقوع البلاء قبل نزوله وليس في تمنيه ذلك كما قالوا تمنوا لقاء العدو في الحديث وسمع ابن عمر رجلا يتمنى الموت فقال لا تتمن الموت فانك
ميت ولكن سل ربك العافية فان امرأ لم يكشف له عن هول عظيم هو فيه المطلع وترى عالما حوله يعلم ان لا ينبغي للانسان ان يستعجل
ذلك وقد قال عمر عند موته لو ان لي ما في الارض لافتديت به من جزع حسن بن علي عند موته فقال اي بني اني ارى امرا عظيما لم اكن ارى
وايضا فالموت نفسه اشد مما يلقاه الادمي ولا يعلم الناس في الدنيا حقيقة شدته حتى قال بعض السلف لو ان ميتا نشر فاخبر اهله
بحقيقة الموت ما انتفعوا بعيش ولا ستلذوا بنوم وانما كان الموت خيرا للعاصي لانه كما طال عمره ازداد ذنوبه فوادع عقابه فهذا
كما قال ابن مسعود ان كنت مسيئا فان الله يقول انما يتقبل الله من المتقين وكان بعض السلف يقول قد سئمنا من الحياة لكثرة ما
نتزع بين الذنوب مع ترقبنا عاقبة الفاجر فكيف بقوم ان عرفوا كثرة ما ضايع وكان كثير من الصالحين يتمنى الموت فلما نزل به شدته
قال ابو الدرداء وسفيان الثوري فالنظر بغيرهما ينبغي للمؤمن ان يكون طول عمره زيادة في عمله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يدعو اللهم اجعل الحياة زيادة لي في كل خير وقال بعضهم من الخير له في الموت الخير له في الحياة فمتى من لا تكون حياته زيادة لحسناته
الا الخير له في الموت ولا الحياة قال ميمون ابن مهران لا خير في الحياة الا لتائب او لرجل يعمل في انتجاب يعني ان التائب يتوب ويستر
ما اسلف من السيئات والعامل في الدرجات يتعاود درجاته بما يعمل من الحسنات فهذا يزيد حسناته والاول يمحو سيئاته فاعلا
الخير من الرجلين فلا خير له في الحياة [illegible] صلى الله عليه وسلم واسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب
والاقتصاد في الغنا والفقر وسئل في التاريخ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فذكر
هذه الخصال الثلاث ثلاث منجيات اهواء متبع واعجاب كل ذي رأي برأيه ذكر نافع ابن سليمان قال لعيسى ابن مريم عليه السلام ثلاث
من لن تغير بلغها بلغ تقوى الله في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنا فاما خشية الله في
الغيب والشهادة فمعناه ان العبد يخشى الله سرا وعلانية وباطنا وظاهرا فان اكثر الناس يرى انه يخشى الله في العلانية وفي الشهادة
ولكن الشان خشية الله في الغيب اذا غاب عن اعين الناس وقد مدح الله من يخافه بالغيب والذين يخشون ربهم بالغيب وهم
من الساعة مشفقون وقال من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب وقد فسر الغيب في هذه الايات بالعبد الذي يكون في الغيب
عما وعد وابر من امر الآخرة واما في هذا الحديث فلا يأتي ذلك كما ترى لمقابلته بالشهادة كان بعض السلف يقول لاخوانه رحمهم
الله واياكم في الحرام زهادة من قدر عليه في خلوة فعلم ان الله يراه فتركه ومن هذا قول بعضهم ليس الخايف من بكى فعصر عينيه وانما الخايف
من ترك ما اشتهى من الحرام اذا قدر عليه ومن هنا عظم ثواب من طاع الله سرا بينه وبينه ومن ترك المحرمات التي تقدر عليها
سرا فالاول مثل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية قال بعض السلف اخفوا عملا
خفا الله لهم جزاه في حديث السبعة ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى في الحديث حتى لا تعلم
العبد في العلانية فاحسن وصاه في السر فاحسن قال الله هذا عبدي حقا واما الثاني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث سمع
ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين ومثل هذا الحديث انه جاء فيمن ادى دينا خفيا ويجب
في اي الحوائج شاء والموجب لخشية الله في السر والعلانية امور منها قوة الايمان بوعده ووعيده ومنها المعاينة ومنها انتظار سرعة
بطشه وانتقامه وسطوته وذلك يوجب للعبد ترك التعرض لمخالفته كما قال الحسن ابن آدم وهريك نطاقة تجارية الله فمن
عصاه فقد حاربه ومنها قوة المراقبة له والعلم بانه شاهد يقلب عباده وعالم بخوائن اعينهم وما تخفي الصدور فكيف

الخائنة

عباس في قوله تعالى يعرفونه قال بعضهم خف الله على قدر ما تقدر عليك واستحي منه على قدر ما تقدر منك وقال بعضهم لمن استوصاه اتق الله ان يكون هوان الناظرين اليك وقوله وكظم الغيظ هو تجرعه في الغضب والرضا هذا عزيز جدا وقد مدح الله من يفعله فقال واذا ما غضبوا هم ينفرون لان الغضب يحمل صاحبه على ان يؤثر الحق ويفعل غير العدل فمن كان لا يؤثر الحق في الغضب والرضا دل ذلك على قوة ايمانه وانه يملك نفسه فهذا هو الشديد حقا كما قال صلى الله عليه وسلم انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب قال الموفق رحمه الله ما رأيت شيئا في الغضب ندمت عليه في الرضا قال عطاء ما بكى العلماء كما بكوا على خطيئة يفضح احدهم بها يوم القيامة وقد مر عمر بن عبد العزيز على رجل من خصمين سبه او ستين سنة فوبخه فقال له الرجل ما استفزك الا حلمي فقال ويحك اني لأراني في حال الرضا احلم مني في حال الغضب وكان ابن عون اذا اشتد غضبه على احد قال بارك الله فيك ولم يزد واما التصدر في الفقر والغنا فهو عزيز ايضا وهو حال الرسول صلى الله عليه وسلم كان مقتصدا في حال فقره وغناه والقصد هو التوسط في الانفاق فان كان فقيرا لم يقتر خوفا من نفاد الرزق ولم يسرف فيحمل ما اصاب له بركما اوجبه الله نبيه بذلك في قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية وان كان غنيا لم يحمله غناه على الترف والطغيان بل يكون مقتصدا ايضا قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية وان كان المؤمن في حال غناه يزيد على نفقته في حال فقره كما قال بعض السلف ان المؤمن اخذ عن الله ادبا حسنا اذا وسع عليه وسع على نفسه لقوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لكن يكون في حال غناه مقتصدا غير مسرف كما يفعله اهل الغفلة الذين يخرجهم الغنا الى الطغيان كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وكان علي رضي الله عنه يعاتب على اقتصاده في لباسه في خلافته فيقول هو ابعد من الكبر واجدر ان يقتدي به المسلم وعوتب عمر بن عبد العزيز في خاتمة على تضييقه على نفسه فقال له افضل القصد عن الجدة وافضل العفو عند القدرة يعني افضل الاقتصاد الانفاق في عيشه وهو اجدر ان يرد هذه حال النبي صلى الله عليه وسلم وحال الراشدين لم يغيروا سعة الدنيا والملك ولم ينعموا في الدنيا وقد اعطي سليمان عليه السلام الملك فكان يأكل كل يوم شعيرا ويلبس الصوف وسئل الحسن عن رجل اتاه الله مالا فهو يحج منه ويتصدق منه ويصل قال لا ولكن قال له الدنيا ما كانت له منها الا الكفاف ويؤتى يوم ذلك يوم فقره وفاقته ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ عنهم من التابعين ما انا هم افقر منهم الى خير الكفاف وقد مر ذلك يوم فقرهم وفاقتهم وقال عمر لبعض ولده من الذين يجعلون ما انعم الله به عليهم في بطونهم وعلى ظهورهم اشارة الى ان المال لا ينفع كله في شهوات النفوس ولذاتها بل يجعل صاحبه منه نصيبا للدار الباقية فانه لا يبقى له منه غير ذلك في الجملة فالاقتصاد في كل الامور حسن حتى في العبادة وقوله وما عندكم ينفد الخ النعيم الذي لا ينفد هو نعيم الآخرة كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال ان هذا لرزقنا ما له من نفاد وسمع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة رجلا يقول اللهم اني اسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد ومرافقة نبيك محمد في اعلا الجنة الخلد فقال له سل وما سمع عثمان ابن مظعون لبيدا ينشد الا كل شيء ما خلا الله باطل قال صدقت فقال لبيد وكل نعيم لا محالة زائل قال كذبت نعيم الجنة لا ينفد فصيح الجبر مقيم وما نعيم الدنيا هو ناقد فلو نعم الانسان ما عسى ان ينعم فان ذلك ينفد فكان حين يتذكر الموت يدع نعيما من نعيم الدنيا فقط كما قال تعالى افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون الآية اذا عمن انعم اهل الدنيا عمر في العرف قيل له هل من نعيم تطمئن اليه فتقول لا في الحقيقة النعيم الذي لا ينفد هو طاعة الله وذكره ومحبته والانس به والشوق الى لقائه وقال هذا نعيم اهله في الدنيا قال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذي اهل النهار في نهارهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وانما يبعد على القلب اوقات يضحك فيها قال بعض العارفين انما لي من وقتي اوقات اذن كان اهل محبة في مثل ما انا فيه انهم لفي عيش طيب شهد نعيم الدنيا قد انقلبوا الى البرزخ فهم في نعيم ازيد من ذلك كما قال بعض السلف انهم لفي نعيم لحسادنا لو علموا لنا رأيت العذاب وانتظرت الثواب ولا بعثوا الحمد فلهم حينئذ النعيم الاعظم باجابة النعيم فنادى منادان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وقرة عين لا تقطع فقرة العين من جملة النعيم فمن ما هو منقطع ومنها ما لا ينقطع فمن قرة عينه بالدنيا قرة عينه منقطعة لان الدنيا منقطعة وكيف تقر عين المؤمن في الدنيا وهو يعلم سرعة انقضائها وغارة عدائها فيها من اهل وولد ومال ويعلم ما يعالجه عند مفارقتها من سكرات الموت وما يلقاه في البرزخ من الوحشة والوحدة والضيق

ثم ما بخشاه يوم القيمة من العذاب قال بعض السلف ما ترك المؤمن من قرة عين في اهل ولا مال ولا ولد وقال بعض السلف حسبك من
يوقن بالموت كيف تقر بالدنيا عينا كيف يطيب بها عيشه رأى بعض السلف قائلا يقول له كيف نام العين وهي قريبة ما ولد
في اي المحلين تنزل فما لا تقر عين المؤمنين في الدنيا الا بالله وذكره ومحبته والانس به فمن قرة عينه بالله فقد حصل له قرة العين التي لا
تنقطع في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة وقرة عيون المؤمنين كما قال بعضهم من قرة عينه بالله قرة بكل عين وقال حبيب ليزيد
الرقاشي بأي شيء تقر عين العابدين في الدنيا وبأي شيء تقر عينهم في الآخرة قال ما اعلم شيئا اقر لعيون العابدين في من الجلوس في
ظلة الليل واما الذي تقر به اعينهم في الآخرة فما اعلم شيئا من نعيم الجنان ونورها اعلى عند العابدين ولا اقر لعيونهم من النظر الى ذي
الكبرياء العظيم اذا ارتفعت تلك الحجب فتجلى لهم الكريم فصاح حبيب صيحة خر مغشيا عليه وكان بعضهم يقول للمتحرة غير المطيعين
وانت منت عليهم بالطاعة وكيف لا تكون قرة عين العاصين وانت منت عليهم بالتوبة فمن قرة عينه بمناجاة الله في ظلمة الليل سرا
اقر الله عينه عند عالم يطلع عليه بشر كما قال تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وفي الاثر عن فضيل بن عياض يقول الله كذب من
ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني اليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه فاذا جن الليل حطت ابصارهم في قلوبهم وكلموني على المشاهدة وخاطبوني
على حضوري غدا اقرا عين لحبابي وقوله واسالك الرضا بعد القضاء هذا مقام عظيم من حصل له رضي الله عنه كما قال رضي الله عنهم
ورضوا عنه وفي الحديث من رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط قال بعضهم لم يرد الجنة باعظم من الراضين بقضاء الله عز وجل وقال
بعضهم من وهب له الرضا فقد بلغ اعظم الدرجات وقال بعضهم في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال الرضا والقناعة قال ابو الدرداء
الراضين بقضاء الله لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء وانما قال الرضا بعد القضاء لان الرضى قبل القضاء عزم على الرضا فاذا وقع
فقد تنفسخ العزائم كما قال بعضهم وليس لي بما سوى حظ فكيف ما شئت فاختبرني فمن قابلني عبر البول لم يصبر فجعل يطوف على
الكتاب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب وكذا قول من قال لو ادخلني النار كنت راضيا هو ايضا عزم على الرضا ولا يدري هل يثبت
او ينفسخ فلا ينبغي للعبد ان يتعرض للبلاء ولكن يسأل الله العافية وان يرزقه الرضا بالبلاء اذا قدره البلاء كان عمر بن عبد العزيز يقول
ما تركتني هذه الدعوات ولي سرور في غير مواقع القضاء والقدر اللهم ارضني بقضائك وبارك لي في قدرك حتى لا احب تعجيل
ما اخرت ولا تاخير ما عجلت قال بعضهم الراضي لا يتمنى غير منزلته التي هو عليها الا ان قد رضي بها وقد يستغرق الحب في الرضا عن حبيبه
حتى لا يحس بالبلاء لملاحظة عظمة المبتلي وكماله وحكمته وانه غير متهم في قضائه وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال لا تتهم الله
فيما قضى وقوله وبرد العيش بعد الموت فان برد العيش قبل الموت منغص ولو لم يكن له منغص سوى الموت وكيف وله
منغصات كثيرة من الهموم والغموم والاحزان والاسقام ومفارقة الاحباب وقوله واسالك لذة النظر الى وجهك والشوق
الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة هذان الامران هما سعادة الدنيا والآخرة واعظم لذاتها واعلاها ما يحصل للمؤمن فيهما
فان اعلاها في الجنة النظر الى وجه الله عز وجل وهو اعظم من الجنة وما فيها واما الشوق الى لقائه في الدنيا فهو اعظم لذة
تحصل للعارفين في الدنيا فمن اسرف في الدنيا بالله واشتاق الى لقائه فقد فاز باعظم لذة يمكن البشر الوصول اليها في هذه الدار كان
ابو الدرداء يقول حب الموت اشيا قالي ربي وقوله اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اهاز زينة الايمان قال الايمان
قول وعمل ونية فزينة الايمان تشمل زينة القلب بتحقيق الايمان وزينة اللسان بالقول وزينة الجوارح باعمال الايمان وقد
سمى الله التقوى لباسا وخير لباس الاجزء من لباس الابدان قال تعالى ولباس التقوى ذلك خير وقال الحسن في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل
يحب الجمال قال يحب ان يتجمل له بالطاعة وعنه قال لباس المؤمن الطاعة وزينته الحياء فزينة النافعة الدائمة الباقية هي زينة الايمان
والتقوى اذا شمل القلب والجوارح فان اظهر التزين بذل الطاعات وقلبه فارغ عاد ذلك عليه شينا كما قال بعضهم من تزين للناس بما يعلم
الله منه خلافه شانه الله عز وجل وقال بعضهم لمن اظهر التزين بالعلم من غير عمل به تزينوا بما شئتم فلن يزينكم الله الا بما تصانه وقال
بعضهم لا تقوم الساعة حتى يتزين الرجل بالعلم كما يتزين الرجل بثوبه يعني بباطنه والناس تزينا بعندهم من غير ان يتزين قلبه وجوارحه
بالعمل به ومن زين ظاهر جوارحه بالاعمال وقلبه بحقيقة الايمان زينه الله عند عباده وبالعكس وما الحسن قوله ابي العتاهية

اذا لم يلبس لباسا من التقوى تقلب عريانا وان كان كاسيا. وقوله واجعلنا هداة مهتدين يعني انه يجعله هاديا لغيره مهتديا في نفسه
وهذه افضل الدرجات ان يكون العبد هاديا مهتديا قال الله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن يهدي الله
بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وقال من دعا الى الهدى كان له مثل اجر من اتبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ويدخل فيمن دعا الى الهدى
من دعا الى التوحيد من الشرك والى السنة من البدعة والى العلم من الجهل والى الطاعة من المعصية والى اليقظة من الغفلة فمن استجيب له الى شيء من هذه
الدعوات فله مثل اجر من اتبعه والله اعلم وصلى الله على محمد وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قال الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام ابو الفرج عبد الرحمن ابن
رجب الحنبلي رحمه الله تعالى شرح خرج الامام احمد من حديث شداد بن اوس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا انتم هؤلاء الكلمات اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسالك شكر
نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما واسالك لسانا صادقا واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما
تعلم انك انت علام الغيوب وخرجه الترمذي مختصرا وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه وله طرق متعددة عن شداد وفي بعض
طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم ان يدعوا بهذه الكلمات في الصلاة وفي دبر الصلاة فقوله صلى الله عليه وسلم اذا كنز الناس الذهب
والفضة فاكنزوا انتم هؤلاء الكلمات اشارة الى ان هذه الكلمات انفع من كنز الذهب والفضة فان هذه الكلمات نفعها يبقى والذهب
والفضة يفنى قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا وقال ما عندكم ينفد
وما عند الله باق وقد روي ان سليمان بن داود عليه السلام مر في موكبه ومعه الانس والجن بحراث فقال الحراث لقد اوتي ابن داود
ملكا عظيما فاتاه سليمان فقال له تسبيحة واحدة خير من ملك سليمان لان التسبيحة تبقى وملك سليمان يفنى وفي الحديث المشهور
عن ثوبان انه قال لما نزلت هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة قال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للذهب والفضة قالوا يا رسول الله
فاي شيء نتخذ قال ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة صالحة تعين احدكم على ايمانه قال بعضهم انما سمي الذهب ذهبا لانه يذهب
وسميت الفضة فضة لانها تنفض يعني تنفض عن صاحبها الا بقي لها في تركها اكثرهما افتقارا . بعدهما لا بقاء له فان نفعهما ما هو الا بانفاقهما
في وجوه البر وسائر القرب [illegible]
معهم بانفاقهما في الطاعات قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ثم لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى
عليها في نار جهنم الاية والاية نزلت في ذم ووعيد لمن يمنع حقوق ماله الواجبة من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف والانفاق في النوائب
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت
له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله
مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك
ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وخرج ايضا عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون كنز احدكم يوم القيامة شجاعا اقرع يفر منه صاحبه ويطلبه ويقول انا كنزك فلا يزال
يطلبه حتى يبسط يده فيلقمها فاه وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من صاحب كنز لا يفعل فيه حقه الا جاء يوم القيامة
شجاع اقرع يتبعه فاتحا فاه فاذا اتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذي خباته فانا عنه غني فاذا راى ان لا بد له منه سلك يده في فيه
فيقضمها قضم الفحل والشجاع الحية الذكر والاقرع الذي قد تمعط شعر فروة راسه لكثرة سمه [illegible]
نوع من الايمان والاعمال الصالحة والكلمات الطيبة فان ذلك يبقى وبه يحصل الغنى الاكبر قال ابن مسعود نعم كنز الصعلوك
سورة ال عمران يقوم بها من اخر الليل وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش اعطيته هذه الامة ومن كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله

كنز من كنوز الجنة وفي بعض الآثار الأعمال الصالحة كنز المؤمن ربح يعني اعلم ان ليكن ذخرا سوى طاعته ومحبته والتقرب اليه فمن كان كنزه
ربه وجده وقت حاجته اليه كما في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الله في الرخا
يعرفك في الشدة انت كنزي انت ذخري انت عزي انت ذخري كيف احتاج الفقر اذا كنت كنزي عند فقري من كان الله كنزه فقد ظفر
بالغنا الاكبر قال بعض العارفين ثمن استغنى بالله امن من الفقر ومن لزم الباب اثبت في الحرم ومن كنز ذكر الموت اكنز من المدام
شتقوض الدنيا والفوز فيها معناه ليس في الدنيا نعيم ولا عيش مهنا يا غني بالدنيا دون ربه غني والمقصود هنا شرح الكلام الذي
امر صلى الله عليه وسلم بكنزها واشار الى ان نفعها خير من ان عجب وانفضه وهي تتضمن طلب العبد من ربه لاهم الامور الدينية
فقوله صلى الله عليه وسلم اسالك الثبات في الامر المراد بالامر الدين والطاعة مثال الثبات على الدين لولي الممات ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا الذين قالوا ربنا الله كثير ولكن اهل الاستقامة قليل كان عمر يقول في خطبته ثم اعصمنا بحفظك وثبتنا على ذلك
فالاستقامة والثبات لا قدر لها للعبد عليه بنفسه فكذلك يحتاج ان يسال ربه كان الحسن اذا قرا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
يقول اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقيل له
في ذلك فقال ان القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وفي رواية الترمذي قلنا
يا رسول الله امنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا فقال نعم ثم ذكر الحديث وكيف لا يامن قلب بين اصبعين كيف يطيب عيش من لا يزال يرى
ما يحتم له كم من عامل خاشع وقع على قصعة عمله عاملة ناصبة تصايا راحامية ربت صايم حظه من صايم الجوع والعطش وقايم حظه
من قيامه السهر كان بعض الصالحين يسرد الصيام فاذا افطر بكا ويقول اخشى ان يكون حظي منه الجوع والعطش في الحديث ان الله كم
ليس يعمل اهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب كم من عامل يعمل بخير الا بقي بينه وبين الجنة ذراع وشارف
مركبه ساحل النجاة ضربه موج الهوى فغرق الجنة العظمى اتاه كل بيد من لا يبالي بوعودك وانذارك كم اهلك بذلك
قل لمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا كان الحسن يبكي ويطيل البكا ويقول اخاف
ان يطرحني في النار ولا يبالي قال ابو الدرداء ما امن العباد على الله اذا خصوه بما قلب الحوائج بلقائه بلقاء الاحباب وقرة عيونهم
ارسلتك في طلبي لهم لتعود فضمت وما حصلوا سلم واصر واخضع لهم كم شملك ذلك من قتلوه ما احسن ما علقت بها منك منهم
لو فعلوه العبد يحتاج الى الثبات في طول حياته وروحه ما يحتاج اليه عند مماته في الطرق المتواصلة الى الله اقاموا وقولوا الثبات
الثبات ولا قوة الا بالله ويحتاج الى الثبات ايضا بعد الموت قال الله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة وفي الصحيح انها نزلت في سوال القبر سيال المؤمن في قبره فيشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وفي سنن ابي داود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الميت يقول سلوا له التثبيت فانه الان يسال من دخل في الطاعة فهو يحتاج الى الثبات عليها يا
معشر التائبين انتم تقاتلون جنود الهوى بجنود التقوى فاصبروا وصابروا ورابطوا لا تقولوا جنود الهوى لا طاقة لنا بها
ولكن صبرا والله مع الصابرين يا جنود العزيم اثبتوا واحل رداهيكة الهزيمة ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
لا تجزع من كل خطب عرى ولا ترى الدهر ما يشمئز انا يا قوم بالصبر نال المجد اقوام الى المجد فشمروا فابشروا انا يا قوم الثبات الثبات و
المداومة المداومة اما ترى الملك احب العمل الى الله ادومه وقال الحسن ان الله لم يجعل لعبد المؤمن اجلا دون الموت ثم قرا واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فاسددوا وقاربوا اغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا يا
معشر التائبين صوموا اليوم عن شهوات الهوى لتدركوا عيد الفطر يوم اللقا يطول عليكم الغد باستبطاء الاجل فان معظم الضار
الصيام قد ذهب وعيد التلاقي اقترب شوقي الى الساعة ثم تنقضي ويذهب ذلك كله ويزول يا ايها الانسان انك كادح الى ربك
كدحا فملاقيه من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات من سار في طريق العبودية الى الله فاجيب فلا بد من مواصلة السير حتى يصل
فان وقف في الطريق او رجع هلك فان اشتد عليه الم السير فليذكر راحة الوصول وقرة العين التي تعجبه لها احاديث من ذكرك تشغلها
عن الشراب ويلهيها عن اللذة لها بوجهك نور تستضيء به وقت المسير في مخاوفها هادي اذا اشتد من كلال السير وقعدها نهوض القدوم فتحياها عند ميعاد

قوله

قوله صلى الله عليه وسلم والعزيمة عند الرشد رشد الخير فان الاسعاد قد يعلم الرشد وليس له على عزم فاذا عزم على فعله فاتح
والعزيمة هي القصد الجازم المتصل بالفعل وقيل استجماع قوى الارادة على العمل ولا قدرة للعبد على ذلك الا بالله فلهذا كان من اهم
الامور سؤال الله العزيمة على الرشد وفي المسند عن عمران بن حصين قال الرجل قال الا رجل فيم نفسي واعزم لي على رشدامري فانه
يحتاج الى الاستعانة بالله والتوكل عليه في تحصيل العزم وفي العمل بمقتضى العزم بعد حصول العزم قال الله فاذا عزمت فتوكل على
الله ان الله يحب المتوكلين والرشد هو طاعة الله ورسوله قال الله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره
اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى والرشد ضد الغي قال تعالى قد تبين الرشد من الغي فمن لم يكن رشيدا فهو اما غاو
واما ضال كما قال تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى فالغاوي من تعمد خلاف الحق والضال من لم يتعمد والعزم نوعان احدهما عزم
المريد على الدخول في الطريق وهو من البدايات والثاني العزم على الاستمرار على الطاعات بعد الدخول فيها وعلى الانتقال من حال
كامل الى حال اكمل منه وهو من النهايات ولهذا سمي الله تعالى خواص الرسل اولي العزم وهم خمسة وهم افضل الرسل فالعزم الاول
يحصل للعبد الدخول في كل خير والتباعد من كل شر اذ به يحصل للكافر الخروج من الكفر والدخول في الاسلام وبه يحصل للعاصي الخروج
من المعصية والدخول في الطاعة فاذا كانت العزيمة صادقة وصمم عليها صاحبها وحمل على هوى نفسه وعلى الشيطان فهزمه صاد قدر
وحمل في امر من الطاعات فقد فاز وعون الله للعبد على قدر قوة عزيمته وضعفها فمن صمم على ارادة الخير اعانه وتيسر كما قيل
شطر فدر فضل العزم تاتي العزائم وتاتي على قدر الكرام المكارم ولما اقتضت الخلافة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله عشر بعد سليمان
ابن عبد الملك قال ما اشتغل بدفن سليمان فيما رجع من دفنه وصف له مركب الخلافة فوقف وانشد ولولا النهى ثم النقى
خشية الردى لعصيت في حب الصبا كل زاجر فمضى لما مضى فيها ثم لم يرتد له عودة الى الدنيا التي الغرور ثم قال استعنا
لقوة بالله ثم توالي بغلي فركب حاجته التي كان يركبها اولا وسار مستصحبا ملكه العزيمة نعم الله صدر فيها فاعانه عليها ولما
بدا له ان سار بين يدي نفسه الموكب فنحاهم وقال غانا رجل من المسلمين فمر نزل فقعد فقام الناس بين يديه فاقدر وا قال يا ايها الناس
لم يعبد الله تعالى حق عبادته كما ينبغي ثم عزم على رد المظالم فاردكته القائلة وكان قد تعب ومهد تلك الليلة بموت سليمان ابن عبد الملك ودخل عليه ليقبل
ثم يخرج فيرد المظالم وقت صلاة الظهر فجاء ابنه عبد الملك فقال اتمام ورددت المظالم فقال اذا صليت الظهر رددت المظالم فقال
فقال عبد الملك ومن لك ان تعيش الى الظهر وان عشت فمن لك ان تبقى لك نيتك فقام وخرج ونادى الصلاة جامعة فجمع الناس
ورد المظالم وجاء بكتب القرى والاملاك التي كانت في يد من اقطع بني امية فمزقها وقال وتلك قرى كلها الى بيت مال المسلمين و
كان يقول لي نفسه ما فاتك شيء الا وانت الى ما هو افضل منه فلما ولي الخلافة وليس عنه فيها في الدنيا منزلة وانت في الجنة
واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجساد لمعاوية بن الخلافة سمعوا في بيته صريخا عاليا من امرأة تسأل عن زوجها فقيل
انه خير امرأته وجواريه فقال من اراد منكن ان تذهب فلتذهب ومن اراد ان تقيم فلتقيم وليس لها نصيب واني قد رزقت في
امر شغلني عنكن فكبر ايا سامة ذاكره مرة شيئا مما كان فيه من قبل الخلافة من النعيم فبكى حتى بكى الخدم وكان كثيرا ما يقاسي حال
خلوفة الحدس والزيت فاذا عوتب على ذلك يقول هذا هون علينا من معالجة الاغلال غدا في النار ودخل يوما وقد كان
تعشى بعدس فنير بصل فكره ان يشم منه رائحة ذلك فلما رآه هرب فبكى وقال يا بناني اما تفعلن ان تمشين الهوينا و
يذهب بابيك الى النار وكان يقول لاولاده انا بكم جد بين اما ان تغتنوا ويدخل الجنة وبين ان تستغنوا ويدخل الجنة فاختاروا
ان تغتنوا ويدخل الجنة احب اليكم فان مثل في هواكم ذلا وعندكم اصبر ثيل تحت عرضنا نا لا نطردني فليس في بيتكم عنا خدم وحجي
ان اردت رد حجي ثمنا فكان يقول لبعض اعوانه ذا اردتني ملت عن الحق فضع يدك في قلبي ثم هزني وقد ما تصنع يا عمر من اجلك
تركت خدري ارضا للشامت ولحسود حتى ترضى لاي الى موقف اخشى عمري فيه وحاجتي ما تقضي هذا الجل حسبي حتى كانت لصلاة
بعدها من له عند حجي والفراق اوتراني سقما هذا جسدي بعد عظما عظما وعني الشوق ذرك في خصما ياسهما البين قد اصبت رماة

ه خفي شجيج ولو عفى بتدبير ولم يعم بالذي خفيه قلبي قلق يحب من يضيه فلا اعدمه فانه يكفيه كم كان يعدل على حاله بلام
فاذا محبته نهاه ان يصغي الى عاذل او ملام فلو تعلق العزم ارباب الهمم لاجتباه الذلت بكم اسير وجد ضب اجتاح انفس
على هواكم نخبة ما نالت به المحبة حتى نقشه الى درجة لو ضامر بالقضا تكان يقول الحجب وما يمر وفي غير مواضع القضاء الفرج مات
اعوانه على الخير كلهم في ايام سليمان بن عبد الملك واخوه سهل ومواده مزاحم فكان يقول بعد موتهم في مناجاته ان تعلم ما ازدت
بك الاحبا ولا فيما عندك الا رغبة وسعاد بن ابنه عبد الملك وكان صاحب الخلق اليه قال ما زلت ارى فيه لسرور وقرة العين من يوم ولد الى يومي
هذا فما رايته فيه امر فرط قط ولا عيبني من امره رايته فيه اليوم وكتب الى الفضل ان الحاجة قبضه واعوذ بالله ان تكون لي محبة في شيء من الامور
تخالف محبة الله كان خلاف ذلك لما يصلح في بلاده عندي واحسانه الي ينعمه علي فان كان سكان الغض رضوا بقتلي فرضي والله
لكنت لما يهوى الحبيب مبغضا صرت لكم عبدا وما للعبد بد بغضة اخواني الخبر كله منوط بالعزم لقادة على الرشد وهي جملة
الاولى التي تهزم جيوش الباطل وتوجب الغلبة لجيوش الحق زجر الحق نوادي فارعوى مواتق القلب متى ما صحا هزم العزم جيوشا
للهوى سادتي لا تعجبوا ان صلحا قال ابو حازم اذا عزم العبد على ترك الاثام اتته الفتوح يشير الى ما يفتح عليه بتيسير
الانابة والطاعة ومقامات العارفين سئل بعض السلف متى ترحل الدنيا من القلب قال اذا وقعت العزيمة ترحلت الدنيا من القلب
ودرج القلب في ملكوت السماء واذا لم تقع العزيمة اضطرب القلب ورجع الى الدنيا من صدق العزيمة يئس منه الشيطان ومتى
كان العبد متردد طمع فيه الشيطان وسوفره وناه يا هذا كم اراك الشيطان قد خرجت من مجلس الذكر كما دخلت وانت عزيمة على
الرشد خرج بك ابليس وقال لو بت من لا يفلح يا من شاب ولا تاب ولا عزم على الرشد ولا ناب لقد افرحت الشيطان واسخطت الرحمن
واذا تكامل للانسان موعزه هو وهو التقى لم يجتبه عكفت عليه المخزيات فمالت متاخرها ولا متقدمها واذا راى الشيطان
غرة وجهه حيي وقال قد يئست من لا يفلح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلك شاكرا يتحبك وحسن عبادتك شكرا كان وصية النبي صلى الله عليه وسلم
معاذا ان يقول في دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك فهذان امران احدهما عز الشكر النعم وهو ما مور به قال تعالى
واشكروا لي ولا تكفرون وقال واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون والشكر بالقلب والعمل بالجوارح والشكر بالقلب اعتراف
بالنعم للمنعم والتها منه وبفضله وجاء من حديث عائشة مرفوعا ما انعم الله على عبد نعمة فعلم انها من عند الله الا كتب الله له شكرها
ومن الشكر بالقلب محبة الله على نعمه ومن حديث ابن عباس المرفوع احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه كان بعضهم اذا كانت القلوب
جبلت على حب من احسن اليها فما عجبا من ابر محسن الا الله كيف لا يميل كل القلب اليه وقال بعضهم اذا انت لم تزدد على كل نعمة
من مولاك حبا فلست له بشاكر اذا انت لم تؤثر رضى الله وحده من على كل ما تهوى فلست بصابر والشكر باللسان الثناء بالنعم
وذكرها وتعدادها واظهارها قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وفي حديث النعمان بن بشير المرفوع التحدث بالنعم شكر و
تركها كفر قال عمر بن عبد العزيز ذكر النعم شكرها وكان يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك ان ابدل نعمتك كفرا وان اكفرها بعد
معرفتها او انساها فلا انفي بها قال الفضيل كان يقال من شكر النعمة ان تحدث بها وجلس ليلة هود بن عيينة يتذاكرون النعم
الى الصباح والشكر بالجوارح ان لا يستعان بالنعم الا على طاعة الله عز وجل وان يجتنب من استعمالها في شيء من معاصيه قال تعالى
اعملوا ال داود شكرا قال بعض السلف ما قيل لهم هذا لم تات عليهم ساعة الا وفيهم مصل ولكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورم قدماه
وقال افلا اكون عبدا شكورا وكان عمر بن عبد العزيز يشاب بقاهرم امرأة فقال يا بني ما هذا جزاء نعمة الله عليك ان يجب ممن يعلن كل ما به
من النعم من الله ثم لا يستحي من الاستعانة بها على ارتكاب ما نهاه هب البعث لم تات رسله تزجره الجحيم لم تضرم اليس من الواجب
المستحق حياء العباد من المنعم من كثرة عليه النعم فليقيدها بالشكر واذ ذهبت اذا كنت في نعمة فاراد فان المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الآلاء فشكر الآلاء يزيل النقم وحاج خالد بن صفوان عند عمر بن عبد العزيز فقال يا امير المؤمنين انا لنمرض
ان يكون لحدا فوقك فلا ترضى ان يكون لحد اولى بالشكر له منك فبكى عمر حتى غشي عليه والاخبار كثيرة في حسن العبادة وحسنها
انقالها والاتيان بها على اكمل وجوهها واتى هذا شارع صلاة الله عليه وسلم لما سالم جبريل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه

فاد

فإن لم تكن تراه فإنه يراك فأشار إلى مقامين أحدهما أن يعبد العبد مستحضراً لرؤية الله إياه وليستحضر قرب الله منه و
اطلاعه عليه فيجتهد في العمل ويجتهد في إتقانه وتحسينه والثاني أن يعبده على مشاهدته بقلبه فيعامله معاملة حاضر يعامله
وقد وصى صلى الله عليه وسلم رجلاً أن يصلي صلاة مودع يعني يستشعر أنه يصلي صلاة لا يصلي بعدها صلاة أخرى فيحمله ذلك
على إتقانها وتحسينها وقد وردت أحاديث في فضائل الأعمال مقيدة بإحسان العمل كما في حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا
أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلفها ومحي عنه كل سيئة كان أزلفها ثم كان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر
أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عز وجل خرجه البخاري تعليقاً والنسائي وفي الصحيح
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة
تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل وفيه أيضاً عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت
أظفاره وفيه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر وكان
السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون الإكثار منه فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان أفضل من الكثير مع الغفلة وعدم الإتقان
قال بعض السلف إن الرجلين ليقومان في الصف وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض كم بين من تصعد صلاته لها نور وبرهان
كبرهان الشمس وتقول حفظك الله كما حفظتني وبين من تلف صلاته كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها وتقول ضيعك الله كما
ضيعتني ولهذا قال ابن عباس وغيره صلاة ركعتين في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه قال بعض السلف لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل
ما يتقبل يشير إلى قوله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين ولهذا قال من قال من الصحابة لو علمت أن الله تقبل مني ركعتين كان أحب إلي من كذا وكذا
فإن من تقبل الله منه عملاً [illegible] لم يتقبل منه لتقوى في العمل بأن يأتي به على وجه الكمال [illegible]
وأما رضا الله كان محل القبول هنا يراد به الرضى بالعمل والمدح لعامله والثناء عليه في الملأ الأعلى ومباهاة الملائكة وقد يراد بالقبول
الثواب على العمل وإن لم يرض به ولم يمدح عامله فيجازى عليه بأنواع من الجزاء فضلاً من الله وإحساناً وإن لم يرض عن عامله كما روي في بعض
من رئي في النوم فسئل عن حاله فقال غفر لي وأعرض عني وعن جماعة من العلماء لم يعملوا بعلمهم ويطلق القبول على إسقاط الفرض بالعمل
وإن لم يثب عليه بثواب غير سقوط العقوبة والمطالبة بأداء الفرض [illegible] إنما يطلبون القبول بالوجه الأول وهو الرضا
من أشد الخوف قال مالك بن دينار وددت أن الله إذا جمع الخلائق يقول لي يا مالك فأقول لبيك فيأذن لي أن أسجد بين يديه سجدة
فأعرف أنه رضي عني ثم يقول يا مالك كن تراباً اليوم فأكون تراباً كان بعضهم يقول في سجوده [illegible] وعذبني بكثرة الأعراض
[illegible] يا من بوصاله شفاء مراضه [illegible] أكبر من الجنة ونعيمها فليس للعارفين [illegible] سواه
[illegible] سلام على الدارين إن كنت راضياً وقوله صلى الله عليه وسلم وإن مالك قلباً سليماً ولساناً صادقاً القلب واللسان
هما [illegible] من الإنسان كما يقال الإنسان بأصغريه قلبه ولسانه وخرج ابن سعد من رواية عروة بن الزبير [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم
أن شيخ عبد القيس كان رجلاً دميماً فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا يستقى في مسوك الرجال إنما يحتاج من المرء إلى أصغريه لسانه وقلبه
[illegible] نصف ونصف فؤاده ولم يبق إلا صورة اللحم والدم فمن استقام قلبه ولسانه استقام شأنه كله والقلب السليم هو الذي ليس فيه محبة
شيء مما يكرهه الله فدخل في ذلك سلامته من الشرك الجلي والخفي ومن الأهواء والبدع ومن الفسوق والمعاصي كبائرها وصغائرها الظاهرة والباطنة
كالرياء والعجب والغل والغش والحقد والحسد وغير ذلك وهذا القلب السليم هو الذي لا ينفع يوم القيامة سواه قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا
من أتى الله بقلب سليم إذا سلم القلب لم يكن فيه إلا الرب في بعض الآثار يقول الله ما وسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن
[illegible] قلب بصيرة [illegible] لست أنساه فأذكره غاب عن سمعي وبصري فسويداء القلب تبصره متى يسكن في القلب [illegible] عن الأغيار
[illegible] رحمة صار للهوى [illegible] فلما [illegible] فاسكنوا [illegible]
سلامته [illegible] من الرياء والغل والحسد والغش والحقد ونظيرها [illegible] أفضل من التطوع بأعمال الجوارح قال بعضهم ما بلغ عندنا من بلغ بكثرة
صيام ولا صلاة ولكن بسلامة الصدور وسخاوة النفوس [illegible] بكثرة أعمال الجوارح [illegible]

في ارض كثيرة الافات لا يكاد يسلم صاحبها وآفات اللسان الصادق فهو من اعظم المواهب من الله تعالى وفي الحديث اعظم الحظ بالسان الكذب
وكذلك اللسان الناطق اعظم التجلبات وروى ابو نعيم باسناده ان عبد الله بن عمرو بن العاص كان جالسا قبل ان يتبع الحديث فقال الحديث
قد تاكم اهل من يمن فلما جلس قال له عبد الله حدثنا عن خيرات الثلاث والشرات الثلاث قال نعم الخيرات الثلاث لسان صادق وقلب تقي وامرأة
صالحة والشرات الثلاث لسان كذوب وقلب فاجر وامرأة سوء فقال عبد الله قد قلتم لكم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان
الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق
حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وفيه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايه المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان فالكذب اساس النفاق الذي بني عليه كما ان الصدق اساس الايمان قال ابن مسعود ان
الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ثم تلى قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال كعب ابن مالك ما انعم الله علي من توبتي الحديث انا اصدق
قال وانما نجاني الله بصدق قال بعضهم حقيقة الصدقات يصدق العبد في موطن يرى انه لا ينجيه غير ان الكذب وكان الربيع ابن خراش
موصوفا بالصدق يقال انه لم يكذب قط وكان لبنان عاصيان الحجاج وكان يطلبهما فقدما على بهما فبعث الحجاج الى الربيع وقال سيعلم
بنو عبس ان يحتهم اليوم يكذب فقال له ابن ابناك قال تركتهما في البيت والله المستعان فقال قد عفونا عنهم بصدقك ومن طهر اللسان
من الكذب طهر من زغل ومن الكلام السيء المحرم واستقام حال العبد كله ومن لم يستقم لسانه فسد حاله كله وربما يعبر عن صدق اللسان باستقامة
المقال كله كما قال تعالى واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا يريد ثناء عليهم وكما تقسم الاعمال الى صدق وغير صدق
والمراد بالصدق هاهنا النفع وقولهم كذبك قولك الصدق تريد بها ما هو حوله نفع وثبات وجاء من حديث انس مرفوعا لا يستقيم ايمان عبد
حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وحتى يستقيم جاره من بوائقه قالوا وما بوائقه قال غشه وظلمه ولا يكسب مالا من حرام فانه لا
يكسب منه شيئا فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده في النار ان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن
ان الخبيث لا يمحو الخبيث رواه احمد والنسائي وابن حبان في صحيحه وفي الحديث اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول
عنك وقال يونس ابن عبيد ما رأيت احدا يسأل عن الذنوب كما يسأل عن الكذب وذكر الحافظ ابو موسى في ذيله عن عمر رضي الله عنه قال
لا عصمة الا وهي تشكو الى الله البلوى من اللسان خاصة قال الحسن اللسان امير الاعضاء البدن فاذا جاءت الاعضاء تذلل وتواضع تقول
وكي تنطق من اللسان فان استقام استقمنا وان اعوججت اعوججنا خرجه الترمذي وصححه وفهم وقال من يطرف من صلى على صفا لسانه ومن
خلط خلط له وقال يونس ابن عبيد ما رأيت احدا يسأل عن الذنوب كما يسأل عن الكذب وذكر الحافظ في سائر عمله ومن مراسيل زيد ابن اسلم ما من عضو من
الاعضاء الا وهو يشكو الى الله تعالى اللساني من اللسان خاصة قال الحسن اللسان امير الاعضاء البدن فاذا جاءت الاعضاء تذلل وتواضع تقول
وكي تنطق من اللسان فان استقام استقمنا وان اعوججت اعوججنا خرجه الترمذي وصححه وفهم وقال من يطرف من صلى على صفا لسانه ومن
خلط خلط له وقال يونس ابن عبيد ما رأيت احدا يسأل عن الذنوب كما يسأل عن الكذب وذكر الحافظ في سائر عمله ومن مراسيل زيد ابن اسلم ما من عضو من
الاعضاء الا وهو يشكو الى الله تعالى اللساني من اللسان خاصة قال الحسن اللسان امير الاعضاء البدن فاذا جاءت الاعضاء تذلل وتواضع تقول
وكي تنطق من اللسان فان استقام استقمنا وان اعوججت اعوججنا خرجه الترمذي وصححه وفهم وقال من يطرف من صلى على صفا لسانه ومن
خلط خلط له وقال يونس ابن عبيد ما رأيت احدا يسأل عن الذنوب كما يسأل عن الكذب وذكر الحافظ في سائر عمله ومن مراسيل زيد ابن اسلم ما من عضو من

فليحذر من هذا اللسان الكذوب وهو المنافق الذي يخالف ظاهره باطنه وقوله وفعله يا من يقول بلسانه ما ليس في قلبه لا تبع ما تعبر عنك لا تنسب احكام فرعون الى موسى. وقوله صلى الله عليه وسلم واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم هذا سؤال جامع لطلب كل خير والاستعاذة من كل شر وسواء علمه الانسان او لم يعلمه وهذا السؤال العام بعد سؤال تلك الامور الخاصة من الخير هو من باب ذكر العام بعد الخاص وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء ويامر بها كما خرجه الامام احمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم علمها هذا الدعاء اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم اللهم اني اسالك من خير ما سالك منه عبدك ونبيك واعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل واسالك ما قضيت لي من قضاء ان تجعل عاقبته رشدا وخرجه الحاكم وعنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة عليك بالكوامل وذكر الحديث وخرجه الفريابي في كتاب الدعاء وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة عليك بالجوامع من الدعاء فذكره وخرج الترمذي من حديث ابي امامة قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئا فقلت يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئا فقال الا ادلكم بما يجمع ذلك كله تقول اللهم اني اسالك خير ما سالك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وانت المستعان وعليك البلاغ لا حول ولا قوة الا بالله وسمع سعد بن ابي وقاص ابنا له يدعو يقول اللهم اني اسالك الجنة ونعيمها وبهجتها ونحوا من هذا واعوذ بك من النار وسلاسلها واغلالها فقال لقد سالت الله خيرا كثيرا وتعوذت بالله من شر كثير واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقرأ هذه الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وان بحسبك ان تقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل خرجه الامام احمد وخرج الطبراني وغيره من حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعاء له طويل اللهم اني اسالك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه واوله واخره وظاهره وباطنه وخرج ابو داود من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم واستغفرك لما تعلم انك انت علام الغيوب ختم الدعاء بالاستغفار فانه خاتمة الاعمال الصالحة وقوله واستغفرك لما تعلم يعم جميع ما يحتاج الى الاستغفار منه من ذنوب العبد فلا يكون تعبيرا لما يعلمه كله فان من الذنوب ما لا يشعر العبد بانه ذنب بالكلية كما في حديث مرفوع الشرك اخفى في هذه الامة من دبيب النمل على الصفا قالوا فكيف نقول يا رسول الله قال قولوا اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك ونحن نعلم ونستغفرك لما لا نعلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ومن الذنوب ما ينساه العبد ولا يذكره وقت الاستغفار فيحتاج العبد الى استغفار عام من جميع ذنوبه ما علم منها وما لم يعلم والكل قد علمه الله واحصاه فلهذا قال واستغفرك لما تعلم انك انت علام الغيوب قال الله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه قال ابراهيم التيمي ان من اعظم ذنوبي اني لا اذكرها الخوف يعني تلك الذنوب التي ذكرها الى يستغفر منه من لم اعلم اذكرها من اكثر ذنوبه صارت نصب عينيه ولم ينسها ومن لم يهتم بذنوبه هانت عليه نفسه فلم يذكرها الى يوم يذكر النسيان وانى له الذكرى اذا نشر ديوان الحساب ضج ارباب الجرائم من صغارها قبل كبارها ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال ابن مسعود ان المؤمن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب طار على انفه فقال به هكذا قال عون بن عبد الله جراح التائبين منصوبة بالندم نصب اعينهم لا تزال للتائب في الدنيا عبرة كلما ذكر ما جرح على نفسه تذكر بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله قال كعب ان العبد ليعمل الذنب الصغير فيحقره ولا يندم عليه ولا يستغفر الله منه فيعظم عند الله حتى يكون مثل الطود ويعمل الذنب العظيم فيندم عليه ويستغفر منه فيصغر عند الله حتى يغفر له وقال ابو ايوب الانصاري ان الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها ويعمل المحقرات حتى ياتي الله وقد احطن به ويعمل بالسيئة فيفزع منها حتى ياتي الله امنا قال بعض السلف ان الرجل ليعمل الذنب فلا يزال نادما عليه حتى يدخل الجنة فيقول لما كنت مشفقا منه فيغفر له وقال بعضهم كفاك بهذا ذنبا

ان تعمل الذنب تحقره ومن هنا قال بعضهم لا تنظر الى صغر خطيئة ولكن انظر من عصيت وقال اويس القرني رحمه الله لا تنظر الى صغر ذنبك و
لكن انظر من عصيت فانه صغر ذنبك فقد صغرت الله وان عظمت ذنبك فقد عظمت الله وقال عبد الله بن عمرو بن العاص من ذكر خطيئة عملها
فوجل منها قلبه فاستغفر الله منها لم يحبس في شيء حتى يجوز على اعدل ميزان قال الفضيل في قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب قال هي الرجل يذكر ذنوبه
في الخلا فيستغفر الله منها كان السلف تعلم ذنوبهم بعضهم بعضا قال رباح القيسي لي فيف وابو وذنوبا فاستغفرت لكل ذنب سماه الا الذنوبة
وكب ابن سيرين الدين فقال هذا ذنب ابنته منذ اربعين سنة قلت لرجل يا مفلس فذكر ذلك لابي سليمان فقال قلت ذنوبهم معروفة
من اين انق وكثرت ذنوبنا فلم نعرف من ابن نتوب كان معروف الكرخي رحمه الله يقول اي شيء ذنوب الذنوب شقفتي ليس عني
تغيب ما بين الذنوب لو اعقلتني رحمة له لي نقد علا في المشيب ما للذين احدثوا ذنوبا اليه غير الله ولي ذلك اخبار بقوله والذين
اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ما يوصل محفوظ وتحته رحمته من اسبل عليها حفاظا هم
فيبل الكرم فسترها لولا ان حلمه وسع خلقه لهلكوا قال هرون ابن باب حملة العرش اربعة بقي وبون بالتسبيح يقول اثنان منهم سبحانك وبحمدك
على حلمك بعد علمك ويقول الاخران سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك لما يرد من ذنوب بني ادم قال محمد ابن المنكدر في بعض
في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول يا ابن ادم لو تعلم بعلم الناس منك ما اعلم لمنعوك فقد سترت عليك وغفرتك ما كان منك ما لم تشركني
شيئا وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليدنو العبد يوم القيمة فيضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول اتذكر ذنب كذا
اتذكر ذنب كذا فلا يزال يقرره حتى اذا رأى انه قد هلك قال له اني قد سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وفي رواية ان الله
يوم القيمة يا المؤمن فيدنيه حتى يجعله في حجابه من جميع الخلق فيقول له اقرأ فيقرأ ذنبا ذنبا اتعرف ذنب فيقول نعم ثم يلتفت العبد يمينا
وشمالا فيقول الله لا بأس عليك يا عبدي انت في ستري في جميع خلقي ليس بيني وبينك اليوم احد يطلع على ذنبك غيري اذهب فقد غفرتها لك
اليوم بحرف واحد من جميع ما يتقي به قال ما هو يا رب قال لكن لا ترجوا العفو من احد غيري حتى في هب ابن الجارود زعم الوليد بن مسلم
يلقاه العاصي عند تقريره بذنوبه من الحياء والخجل العارفون يشتد قلقهم من الحياء من الله عند الوقوف بين يديه قال بعضهم ما يمر بي اشد من
الحياء من الله وكان الفضيل يقول واسوأتاه منك وان غفرت لي قال غيره لو خيرت ان ابعث فاقف بين يديه ثم يأمر بي الى الجنة بين ان
ابعث لا خيرت ان لا ابعث ولا اريد الجنة وقال الحزواز مر بي هذا الموقف الى النار كان اهون علي من ان يقفني بين يديه ثم يأمر بي الى الجنة قال ابو عمرة
يدني الله العبد يوم القيمة فيضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع اليه كتابه في ذكر الستر فيقول اقرأ يا ابن ادم كتابك فيقرأ فيمر الحسنة
فيبيض لها وجهه ويسر لها قلبه فيقول اتعرف يا عبدي فيقول نعم ليقول اني قبلتها منك فيسجد فيقول ادفع راسك وعد في كتابك فيمر
لسيئة فيسود لها وجهه ويوجل منها قلبه وترعد منها فرائصه ويأخذ من الحياء من ربه ما لا يعلم غيره فيقول استرتها عبدي فيقول نعم يا رب الخ
فيقول اني قد غفرتها لك فيسجد ثم لا يرى من الخلايق الا ساجدا حتى ينادي بعضهم طوبى لهذا العبد الذي لم يعص الله قط والله ردون
ما قد بقي فيما بينه وبين الله عز وجل فيما تعمد وقد عليهم ان يستغفر الله مما يعلم الله من الشيء من لا يرحم الله طهر بحار ترى على كل مظلمة
يا سوءتا من حياء يوم القاه عما علم الله عن لا يعاتبه على كل شيء ولكن يكلم الله استغفر الله مما كان من قول احدوني لمن كف عما يكره الله
طوبى لمن حسنت سريرته طوبى لمن ينتهي عما نهى الله عنه آخر الكلام على الحديث والحمد لله وصلى الله على محمد وسلم

١٣

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد
الغر المحجلين محمد المبعوث الى الخلق اجمعين وعلى اله الطيبين وصحبه الطاهرين وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين
وبعد فقد ذكر من بعض كبار العلماء عدة مكتوبات من واسط الى بغداد في السؤال عن عدد شعب الايمان حيث ورد في الصحيح بضع
ومسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وستون او بضع وسبعون شعبة فاعلاها قول لا اله
او ارفعها واوضعها على اختلاف الروايات قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وامر بعد الحث
عليها بتفصيلها عددا وتاخر الجواب لاسباب وعوارض تحين طال الزمان وكثر التكرار احضرت كتاب شعب الايمان للامام الحافظ الفقيه

الاعلام بشعب الايمان

69

ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي ست مجلدات لا نقلها بذاتها فوجدتها متفرقة في جميعها ايجمعها اولا في الخطبة او في الجملة الاولى ثم اعتنى
بتفاصيل شروحها لكن تركتها في جميع الكتاب فدعتني الضرورة الى ان اجمعها من مجموعها واجعلها مختصرة كرؤس المسايل واتبع با
بعد الاية من كتاب الله الحديث من صحيح ما روي فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما زدت في بعض الشعب ايات واحاديث وكلمات
واحكاية او حكايات او بيتا او بيات لم يذكرها وقد بلغ ابوابها سبعة وسبعين بابا انا بجميعها عنه وجميع كذا قال المقول احد منه جماعة
منهم الشيخ العالم مسند العراق ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم عبد الله بن عمر المقري البغدادي بها والفقيه ابو الفضل سليمان بن حمزة
والحافظ المقدسي من دمشق قالوا جميعا انا جماعة منهم ابو محمد الاكفاني ابن ابي السعادات بن محمد بن عبد الرحمن النحاس ابو العباس احمد
ابن يعقوب بن عبد الله المارستاني قالوا جميعا انا ابو حفص ابو احمد بن عمر الزيباني في صفر سنة اثنين وستين وخمسمائة قال
اخبرنا الشيخ ابو الحسن عبد الله ابن محمد بن الامام الحافظ ابي بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي قال انا جدي الامام ابو بكر ح واخبرنا
به عاليا عند اسند الوقت ابو الحسن علي ابن احمد بن عبد الواحد المقدسي اجازه عامة ان لم يكن خاصة قال انا الحافظ بغداد ابو الفرج عبد
الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ومفتي خراسان ابو سعيد عبد الله بن عمر بن احمد الصفار النيسابوري اجازه خاصة قال انا كذلك ابو القاسم
هبة الله بن طاهر بن محمد الشحامي وجماعة ان لم يكن سماعا للثاني على او على احدهم قالوا انا الامام الحافظ ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي
رضي الله تعالى عليهم اجمعين الايمان بالله عز وجل لقوله تعالى والمؤمنون كل امن بالله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ثم
يذكر حديث ابي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه في الصحيحين امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله
عصم مني نفسه وماله الا بحقه وحسابه على الله وحديث عثمان ابن عفان رضي الله عنه في صحيح مسلم من مات وهو يعلم ان لا اله
الا الله دخل الجنة الايمان برسل الله عز وجل صلى الله وسلم عليهم اجمعين لقوله تعالى والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه و
رسله وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصحيحين في سؤال جبريل عليه السلام الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الايمان بالملائكة الآية والحديث المذكورين على الايمان بالقرآن وجميع الكتب المنزلة قبله لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل الآية والحديث المذكور ايضا الايمان
بالقدر خيره وشره من الله عز وجل لقوله تعالى قل كل من عند الله وحديث ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين احتج ادم وموسى فقال
موسى يا ادم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له ادم يا موسى انت اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة اتلومني على
امر قدره الله علي قبل ان يخلقني فحج ادم موسى وبالاسناد المذكور انشدنا الامام ابو بكر البيهقي قال انشدني ابو الفرائس
صالح بن احمد الطبري شعرا لم اعلم لعبد قد ضجر الرب ذو قدرة والدهر ولد والعلم الرزق مقسوم فما الجزع مما الخالق فعله
الايمان باليوم الآخر لقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قال الخليمي
رحمه الله معنى التصديق بان الايام الدنيا الآخرة الفانية منقضية وهذا العالم منقض فني الكون بانتقاله اعني بابتدائه اذ القديم لا يفنى
ولا ينقضي وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه والذي نفسي بيده لتقومن الساعة وثوبهما بينهما لا يتبايعانه ولا
يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته من تحتها لا يطعمها وقد رفع اكلته الى فيه لا يطعمها الحديث الايمان
بالبعث بعد الموت لقوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن الآية وقوله الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى
يوم القيامة وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصحيح في حديث الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر وبالقدر كله الايمان بحشر الناس بعد ما يبعثون من قبورهم الى الموقف لقوله تعالى لا يغرنك اذهابهم
وهو يوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وحديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما في صحيح صحيح مسلم يوم يقوم الناس
الايمان بان دار المؤمنين وما يهم الجنة ودار الكفر وما يهم النار لقوله تعالى
وحديث صهيب في الشحر الى انصاف اذنيه الايمان وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين اذا مات احدكم عرض عليه مقعده
من الجنة او النار ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيمة

العاشر من الايمان بوجوب محبة الله عز وجل لقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا
لله الآية وحديث انس بن مالك رضي الله عنه في الصحيحين ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار فيلقى فيها وبما اليه بقي قال سمعت ابا
عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا الحسن المظفر بن نصر الطوسي يقول سمعت جعفر الخلدي يقول سمعت الجنيد يقول قال الرجل السري السقطي كيف
انت فانشأ يقول ؎ من لم يبت والحب حشو فؤاده ؎ لم يدر كيف تفتت الاكباد وبرنا عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا نصر
محمد بن محمد بن اسمعيل قال سمعت ابا القاسم الشيرازي الواعظ قال سمعت ابا دجانة يقول كانت داعترام غلب علينا حاز الحب تتمثل
بقصيدة الا لوانة مطلعها رحم الله هذا الحال بديع ؎ لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ؎ الايمان بوجوب
الخوف من الله عز وجل لقوله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فلا تخشوهم واخشون واياي فارهبون وهم من خشيته مشفقون
ويدعون ربهم رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ويخشون ربهم بالغيب ويخافون سوء الحساب ؎ لمن خاف مقامي وخاف وعيد الحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه في الصحيحين اتقوا النار ولو بشق تمرة وحديث انس رضي الله عنه فيما نو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وعابت رجل بعض اخوانه على بكائه فقال ابكيت على الذنوب لعظم جرمي فحق كل من
يعصي البكاء ؎ ولو كان البكاء يرد شيئا لاسعدت الدموع معا دماء وكان يقول عبد العزيز رحمه الله ليجف فوه من هذا البيت
؎ ولا خير في عيش امرئ لم يكن له من الله نصيب ؎ وسمع ابو الفتح البغدادي هاتفا يهتف بالشونيزية ؎ وكيف نام العين وهي قريرة ؎
؎ ولم تدر في اي الحلبين تنزل ؎ قذف عنه النوم ؎ الايمان بوجوب الرجاء من الله عز وجل لقوله تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه ان رحمة الله
قريب من المحسنين قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء الآية وحديث ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته احد ولو يعلم الكافر ما عند الله
من الرحمة ما قنط من رحمته احد وحديث جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وحديث ابي هريرة رضي الله عنه
في الصحيحين يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني وذكر الحديث انشد ابو عثمان سعيد بن اسمعيل ؎ ما بال دينك ترضى
ان تدنسه ؎ وان ثوبك مغسول من الدنس ؎ ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس ؎ الايمان بوجوب التوكل
على الله لقوله عز وجل لعلكم وعلى الله فليتوكل المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل على الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ومن يتوكل على الله فهو
حسبه وحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين في حديث سواد المحاجم لهذا عن السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب في حديث عكاشة
فقال صلى الله عليه وسلم انهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن الاسدي فقال ادع
الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام رجل اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم يا رسول الله فقال سبقك بها عكاشة وجملة التوكل تدور
الامر الى الله تعالى والثقة به مع ما تقدم له من التسبب وفي الصحيحين ايضا من حديث الزبير رضي الله عنه لان يأخذ احدكم حبله فيأتي
الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغني بها خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه وفي صحيح البخاري من حديث المقدام
ابن معدي كرب رضي الله عنه ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده قال وكان داود لا يأكل الا من عمل يده وبرنا ابو عبد الله
الحافظ قال اخبرنا جعفر بن محمد بن نصير قال حدثني الجنيد قال سمعت السري يذم المجلوس في المسجد الجامع ويقول جعلوا المساجد
الجامع حوانيت ليس لها ابواب وبرنا البيهقي باسناده عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لبعض اهل بلاده رهم وبرنا البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ قال انا جعفر بن محمد الخواص انا ابو هيثم بن نصر السعودي قال سمعت ابا هشام الرفاعي يقول سمعت
خادم ابرهيم بن ادهم قال سمعت ابا علي الفضيل بن عياض يقول لابن المبارك انت تأمرنا بالزهد والمقلل بالمغرور تراك تأتي بعض
من بلاد خراسان الى البلد الحرام كيف فزهدت تأمرنا بخلاف ذا فقال ابن المبارك يا ابا علي انا افعل ذا لاصون بها وجهي وقوم بها
عرضي واستعين بها على طاعة ربي لا اري الله حتى اقوم بين يديه فقال له الفضيل يا ابن المبارك هكذا نحسن ان تم ذا علم ؎ الايمان
بوجوب حب النبي صلى الله عليه وسلم لحديث انس رضي الله عنه المتفق على صحته لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين

والحديث في الصحيحين ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما الحديث والحديث ايضا فيهما قال جاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة قال ما اعددت لها قال لا الا اني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت ٥ ٥
الايمان يوجب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتبجيله وتوقيره لقوله تعالى وتعزروه وتوقروه وقوله فالذين امنوا به وعزروه ونصروه
والتعزير ههنا التعظيم بلا خلاف وقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي لا تقولوا والد ايجد يا ابا القاسم
بل يا رسول الله يا نبي الله ولقوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية وبهذا البيهقي
قال وهذه منزلة فوق منزلة المحبة فليس كل محب معظم كمحبة الاب لولده والسيد لعبده من غير تعظيم بخلاف العكس اشتهر المرء بمر
حتى يكون القذف في النار احب اليه من ان يرجع الى الكفر لحديث انس رضي الله عنه المتفق عليه ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان لم قال ومن
لو كان ان يلقى في النار احب اليه من ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه والحديث ايضا في صحيح مسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه و
فاعطاه غنما بين جبلين فاتى قومه فقال اسلموا فوالله ان محمدا ليعطي عطاء رجل لا يخاف الفاقة وان كان الرجل ليجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم
ما يريد الا الدنيا فلا يمسي حتى يكون دينه احب اليه واعز من الدنيا وما فيها ٦ ا طلب العلم وهو معرفة الباري تعالى وتقدس بالبحث عن ادلة علم
النبوة وما يتميز به النبي عن المتنبي وعلم احكام الله تعالى واقتضيته ومعرفة ما تطلب الاحكام منه كالكتاب والسنة والقياس وشروط
الاجتهاد والقرآن والحديث مشحونان بفضيلة العلم والعلماء قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وشهد الله تعالى لاهل العلم بانه لا اله الا هو والملائكة
واولو العلم قائما بالقسط وعلك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون الآية وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه
من الناس ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وفي صحيح
مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن يسر على معسر يسر الله عليه
في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ومن سلك طريقا يلتمس
فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتعاطون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة
وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ا هـ فشر العلم لقوله تعالى لتبيننه للناس ولا
تكتمونه وقوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ولحديث ابي بكر رضي الله عنه في الصحيحين انه قال في خطبته حتى ليبلغ الشاهد منكم
الغائب فلعل من يبلغه يكون اوعى له من بعض من سمعه وحديث ابي هريرة في سنن ابي داود من سئل عن علم فكتمه الجم الله بلجام من نار
يوم القيمة وبما البيهقي باسناده عن الامام عمر بن عبد العزيز الاموي رحمه الله عليه انه قال من علم بعد كلامه من علمه كثرت خطاياه ومن
علم بغير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح وعن الحارث المحاسبي العلم يورث الخشية والزهد يورث الراحة والمعرفة تورث الامانة وعن ابن
ابي سعيد من عمل بعلم الرواية ورث علم الدراية ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية ومن عمل بعلم الرعاية هدي الى سبيل الحق وعن
مالك بن دينار اذا طلب العبد العلم ليعمل به كسر علمه واذا طلب لغير العلم زاده كبرا وعن معروف الكرخي اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه
باب العمل وغلق عليه باب الجدل واذا اراد بعبد شرا غلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل وعن ابي بكر الوراق ان اكثر كلام من
تعلم دون الزهد والفقه تزندق ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام ابتدع ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع تفسق ومن
تعلمهما جميعا تحقق وتدين وكلها تخلص وعن الحسن البصري انه مر عليه رجل فقيل له هذا فقيه فقال وتدرون ما الفقيه انما الفقيه العالم في دينه الزاهد
في دنياه القائم على عبادة ربه وعن مالك بن دينار قال قرأت في التوراة ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر
عن الصفا وبر انشدنا البيهقي عن ابي بكر ابن ابي داود لنفسه من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء
وعن ابي عثمان الحيري الزاهد من غير تقى يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي والطبيب مريض نسأل الله تعالى التوفيق للعلم والعمل
وخلاصة وجهه من ذلك والحرص والامل ١٩ تعظيم القرآن المجيد بتعلم وتعليمه وحفظ حدوده وحكامه وعلم جزالته وحرمه
التجمل بتلاوته وحفاظه واستشعار ما يهيج البكاء من مواعظ الله ووعيده قال الله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا

افضلكم واخيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال
فيما رواه البخاري ومسلم عن علي رضي الله
ابي موسى الاشعري رضي الله

متصدعا من خشية الله وقال تعالى في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون وقال ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض
او كلم به الموتى الآية وقال البخاري وروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه فضائل القرآن من الذي نفس
محمد بيده لهو اشد تفلتا من الابل في عقلها وقد رواه عبد الله بن عمر احد الاثنين رجل اتاه الله هذا الكتاب فهو يقوم به آناء الليل و
النهار ورجل حفظه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار وقال فيما رواه عمر رضي الله عنه ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع آخرين
العشر الطهارة لقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الآية وحديث ابي مالك الاشعري رضي الله عنه
في صحيح مسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والحمد لله تملا ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان
والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك والناس يغدو فبايع نفسه فموبقها او مبتاعها فمعتقها وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في مسلم ايضا
لا يقبل الله صلاة من غير طهور ولا صدقة من غلول وحديث حسن عن ابي كبشة السلولي عن ثوبان رضي الله عنه سددوا وقاربوا
واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن رواه الحليمي عن يحيى بن ابي كثير مفتاح الجنة الطهور مفتاح الايمان لان الله تعالى سمى
الصلاة ايمانا فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس ولا تجوز الصلاة الا بالوضوء فهما شيئان كل واحد منهما
نصف الميزان الصلوات الخمس لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم وقوله واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وقوله ان الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وحديث جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة وحديث عبد الله بن
مسعود رضي الله عنهما في الصحيحين قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب الى الله قال الصلاة لوقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين
قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل قال وحدثني بهن ولو استزدته لزادني وحديث ابن عمر رضي الله عنهما صلاة الجماعة افضل من صلاة
الفذ بسبع وعشرين درجة وحديث عثمان رضي الله عنه في صحيح مسلم ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها و
ركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله وبرهانه اليمين قال وليس في العبادات بعد الايمان بالله
الرافع للكفر عبادة سمعتها عز وجل ايمانا وسمعتي رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم في الصلاة ٢ الزكاة لقوله تعالى واما من وما
ليعبدوا الله الى قوله وذلك دين القيمة وقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ثم لا ينفقونها في سبيل الله الى قوله فذوقوا ما كنتم
تكنزون وقوله ولا يحسبن ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيمة وحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انك تاتي قوما من اهل كتاب فادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله فان هم اجابوك لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات في كل
في كل يوم وليلة فان هم اجابوك لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة في اموالهم تؤخذ من اغنيائهم فترد في فقرائهم فان هم اجابوا
لذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وحديث ابي هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري و
من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول
انا مالك انا كنزك ثم تلى هذه الآية ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيمة ٣ الصيام لقوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين بني
الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وحديث ابي هريرة رضي الله عنه
فيهما كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع طعامه
وشهوته من اجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك الصوم جنة ٤
الاعتكاف لقوله تعالى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وحديث عائشة رضي الله عنها
في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله واعتكف ازواجه من بعده وفي
رواية صلى الله عليه وسلم قال من اعتكف فوق ناقته فكانما اعتق نسمة ٥ حج لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع
واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين وقوله واتموا الحج والعمرة لله وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين بني الاسلام

بخمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وحديث عمر رضي الله عنه في صحيح مسلم بينما
نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل فقال يا محمد ما الاسلام قال ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتتم الوضوء وتصوم رمضان قال فان فعلت هذا فانا مسلم
قال عمران ما علمت وذكر الحديث وروي عن ابي امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يحبسه مرض او حاجة ظاهرة وسلطان
جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ٢٩ م الجهاد لقوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا
فيكم غلظة يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ولحديث ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
العمل افضل قال الايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور ولحديث عبد الله ابن
ابي اوفى رضي الله عنه في صحيح البخاري لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال
السيوف ٣٠ م المرابطة في سبيل الله عز وجل لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ولحديث سهل ابن سعد الساعدي
رضي الله عنه في صحيح البخاري رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله الغدوة خير من الدنيا
وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والمرابطة تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف في المسجد بعد
الفريضة لان المجاهد يقيم في وجه العدو ومتاعها مستعد له ٣١ م الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف لقوله تعالى اذا لقيتم
فئة فاثبتوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار الآية يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين الآية ولحديث عبد الله ابن ابي اوفى في صحيح البخاري لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية
فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ٣٢ م اداء خمس من المغنم الى الامام وعماله على الغانمين لقوله تعالى واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الى قوله ان كنتم امنتم بالله وقيد ما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة الآية ولحديث
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين عن وفد عبد القيس امركم باربع وانهاكم عن اربع امركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما
الايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام
رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت وقال احفظوهن واخبروا بهن من وراءكم ٣٣ م الشاشة
وجه التقرب الى الله عز وجل لقوله تعالى وما ادراك ما العقبة فك رقبة ولحديث ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين من
اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا من النار حتى فرجه بفرجه ٣٤ م الكفارات الواجبات بالجنايات وهي بالكتاب والسنة
فالكتاب كفارة الظهار وكفارة اليمين وكفارة المسيس في صوم رمضان ومما يقرب منها ما يجب باسم النذر لانها اما
ان تسبق او يراد بها التقرب الى الله تعالى بشيء يعني اذا وقع دنيا كان او غيره ذلك ٣٥ م الايفاء بالعهود لقوله تعالى و
اوفوا بالعهد وقال ابن عباس يعني ما احل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله وقوله يوفون بالنذر وليوفوا نذورهم ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولحديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه في صحيح البخاري كل غادر
يرفع له لواء يوم القيمة فقيل هذه غدرة فلان ولحديث عبد الله ابن عمر في الصحيحين اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة
منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر ولحديث عبد الله ابن
عمرو في صحيح مسلم ان احق الشروط ان توفوا به ما استحللتم به فروج النساء ٣٦ م نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها
قال الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما انعم به عليكم لا تحصوها وما بكم من نعمة فمن الله ولا تكفرون وغير ذلك
من الآيات الدالة على العبادة وذكرهم بها في كثير ولحديث ابي ذر رضي الله عنه في صحيح البخاري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخذ
مضجعه من الليل قال باسمك اموت واحيا واذا استيقظ قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور ولحديث صهيب رضي الله
عنه في صحيح مسلم عجبا لامر المؤمن ان امر المؤمن كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له

قال نا الحافظ ابو عبد الله قال استشرفني صدقة ابن ابي ذهل قال استشرفني ابو الحسن الكدي الداعي فقال اذا كنت في نعمة فاع
فان المعاصي تزيل النعم وبه قال نا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين ابن يوسف الفرويني قال سمعت بكر بن حمدان
اسحق قال سمعت الجنيد قال سمعت السري يقول الشكر نعمة والشكر على النعمة نعمة الى ان لا يتناهى فهي الشكر المتوارد ثم قال
الامام الشافعي رحمه الله في اول كتاب الرسالة الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة الا من نعمه الا بنعمة منه توجب على مؤدي ذلك
الشكر شكر اخر وبه انا البيهقي قال انا ابو القاسم بحر في انا احمد ابن سلمان انا ابن ابي الدنيا قال استشرفني محمود الوراق فقال اذا كان شكري
نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بفضله تتوالى طالسلام والصلاة على النعمة اذا مس السراء سرورها
ولبس الضراء اعتقها الاجر نوعا منها الالم فمنه ما يضيق بها الاذهان والجوارح واخبرنا ابو عبد الله البيهقي جماعة بين فقط
اذا كان شكري نعمة الله نعمة علي تتم تلها يحتاج الشكر فالى عند الالهي مقصرت وعذري اقرار بان ليس في عدة عم ٣ حفظ اللسان
عما لا يحتاج اليه ويدخل فيه الكذب والغيبة والنميمة والمخرج الفرات والسنة مشحونات بذلك كقوله تعالى اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والصادقات
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ولا تقف ما ليس لك به علم فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق والذي جاء بالصدق وصدق به ان
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ولحديث عبد الله ابن مسعود في الصحيحين ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة
وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الرجل الكذب ليهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند
كذابا وضرب صلى الله عليه وسلم عند مسلم في صحيح مسلم ويضم بي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمن
ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت لعموم الامانة وما يجب من اداتها الى اهلها لقوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها وقوله عليه السلام والذي اؤتمن امانة والحديث ابي هريرة ٣ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك والحديث في الصحيحين ثلاث من
كن فيه كان منافقا وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ٣ تحريم قتل النفس والجنايات
عليها لقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضاضة عليه الاثم ولقوله لا تقتلوا انفسكم الاية وحديث عبد الله ابن مسعود
رضي الله عنه في الصحيحين قال سلم كنت سبابا فسوق وحديث في صحيح البخاري اول ما يقضى بين الناس يوم القيمة في الدماء وحديث ابن
عمر رضي الله عنهما فيه لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما ٣ تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف لقوله تعالى يحفظون فروجهم
والذين هم لفروجهم حافظون ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وحديث ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين لا يزني الزاني
وهو حين يزني مؤمن ولا يسرق السارق وهو حين يسرق مؤمن ولا يشرب الخمر وهو حين يشربها مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع
المؤمنون اليه فيها ابصارهم وهو حين ينتهبها مؤمن ٣ قبض اليد عن الاموال المحرمة ويدخل فيه تحريم السرقة وقطع الطريق وكل
وكل ما يستحقه شرعا لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقوله واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم والحديث تعبد الرحمن
ابن ابي بكرة في الصحيحين عن ابيه رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فقال ان دماءكم واموالكم وهاضركم عليكم حرام
الحديث ٣ وجوب الخروج عن المظالم والمشارب والاجتناب عما لا يحل منها لقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به والمنخنقة الاية قال ابن جرير ما اوجب الله تحريمه على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا
اهل لغير الله به انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه الاية يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما فاثبت فيهما الاثم ثم قال في اية اخرى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق
الاثم هنا الخمر وقيل ان الاثم اسم من اسماء الخمر وينشد شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول وحديث عائشة رضي الله عنها
في الصحيحين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في صحيح مسلم كل مسكر
خمر وكل خمر حرام وحديثه في الصحيحين من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الاخرة وحديث ابي شريحة رضي الله عنه فيهما اني رسول
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به اتيت بقدحين خمر ولبن فنظرت اليهما فاخذت اللبن فقال جبريل عليه السلام الحمد لله الذي هداك لفطرة لو اخذت
الخمر لغوت امتك والحديث فيهما ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن الحديث وبهما البيهقي باسناده عن الحسن قال جاء البيذق الى عمر

حتى عند بعض العقول وقيل لبعض العرب لم لا تشرب النبيذ فقال والله لا ارضى عقلي صحيحا لكيلا أدخل عليه ما يفسده وعن أكثم بن صيفي
قال لابنه يا بني إياك والنبيذ فانه في شدتك يسلبك عقلك ويحدث في ظهرك وتكون صحته نصبات وامراضه هدبات وعن بعض الحكماء
قال لابنه يا بني ما يدعوك الى المسكر النبيذ قال يهضم طعامي قال يا بني هو لديك فضيحة وعن عبد الله بن ادريس كل شراب مسكر كثيره
حرام وعن قصيفة قاتل محرم يسيره وعن أبي بكم من شرك نذيره وعن أبي بكر بن أبي الدنيا انما استباح ابو حنيفة النبيذ عند الشبع
لتيسير تمييزه عند ذهاب الشبع والشدة الحسية ابن عبد الرحمن ما رأى كل قوم يحفظون حريمهم ما ليس لاصحاب النبيذ حريم ما ذا جعلتهم
صحوك لهو وصبوة وان غبت عنهم ساعة فذميم ما اخاهم ما دارت الكاس بينهم وكلهم عند الوصال سؤوم فهذا ما في الكتب الصحاح
ثم نشرع بنظائر ستين عليه فصل وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا
وان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا طيبا وقال يا ايها الناس كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب
ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ان الحلال
بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام
كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه اني
لانقلب على فراشي فاجد التمرة ساقطة على فراشي وفي بيتي فارفعها لاكلها ثم اخشى ان تكون من الصدقة فالقيها وفي البخاري عن عائشة
رضي الله عنها ان لابي بكر رضي الله عنه غلاما يخرج له الخراج وكان ابو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فاكل منه ابو بكر فقال له الغلام
اتدري ما هذا فقال ابو بكر وما هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما احسن الكهانة الا اني خدعته فلقيني فاعطاني بذلك فهذا الذي
رأيت من اجرك فادخل ابو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه وعن زيد بن اسلم ان عمر بن الخطاب شرب لبنا فاعجبه فقال للذي سقاه من اين لك هذا
فاخبره انه من نعم الصدقة فادخل عمر يده فاستقاءه وعن خالد في طيب مطعمه انه كان نباحا بحرة في جراب من المدينة وبها اليهود
وساقه عن بشير بن الحارث قال قال يوسف بن اسباط اذا تعبد الشاب يقول ابليس انظروا من اين مطعمه فان كان مطعمه مطعم سوء
فانه لا يستفاد به دعوة يجتهد وينصب فتدكدكم نفسه وعن عمر رضي الله عنه انه نظر الى الناس يتبادرون الصف الاول
حتى يستهموا ان يتبادروا الى كل خير لعدل وعن الفضيل بن عياض قال سئل سفيان الثوري عن فضل الصف الاول فقال انه كسر تكبر
وهو صاف في الصف الاخير معتمدا على ظهر رجل من ان هو وصاف في الصف الاخير وعن سري السقطي انه كان لا يأكل من بقل سوق لان
فيه من فحيح علم انه مر به ويشدد في ذلك وكان غاية في الورع ومع ذلك قال كنت في بطرسوس وكان معي في الدار شيان فجعلت وكانت
عندهم بجبر وسعير فاكسر التنور فحملت بدله من مالي فتنور عوان بجبر وفيه وعنه قال كان ابو يوسف الغسولي يلزم القدر ويجزر
فكان لا يزال مع الناس ودخلوا بلدا ما لوا وهم اكل اصحابه من ذبائحهم وتوكلهم وهو لا يأكل ويقال له اتشك انه حلال فيقول الشيخ لعله
اكل نجوما غالب الزهد في الحلال وعن السري قال رجعت من بعض المغازي فزرت في طريقي ماء صافيا وحوله عشب من حشيش فدنت
من فمي لامصه ثم كففت وقلت لعلي مررت في الصف الاخير وعن السري اسقطني مرة كان لا يأكل من بقل سوق لان
فيه من فحيح علم انه مر به ويشدد في ذلك وكان غاية في الورع ومع ذلك قال كنت في بطرسوس وكان معي في الدار شيان فجعلت وكانت
عندهم بجبر وسعير فاكسر التنور فحملت بدله من مالي فتنور عوان بجبر وفيه وعنه قال كان ابو يوسف الغسولي يلزم القدر ويجزر
فكان لا يزال مع الناس ودخلوا بلدا ما لوا وهم اكل اصحابه من ذبائحهم وتوكلهم وهو لا يأكل ويقال له اتشك انه حلال فيقول الشيخ لعله
اكل نجوما غالب الزهد في الحلال وعن السري قال رجعت من بعض المغازي فزرت في طريقي ماء صافيا وحوله عشب من حشيش فدنت
من فمي لامصه ثم كففت وقلت لعلي مررت في الصف الاخير وعن السري اسقطني

الخافي قال سمعت المعافى بن عمران يقول كان عشرة فيما مضى من أهل العلم ينظرون في الحلال نظر الشديد لا يتخطون في شيء منهم الا ما يعرفون انه من الحلال والا استفوا التراب ثم عد بشر بن ابرهيم بن ادهم وسليمان الخواص وعلي ابن فضيل بن عياض وابا معاوية الاسود ويوسف ابن اسباط وهيب ابن الورد وحذيفة شيخا من اهل حران وداود الطائي وعد بشر عشرة وعن يحيى ابن معين المحدث انه قال يترك حلة وحرامه يوما ويبقى جائعا ثلاثة ايام وسئل سفيان الثوري عن الورع فانشد فما في وجدت فلا تقطعوا غيره هذا التورع عند هؤلاء ثم فاذا قدرت عليه ثم شركته فاعلم بان هناك تقوى السلم ثم عن محمد ابن عبد الكريم المروزي قال لما ولي يحيى ابن اكثم القضا كتب اليه اخوه عبدالله ابن اكثم من مرو وكان من الزهاد ولقمة بحريش الملح تاكلها الا مرة تخنق بزيتون وكلة قرب للهلكة صاحبها مكتبة الخ دفتر عن عصفور وعن ابرهيم ابن هيثم انه استوصاه صاحب له عند وداعه فقال اوصيك ان تعمل صالحا وتاكل طيبا ليس التقي بمتقي الا صه حتى يطيب شرابه وطعامه ويطيب ما تحوي ويكسب كفه ويكون بحسن يحب كلامه منطق النبي للناس عن دبر منه فعل النبي صلاته وسلامه الاربعون تحريم الملابس والزي والاواني وما كره منها الحديث اسبل ابن مالك في الصحيحين من لبس الحرير يعني في الدنيا فلن يلبسه في الاخرة محرب حذيفة رضي الله عنه الحرير والديباج فانهما لهم في الدنيا ولكم في الاخرة وحديث ابن مسعود رضي الله عنه في مسلم ان الله جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمط الناس وحديث ابي بردة رضي الله عنه في الصحيحين قال اخرجت الينا عائشة كساء وملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وحديث ابن عمر رضي الله عنهما فيهما لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلاء هم تحريم الملابس والاواني لمخالفة الشريعة لقوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ولحديث سليمان ابن بريدة في صحيح مسلم عن ابيه رضي الله عنه من لعب بالنرد شير فكانما غمس يده في لحم الخنزير ودمه الاقتصاد في النفقة وتحريم اكل المال بالباطل لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية ولحديث المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه في صحيح مسلم نهى عن ثلاث قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال هم ترك الغل والحسد وحرمها لقوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد ما يحبون الناس على ما اتاهم الله من فضله عن انس ابن مالك في صحيح لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا وحديث انس ابن مالك ايضا في صحيح بخاري لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان يصد هذا ويصد هذا خير الذي يبدأ بالسلام وبراجزنا البيهقي باسناده عن الحسن في قوله ومن شر حاسد اذا حسد قال هو اول ذنب كان في السماء وعن الاحنف بن قيس حسد هو اول ذنب عصي الله به ولا وفاء لمملوك ولا راحة لبخيل ولا سؤدد لسيء الخلق وعن الخليل ابن احمد ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد لا نفس لها دائم وغم لازم وعن بشر بن الحارث الحافي العدل اقرب في القربة والحسد في الجزاء عن الخير اسرع منعين الحسود عليك الدهر جاسة تهدي المساوي والاحسان تخفيه يلقاك بالبشر والقبح مكاشرة وان غلبت منكم فيرة الذي فيه الحسود بلا جرم عداوة قد ليس يقبل عذرا في محبته فما حكم من ترك الوفي عراض الناس وما يجب من ترك الوفي عرفها لقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا يحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه كان الذين يحبون ان يشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة وغير ذلك من الايات والاخبار الكثيرة كحديث ابي هريرة في صحيح مسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وحديث ابي ذر رضي الله عنه في الصحيحين ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر الا ان ثبت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك اخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها الآيتين فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا لحديث ابي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم قال الله عز وجل انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه وهو الذي اشرك ولحديث جندب رضي الله عنه في الصحيحين من يسمع يسمع الله به ومن يرائي يرائي الله به وبراما البيهقي باسناده عن سئل عن الاخلاص قال ما لا يحب ان يحمد عليه الا الله عز وجل وعن سهل ابن عبد الله لا يعرف الرياء الا مخلص ولا الاخلاص الا مؤمن وبالجملة الاعالم ولا معصية الا مطيع عن الربيع ابن خيثم كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل وعن الجنيد لو ان عبدا اتى بامثال الجبال من عبادة وزهد

الحبيب
اطاعة ربه واستقامة دينه وحسن الخلق وطيب المخبر وكان في قلبه ذرة لغير الله فليس لله فيه حاجة وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه ليس بفقيه
ورب حامل فقه الى من هو افقه منه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي رواه مسلم وعن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من شيء اكرم على الله من مؤمن رواه ابن ماجه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي الذي اذا غاب لم يفتقد واذا حضر لم يدع ولم يعرف رواه ابن ماجه وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي رواه مسلم وعن ابي امامة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من شيء اكرم على الله من مؤمن رواه ابن ماجه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي الذي اذا غاب لم يفتقد واذا حضر لم يدع ولم يعرف
رواه ابن ماجه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي
رواه مسلم وعن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من شيء اكرم على الله من مؤمن رواه
ابن ماجه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي الذي
اذا غاب لم يفتقد واذا حضر لم يدع ولم يعرف رواه ابن ماجه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي رواه مسلم وعن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من شيء اكرم على الله من مؤمن رواه ابن ماجه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي الذي اذا غاب لم يفتقد واذا حضر لم يدع ولم يعرف رواه ابن ماجه

تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قال فكم اليوم في كل قبيلة وحتى من الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون وعن ان الله
عز وجل امر بقبر ان تعذب فصحه نجوى الملائكة وقالت ان فيهم عبدك فلانا قال اسمعوني صيحته فاذا وجهه لم يتحمر يوما غضبا
لمحارمي ورؤي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم باسناد ضعيف وعنه ايضا اصطلحوا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا
ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يذر نا الله تعالى على هذا فليت شعري اي عذاب ينزل وعن عمر بن عبد العزيز قال كانوا يرون ان الله
عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا عمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كلهم وقال تعالى في التعاون على البر والتقوى وقوله تعالى
تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان والحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما قالوا يا رسول الله
هذا نصره مظلوما فكيف نصره ظالما قال تمنعه من الظلم وعن الحجاج حديث سالم ابن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم في الصحيحين عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يعظ اخاه في الحياء فقال دعه فان الحياء من الايمان والحديث عمران ابن حصين رضي الله عنه فيهما
ان الحياء لا يات الا بخير وحديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنهم فيهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شدد حيا من العنبر في غير ما
وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وحديث ابي مسعود الانصاري رضي الله عنه في صحيح البخاري اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وعن
اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وعن بر الوالدين لقوله تعالى وبالوالدين احسانا وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
بوالديه احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما الايتين والحديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين
قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله عز وجل قال الصلاة لوقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين الحديث وعن صلة الارحام
لقوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله الاية والذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض الاية والحديث انس بن مالك رضي الله عنه في الصحيحين من احب ان يبسط
له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه والحديث جبير ابن مطعم رضي الله عنه فيهما عن ابيه لا يدخل الجنة يعني قطع الرحم قلت
وللترغيب بين ان يكون برا وفاجرا اي حسن الخلق وبدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس الاية والحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا
ولا متفحشا وقال خياركم احسنكم اخلاقا وفي رواية ان من احبكم الي واحاسنكم اخلاقا والحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين
ايضا ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما
انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وعن انا البيهقي رحمه الله قال ومعنى حسن الخلق
سلامة النفس بحيث لا ترفق الحدين الا فعال وقد يكون في ذات الله تعالى وقد يكون فيما بين الناس وهو في ذات الله عز وجل
ان يكون العبد منشرح الصدر بما امر الله تعالى وندبه اليه يفعل ما فرض عليه طيبا النفس سليما بره بخوه وينتهي عما حرم الله عليه
سعابه غير متضجر منه ويرغب في نوافل الخير وتركثيرا من المباح لوجه الله تعالى وتقدير ذا راى ان تركها اقرب الى العبودية من فعله
مستبشر الذلك غير ضجر ولا متعسر بره وهو في المعاملات بين الناس ان يكون سمحا بحقوقه لا يطالب غريمه لعاجز بوفي ملح لغيره
عليه منها فان مرض فلم يعده او قدم فلم يزره وسلم فلم يرد عليه او ضاف فلم يكرمه او شفع فلم يجب او لحسن فلم يشكره او دخل على قوم فلم
يمكن او تكلم فلم ينصت او استدان على صديق فلم يؤد نقده او خطب فلم يزوج او استمهل الدين فلم يمهل او استقضى منه وما
اشبه ذلك لم يغضب ولم يعاقب ولم ينكر من حاله حال ولم يستشعر في نفسه انه قد جفي او حش وانه يقابل كل ذلك او نحوه بالجد
الميه بتلطف بل يضيف انه لا يعد شيئا من ذلك ويقابل كلا منه بما هو احسن وانبل واقرب الى البر والتقوى واشبه بالجد وبرضي به ثم كلم
في ايفاء ما هو عليه كما في حظ ما يكون له فاذا مرض اخوه المسلم عاده وان جار في شفاعة شفعه وان استمهل في قضاء دين
احتاج منه الى معونة اعانه وان استسمحه في بيع سمح له ولا ينظر الى ذات الذي يعامله كيف كانت معاملته اياه فيما حل بكيف
يعامل الناس انما يتخذ الاحسن اماما لنفسه فيحاكيه ولا يخالفه والخلق الحسن قد يكون غريزة وقد يكون مكتسبا والمسيح انما
لمن كان في غريزته اصل منه فهو يضم باكتسابه اليه ما يتمه ومعلوم في العادة ان ذا الراي يزداد بحجا استعانوا الكلام والم

نعم
سلامة

٢٩

ن دون مما يزداد بمخالطة العلماء على وكذلك الصالح والعاقل بمجالسة التقي والعقلاء فلا ينكر ان يكون ذو الخلق الجميل يزداد
حسن خلق بمجالسة اولي الاخلاق الحسنة وبالله التوفيق ٨٩ الاحسان الى المماليك لقوله تعالى وما ملكت ايمانكم ولحديث
معرور بن سويد في الصحيحين قال ابا ذر الغفاري رضي الله عنه عليه حلة وعلى غلامه اي مثلها فسألناه عن ذلك فقال اني سابيت
رجلا فشكاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله اعيرته بامه ثم قال انما اخوانكم جولكم الله تحت ايديكم
فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم عليه ٩٠
من السادة على المماليك وهو لزوم العبد سيده وقاعته حيث يراه وياتمره بظاهره وطاعته له فيما يتيسر وفي الصحيحين
من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين وفي مسلم من
حديث جرير بن عبد الله ايما عبد ابق فقد برئت منه الذمة وفي سنن ابي داود من حديث ابي هريرة ايضا العبد اذا ابق لا تقبل صلاته
ويرجع الى مولاه المستوفي حقوق الاولاد الاهلين وهي قيام الرجل على ولده واهله وتعليمه اياهم من امور دينهم ما
يحتاجون اليه لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا الاية قال الحسن اي مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير وقال علي رضي الله عنه علموهم
وادبوهم ولحديث انس في مسلم من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيمة انا وهو هكذا وضم صبعيه ٩١ مفارقة اهل الدين
وهجرانهم وافشاء السلام بينهم والمصافحة لهم ونحو ذلك من اسباب تاكيد المودة لقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستانسوا وتسلموا على اهلها ولحديث ابي هريرة في مسلم والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا
افلا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم وحديث ابي قتادة في البخاري قال قلت لانس رضي الله عنه كانت
المصافحة في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم وحديث ابي هريرة في مسلم ان الله يقول يوم القيمة اين المتحابون بجلالي اليوم
اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي ٩٢ رد السلام لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ولحديث ابي سعيد الخدري
المرفوع في الصحيحين قالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ابيتم الا المجالس
فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٩٣
عيادة المريض لحديث البراء رضي الله عنه في الصحيحين وابو داود وغيرها قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع
فذكر عيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وابرار المقسم ونصر المظلوم واجابة الداعي ولحديث ابي موسى في مسلم
عند ابي داود والنسائي وابن ماجه وقال خاتم الذهب وآنية الفضة والميثرة والقسي والاستبرق والحرير والديباج وحديث ثوبان في مسلم عاده
بغير مخرفة الجنة قلت ولا فرق بين ان يكون برا او فاجرا لكن يستطاب للبر ويغض من الفاجر ٩٤ الصلاة على من
مات من اهل القبلة لحديث ابي هريرة في الصحيحين حق المسلم على المسلم خمس السلام وعيادة المريض وتشميت العاطس واتباع
الجنائز واجابة الدعوة وحديث ثوبان في مسلم من صلى على جنازة فله قيراط ومن شهد دفنها فله قيراطان القيراط مثل احد ٩٥
تشميت العاطس لحديث ابي بردة رضي الله عنه في مسلم عن ابي موسى رضي الله عنه اذا عطس احدكم فحمد الله فشمتوه واذا لم يحمد الله فلا تشمتوه
٩٦ مصاحبة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم لقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ٩٧ يا ايها النبي قاتل الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
ولا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان الحق قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من
حاد الله ورسوله الاية وقد جاءت احاديث ولحديث ابي هريرة رضي الله عنه في مسلم اذا لقيتم المشركين في طريق فالجئوهم الى اضيقه
فلا تبدءوهم بالسلام ولحديث ابي سعيد في سنن ابي داود لا تاكل طعامك الا تقي ولا يصحبك الا مؤمن ولحجره صلى الله عليه وسلم الثلاثة
الذين خلفوا حين يوما في كتاب الله عليهم وهم كعب ابن مالك ومرارة ابن الربيع وهلال بن امية رضي الله عنهم ٩٨ الكرام الجار لقوله تعالى
والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب قيل في التفسير ذي القربى الجار الملاصق والصاحب الجنب البعيد غير الملاصق

والصاحب بالجنب الرفيق في السفر وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي ومقاتل ابن حيان ومقاتل ابن سليمان والجاري الذي
الذي بينك وبينه قرابة والجار الجنب الجنبي عنك والصاحب بالجنب الرفيق في السفر وزاد مقاتل ابن سليمان فقال الصاحب
بالجنب النازل الرفيق في السفر الحضر وعن علي وابن مسعود وابراهيم وغيرهم في الصاحب انه المرأة وعن سعيد ابن جبير في رواية كذلك
وفي رواية انه الرفيق الصالح ولحديث عائشة في الصحيحين لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما زال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه رواه البيهقي في شعب الايمان حق الرفيق قال عبد الله الحافظ سمعت ابا العباس الاصم سمعت محمد ابن عثمان الدمشقي سمعت
ابن مثال سمعت عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ثلاثة لا يكافيهم غني الارباب العالمين رجل نسيبي
لي في مجلسه ورجل تخطى الحلق والمجالس حتى جلس الي ورجل ذكرني في ليل حاجة فواني اهل الخير فلك لا يكافيه غني الارباب العالمين ٩٨
اكرام الضيف لحديث ابي شريح العدوي رضي الله عنه في الصحيحين قال سمعت اذناي وابصرت عيناي حين تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته قال يومه وليلته والضيافة ثلاث فما كان وراء ذلك
فهو صدقة وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت رواه في رواية له ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم جاره ٩٩ الستر على اصحاب الذنوب لقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لحديث عبد الله
ابن عبد الله ابن عمر في الصحيحين عن ابيه المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مؤمن
كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيمة ١٠٠ الشيخوخة الصبر على المصائب وعما تنزع النفس اليه
من لذة وشهوة لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة والصلاة الكبيرة الا على الخاشعين عن مجاهد وغيره انه اراد بالصبر الصوم وقوله
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الآية وقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وغيره من الآيات ولحديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين قال جاء ناس من الانصار فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم
فاعطاهم فجعل لا يسأله احد منهم الا اعطاه حتى نفد ما عنده ثم قال لهم حين انفق كل شيء عنده من خير لم ما يكن عندنا من خير فلم ندخره عنكم
وانه من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يصبر يصبره الله ولن تعطوا عطاء خيرا واوسع من الصبر ولحديث ابن مسعود
رضي الله عنه فيهما قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فوضعت يدي عليه فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا
فقال اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قال قلت ذلك بان لك اجرين قال نعم لجل ومما يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله عنه من سيئاته
كما تحط الشجرة ورقها ١٠١ الزهد وقصر الامل لقوله تعالى ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها ولحديث انس ان ملك
وسهل ابن سعد رضي الله عنهما في الصحيحين بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة والوسطى وحديث ابي سعيد رضي الله عنه
في مسلم ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت
في النساء وحديث ابن عباس رضي الله عنهما نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ورواه البيهقي قال الشيخ ابو عثمان محمد بن احمد
السجستاني ابصره لنفسه في هذا المعنى انبانا خير بني آدم وملك احد الا البلاغ فمن ناس مغبون في نعمتي صحة البدن والفراغ
١٠٢ الغيرة وترك المذلة قوة النفس واهلكم نار اوقودها الناس والحجارة وقال للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
ولحديث ابي هريرة في صحيح البخاري ان الله عز وجل يغار وغيرة الله ان يأتي المؤمن ما حرم الله عز وجل عليه ولحديث عمرو بن سلمة
رضي الله عنها في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها في البيت فحنث وكنت الاجم سلم عبد الله بن ابي مليكة ان يخالف بكم
الطابق فاني اذكر على بيت علما ان لا يدخل احد ان يدخل هذا البيت عليكم وذكر في حديث ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم غيرة الغيرة من الايمان وان المذاء من النفاق قال الحليمي هو ان يجمع بين الرجال والنساء في مجلس
بما ذي بعضهم بعضا والخذاء المذي وقيل هو ارسال الرجال مع النساء من قولهم مذيت الفرس اذا ارسلته وعن ١٠٣ الاعراض عن اللغو
لقوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو
مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه واللغو الباطل الذي لا يعنيهم ولا يتصل بقصد صحيح وذلك كقول لقائله غير فايدة وبيان كذب الا

قال الحليمي هو ان يجمع

وفي

وفي حديث ابي سلمة عن ابي هريرة وعلي ابن الحسين عن ابيه عن علي رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ويراه البيهقي ايضا ابو عبد الله الحافظ سالت الحسين ابن محمد قال سمعت ابا عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون يقول من احب الله عاش ومن مال الى غيره طاش والاحمق يغدو ويروح في طاش والعاقل عرف قدر نفسه فتاش ٧ الجود التحلي لقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء وغيرها من الايات وقوله في عكسه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل وقوله ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ولحديث ابي هريرة رضي الله في الصحيحين ما من يوم يصبح العباد الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا لا رحم الصغير ولا توقير الكبير لحديث جرير ابن عبد الله رضي الله عنه في صحيح مسلم من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ولحديث ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعون وانزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه ولحديث ابن عمر رضي الله عنه في سنن ابي داود من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ولدينا في الصحاح كبر كبر او اكبر الكبراي اي بكلم اكبركم وفي حديث الامامة ليؤمكم اكبركم ٧ اصلاح ذات البين لقوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس فمن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم اي بين كل اثنين منكم ولحديث ام كلثوم بنت عقبة ابن معيط رضي الله عنها في الصحيحين ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا او يقول خيرا قالت ولم اسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس كذب الا في ثلاث الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امراته وحديث المراة زوجها ٧ ان يحب الرجل لاخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ويدخل في اماطة الاذى عن الطريق المشار اليه في حديث ابي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين الايمان بضع وستون شعبة او بضع وسبعون شعبة افضلها لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وحديث انس رضي الله عنه في صحيح البخاري لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحديث جرير ابن عبد الله رضي الله عنه في الصحيحين بايعت رسول الله على اقام الصلاة ايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم، والله اعلم وصلى الله على محمد وسلم

كتاب مفتاح طريق الاولياء واصل الرشد من العلماء تاليف الشيخ الامام الزاهد احمد ابن ابرهيم الواسطي الجزري رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الحامد ومحمده وصلواته وسلامه على عبده خلقه محمد واله وصحبه ومعه سلام الله ورحمته وبركاته على قلوب استنارت بانوار العرفان فصارت كالكوكب الذي يدل الا بتوفيق الرحمان عرفت عن الدنيا وشهواتها وشانت الى قرب الرحيم الرحمن فحببه بانكاره وحنت اليه وفي جواره وتمسكت بعراه وكحلت بانواره فصارت بعد ازدحام جنوده مع الايمان ايمان يزيد ابدا الى سكنى الجنان لو رزيتهم بالحي لو جدت اقوالهم وحدهم الله عز وجل بالتوفيق طائرة وابدانهم بالطاعات طاهرة ونفوسهم على قضية الرب العزيز صابرة لا يفطرون اذا افطر الناس ويقومون في الدياجي اذا حارك المعاصلات خشب الافلاس ويحزنون اذا فرح الناس ويكون ذا ضحك اهل البطنة والنوم اذا بصرت قلوبهم من عظمة مولاهم ما خفي على الاعين بصائرة وابتهجت نفوسهم على سرائرهم فهم على قدم التهي المستقر الى ارض الساهرة

فصل واعلم يا اخي ان امامنا وامامكم يوم يتعب فيه تواليه وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تنقلب فيه الخبات وتبدو المكنات ويسال الله عن كل عبد عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وسعيت البزان لاهل الوعيد قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون، وكل واحد يحفظ الايات ذلك والله يوم يفرح فيه العاملون ويخيب فيه المبطلون وهو في كل نفس منا كست وهم لا يظلمون

فصل فاذا اردت ايها الاخ النجاة من هول ذلك اليوم فاستعد له بالتقوى واحفظ جوارحك عن ما حرم الله عليك وتخلق بجميع ما امر كسلك به من الحقوق المدونة في كتب الله من الحلال والحرام والحدود والاحكام بحيث لا يبقى عليك في الشرع بعير مطالبة ولا يبقى في نفسك صلاة فايته ولا صوم فات ولا زكاة واجبة ولا غيبة لمسلم بغير حق ولا شحنا ولا تخاصما ولا بغضا بغير حق وتحمل على ان تبري ما اخذ منك

٧٢

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
٦٦٦
رقم حسب الجامع
التاريخ / / ١٤هـ